

(٤١) أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ . . يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوثقُ عُرَى الإيمان: المِوَالَةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ).

[رواه الطبراني في الكبير]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوثقُ عُرَى الإسلام: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَنْ تَبْغِضَ فِي اللَّهِ) [أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان] ففي هذين الحديثين الشريفين يخبرنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن أوثق عُرَى ^(٥٣٨) الإيمان، أو الإسلام .. (ولكى) نفهم المراد من هذا التعبير بكلمة (عُرَى) فإنه حسبنا أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ أي: فمن يكفر بكل معبود من دون الله، من شيطان، أو وثن، أو صنم، كائناً من كان، ويصدق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: فقد تمسك واعتصم بالإيمان، الذي هو أوثق ما تمسك به من طلب الخلاص لنفسه، من عذاب الله وعقابه ^(٥٣٩) ﴿لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ أي: لا انكسار لها ولا انقطاع ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٥٤٠) أي: سميع لإقرار من شهد بوحداية الله، عليم بإخلاصه.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: ومن يتذلل لله بالعبودية، مُقَرَّكاً له بالألوهية، وهو مُطِيعٌ لله في أمره ونهيه ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي: فقد تمسك بالطرف الأوثق، الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَأَلَى

(٥٣٨) جمع عُرْوَة . قال في مختار الصحاح ص ٤٢٩: (وعروة القميص والكوز معروفة) . والمراد بها والله أعلم: أن بها يجتمع شمل الإسلام .

(٥٣٩) شبه المستمسك بالإيمان، بالتمسك بعروة الشيء التين، الذي لا ينقطع ولا ينكسر، أو بالحبل الوثيق المحكم، وهو من لطيف أنواع الاستعارة.

(٥٤٠) البقرة: ٢٥٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبري . بتصرف .

اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٥٤١﴾ أى: وإلى الله مرجع كل أمر فيسأل أهله عنه.

(فَعُرَى) الإيمان، أو عُرَى الإسلام إذا، هى: أوثق ما ينبغى علينا أن نتمسك به طلباً للخلاص لأنفسنا من عذاب الله وعقابه، وهى: الطرف الأوثق الذى لا يُخَاف انقطاعه.. (ولهذا) كان لابد لنا كمؤمنين أو كمسلمين أن نستمسك بتلك العرى حتى لا نُضِلَّ أو نذَلَّ، أو حتى لا نكون نَهَبًا للأمم الأخرى التى تعمل ليلاً ونهاراً من أجل القضاء علينا، والاستيلاء على أهمّ ثرواتنا .. كما حدث فى بعض البلدان الإسلامية .. بسبب تمزقنا وعدم ترابطنا .. أو تعاوننا على البرِّ والتقوى .. حتى أصبحنا للأسف الشديد كغُثاء السيل .. بتلك الصورة التى وردت فى حديث شريف، يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه:

(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا. بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ^(٥٤٢)، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنَّ فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) ^(٥٤٣) أو كما قال رسول الله .

(وهذا) الذى أشار إليه الرسول ﷺ: (هو) موطن الداء .. ولهذا فقد ورد: (عن) عمرو بن عوف الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتى بجزيّتها ^(٥٤٤)، فقدم بمالٍ من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة، فوافوا صلاة الفجر ^(٥٤٥) مع رسول الله ﷺ، فلما صلّى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له ^(٥٤٦)، فتبسّم رسول الله ﷺ حين

(٥٤١) لقمان: ٢٢، والتفسير من مختصر تفسیر الطبرى .. بتصرف .

(٥٤٢) أى: كالرغواوى التى تكون على سطح الماء .. أو ما شابه هذا .. من الكثرة الزائفة التى لا وزن لها .

(٥٤٣) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٥٤٤) وكان العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه قد فتحها على عهد رسول الله ﷺ وكان أهلها مجوساً .

(٥٤٥) أى: شهدوا صلاة الصبح مع النبي ﷺ .

(٥٤٦) أى: تصدوا له وطلبوا منه أن يعطيهم .

رَأَهْمَ ثُمَّ قَالَ: (أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟) قَالُوا: أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَبْشُرُوا وَأَمَلُّوا مَا يَسُرُّكُمْ،) (٥٤٧) فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ (٥٤٨)، وَلَكِنْ أَحْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ (٥٤٩) كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا (٥٥٠) كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ [رواه البخارى ومسلم]

(وقد) وقع - فعلاً - ما كان يخشاه النبي ﷺ - عليهم - وأقبلت الدنيا على أمته من كل ناحية، فأوقعت بينهم العداوة والبغضاء وحملتهم على التنافس والتزاحم حتى أهلكتهم .. إلا من عصم الله.. (ومن) أجل ذلك كان لا بد أن نُخرج حُبَّ الدنيا من قلوبنا بهذا المعنى الذى جاء على ألسنة العلماء، وهو: (ليس الزاهد من لا مال عنده، وإنما الزاهد من لم يُشغلْ المال قلبه وإن أُوتى مثل ما أُوتى قارون)، أى: أنه لا مانع شرعاً أن يكون معك مال كمال قارون، ولكن بشرط أن يكون المال هذا فى يدك لا فى قلبك .. لأنه إذا كان فى يدك استطعت أن تستغله فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان مُتربِّعاً على قلب البعيد فإنه سيكون مَطِيَّةً له.

(وكان) لا بد لكى يتحقق المعنى المراد من قول الرسول ﷺ فى نص الحديث، وهو: أن تكون (الموالاتة فى الله، والمعاداة فى الله، والحبُّ فى الله، والبغض فى الله) أو (أن تُحبَّ فى الله، وأن تبغض فى الله): لأن كل هذا سيكون معناه أنك قد استمسكت - فعلاً - بالعروة الوثقى - التى - لا انفصام لها .. (وحسبك) أن تكون أهلاً لهذا الخير الذى لا نجاح ولا فلاح إلا به .. (ولاسيماً) إذا كان حُباً لله وفى الله .. فقد ورد:

(عن) أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ

(٥٤٧) أى: أبشروا بقضاء حاجاتكم وتوقعوا كل ما يفرحكم.

(٥٤٨) أى: ليس الفقر هو الذى أخافه عليكم .

(٥٤٩) أى: تكثر عندكم الأموال وتزداد الأرزاق .

(٥٥٠) يحذف إحدى التاءين تخفيفاً أى: تنافسوا وتكالبوا عليها.

الإيمان: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ ^(٥٥١) مِمَّا سِوَاهُمَا ^(٥٥٢)، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا ^(٥٥٣) لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ^(٥٥٤)، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْتَفَى فِي النَّارِ).

وفى رواية: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ ^(٥٥٥)): أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ ^(٥٥٦)، وَأَنْ تُوقِدَ نَارًا عَظِيمَةً فَيَقَعَّ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا).

[رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى]

قال البيضاوى: (المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إثارة ما يقتضى العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله .. فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص آجل، والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ويلتذ بذلك التذاداً عقلياً إذ الالتذاد العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذات المحسوسة).

وقال الشيخ محيى الدين النووى: (هذا حديث عظيم، وأصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاد الطاعات، وتحمل المشاق فى الدين، وإيثارة ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك الرسول - ﷺ - وإنما قال (مما سواهما) ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل . قال: وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية).

(٥٥١) معنى: أعظم محبوبة، فهو أفعال تفضل من اسم المفعول.

(٥٥٢) أى: من كل ما عداهما من مال وأهل وولد فلا يعدل بحب الله ورسوله شيئاً.

(٥٥٣) أى: من المؤمنين فإن غير المؤمن ليس موضعاً لذلك الحب.

(٥٥٤) لا يحبه إلا من أجل صلاحه وتقواه .

(٥٥٥) أى: ذوقه كما يجد اللسان ذوق العسل .

(٥٥٦) معنى: أن يكون حبه ويغضه لله جل شأنه، فلا يحب إلا من يحبه الله، ولا يفيض إلا من يفيضه والله تعالى لا يحب إلا المتقين . ولا يفيض إلا للمجرمين الذين لا خلاق لهم والعباد بالله منهم .

وقال البيضاوى: (وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم باللذات هو الله تعالى، وأنه لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه وأن ما عداه وسائط والرسول يبين له مراد ربه .. اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ إِلَّا مِنْ أَجْلِهِ . وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأُوعِدَ به حق يقينًا، ويُخِيلُ إليه الموعد كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأنَّ العود إلى الكُفْرِ إلقاء في النار) ١ هـ باختصار (٥٥٧) .

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى يقول يومَ القيامة: أين المتحابون بجلالي) ^(٥٥٨)، اليومَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي ^(٥٥٩) يوم لا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من الذين يحبون لله، ويبغضون لله، ويتعاملون مع إخوانهم المؤمنين على أساس من هذا الحب الصادق الذى هو لله وفى الله .. تحقيقًا للعروة الوثقى التى لا انفصام لها .. (مع) ملاحظة أن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.. والله ولى التوفيق،،

(٤٢) أَوْ تَبْكِي أَنْتِ كَذَلِكَ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

روى ثابت البُنَّانِي عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القَيْنِ، وكان ظنًّا لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيمَ فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلتُ عينًا رسول الله ﷺ تَدْرِفَان. فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: (يا بِنَّ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)

(٥٥٧) انظرها من الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٢٤، ٢٥، ٢٦ بتصرف.

(٥٥٨) أى: بعظمتى وابتغاء وجهى وبتزاورون ويتجالسون فى حبى ومن أجلى.

(٥٥٩) المراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين .. ودنت الشمس من الرؤوس واشتد عليهم حرها حتى يلجمهم العرق يكون هؤلاء فى ظل عرش الله عز وجل لا يصيبهم ما يصيب الناس .

ثم أتبعها بأخرى . فقال رسول الله ﷺ: (إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

[أخرجه الشيخان والبيهقى، وهذا لفظ البخارى] (٥٦٠)

(وقال) ابن عباس رضي الله عنهما: جاء النبي ﷺ إلى بعض بناته وهى فى السُّوقِ، فأخذها ووضعها فى حجره حتى قُبِضَتْ فدمعت عيناه فبكت أم أيمن، فقيل لها: أتبكين عند رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي؟ قال: (إني لم أبك وهذه رحمة، إن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه وهو يحمده الله عز وجل).

(وقال) أسامة بن زيد رضي الله عنه: أتى رسول الله ﷺ بأميمة (٥٦٢) ابنة زينب ونفسها تَقَعَعُ (٥٦٣) كأنها فى شَنٍّ، فقال النبي ﷺ: (لله ما أخذ، والله ما أعطى، وكلُّ إلى أجلٍ مُسمًى) فدمعت عينا رسول الله ﷺ. فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله أتبكي؟ أو لم تته عن البكاء؟ فقال النبي ﷺ: (إنما هى رحمة، جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء).

[أخرجه أحمد والشيخان] (٥٦٤)

(٥٦٠) انظر: ص ١١٢ ج ٣ فتح البارى « قول النبي ﷺ: إنَّا بك لمحزونون» وص ٧٤ ج ١٥ نووى (رحمته ﷺ) والقيين) بفتح فسكون، الحداد . والظئر) بكسر فسكون: زوج الموضع (وتذرفان) أى: يجرى دمعهما (وإنها رحمة) أى: ما تراه من دمع العين هو رحمة أودعها الله فى قلوب عباده المؤمنين تنشأ عن رقة القلب لا من الجزع . (ولمحزونون) كان حزن النبي ﷺ على الفراق لا على الموت . . وبدون رفع صوت وجزع .

(٥٦١) انظر: ص ١٣٦ ج ٧ الفتح الربانى (الرخصة فى البكاء من غير نوح) وص ١٨ ج ٣ مجمع الزوائد . . وبنات النبي كلهن توفين متزوجات . . فالمراد هنا بعض بنات بناته، ولعلها أمانة بنت زينب كما فى الحديث الأتى (والسُّوق) بفتح فسكون: التزعج . كأن روحها تساق من بدنها (وهذه رحمة) أى الدموع أثر الرحمة (ويحمد الله) لأنه تعالى يطلعه على منزلته فى الجنة فيحمده لذلك . (٥٦٢) تصغير أمانة .

(٥٦٣) أى: تحرك وتضطرب . . (هى) بنت أبى العاص . . ولم تمت أمانة من هذا المرض . . بل عاشت حتى تزوجها على بعد فاطمة رضى الله عنهم (والشَّن) بفتح الشين القربة الخلقفة اليابسة .

(٥٦٤) انظر: ص ١٤٠ ج ٧ الفتح الربانى (الرخصة فى البكاء من غير نوح) وص ١٠٠ ج ٣ فتح البارى، وص ٢٢٤ نووى (البكاء على الميت) .

(وقال) ابن عمر رضي الله عنهما: (اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود - رضی الله عنهم - فلما دخل عليه وجده في غَشِيَةٍ، فقال: (قد قضى؟) فقالوا: لا يا رسول الله! فبكى ﷺ، فلما رأى القوم بكاءه بكوا، قال: (ألا تسمعون أن الله لا يُعَذِّبُ بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يُعَذِّبُ بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم). [أخرجه الشيخان والبيهقي] (٥٦٥)

(فقد دلت) هذه الأحاديث (٥٦٦): على إباحة البكاء على الميت والحزن عليه إذا لم يصحبه نوحٌ، أو شقُّ جيب، أو لطم خدٍّ، أو سَخَطَ لأمر الله تعالى . فإن رسول الله ﷺ قد بكى وبكى الصحابة أيضاً (وقال) عبدالله بن يزيد: رُحِّصَ في البكاء من غير نوح، أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن (٥٦٧).

وعلى هذا أجمع العلماء، ويجوز أيضاً البكاء بصوت إذا غلب الباكي الحزن ولم يبلغ إلى الحدِّ المنهى عنه (روت) عائشة رضي الله عنها أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. فوالذي نفسُ محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله (.. رحماء بينهم..). [أخرجه أحمد] (٥٦٨)

ففي تفريقها بين بكاء عمر وأبي بكر وهى فى الحجرة: دليل على أنهما كانا يبكيان بصوت لشدة حزنهما على سعد ولم يقدرا على كتمه، ولكنه لم يبلغ إلى الحدِّ المنهى عنه، ولذلك لم ينكر عليهما النبي ﷺ.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يكونا من المتجاوزين للحد المشار إليه فى الأحاديث .. مع ملاحظة ضرورة الصبر

(٥٦٥) انظر ص ١١٣ ج ٣ فتح الباري (البكاء عند المريض) وص ٢٢٤ ج ٢ نووى (الجنائز)، (وغشية) بفتح فسكون فتخفيف الياء، وفى رواية البخارى (فى غاشية) أى: ما يشغاه من كرب الموت، أو من يشغاه من أهله .

(٥٦٦) كما فى الدين الخالص ج ٧ ص ٢٠٩ وما بعدها ... بل وما قبلها .. بتصرف .

(٥٦٧) انظر: ص ١٩ ج ٣ مجمع الزوائد (البكاء) .

(٥٦٨) انظر: ص ١٤١ ج ٧ الفتح الربانى (البكاء من غير نوح) .

والتسليم لقضاء الله تعالى الذى يقول فى قرآنه لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٥٦٩) . الذين نسال الله تعالى أن يجعلنا جميعاً منهم .. اللهم آمين،،

(٤٣) أَنْتَزَاوَرُ إِذَا مَتْنَا وَيَرَى بَعْضُنَا بَعْضًا .. يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن أم هانئ رضي الله عنها، أنها سألت النبي ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال النبي ﷺ: (تكونُ النَّسَمُ طَيْرًا تَعْلُقُ بِالشَّجَرِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَخَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي جَسَدِهَا).

[أخرجه أحمد والطبرانى وفيه ابن لهيعة مُتَكَلِّمٌ فِيهِ] (٥٧٠)

وعن عبد الرحمن بن كعب: قالت أم مبشر (٥٧١) لكعب بن مالك رضي الله عنه وهو شاك: اقرأ على ابني السلام (تعنى مُبَشِّرًا) ، فقال: يغفر الله لك يا أم مبشر! أو لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قالت: صدقت فاستغفر الله. [أخرجه أحمد بسند جيد] (٥٧٢)

وقالت أم كبشة بنت معرور: دخل علينا النبي ﷺ فسألناه عن هذه الروح فقال: (إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير حُضِرَ ترعى فى الجنة وتاكل من

(٥٦٩) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٥٧٠) انظر: ص ٣٢٩ ج ٢ مجمع الزوائد .

(٥٧١) ومُبَشِّرٌ هو ابن البراء بن معرور الأنصارى صحابى ابن صحابى ابن صحابية . توفى فحزنت عليه أمه حزناً شديداً، فكانت تأتى كل محضر يعرف ابنها وتكلفه أن يقرأ على ابنها السلام . فأنكر عليها كعب بن مالك: هذا الحزن مع أن ابنها فى النعيم المقيم ومن قال الله فيهم: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ (الفتح: ١٨) وذكرها بالحديث وكانت سمعته . فقالت له: صدقت ولامت نفسها واستغفرت الله تعالى على ما فرط منها . (الدين الخالص ج ٧ ص ١٩٠ هامش) .

(٥٧٢) انظر: ص ٨٦ ج ٢ الفتح الربانى .

ثمارها وتشرب من مياهها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا . وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار، وتأوى إلى جُحُر في النار يقولون: ربنا لا تُلحق بنا إخواننا ولا تُؤتِنّاها وعدتنا).

[أخرجه ابن منده] (٥٧٣)

فهذه الأحاديث (٥٧٤): تدل على أن أرواح المؤمنين شهداء وغير شهداء في الجنة إذا لم يحبسهم عنها كبيرة ولا دين. وبه قال أبو هريرة وابن عمر وأحمد والجمهور لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَأَرْوَحُ وَرَبْحَانًا وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ ﴾ (٥٧٥) ذكر أن الميت ثلاثة أقسام: مقربين في الجنة، وأصحاب اليمين سالمين من العذاب، ومُكذِّبين لهم ﴿ فَتُزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمٍ ﴾ (٥٧٦). (وقيل): إن الذي في الجنة إنما هو أرواح الشهداء (لقوله) تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٥٧٧).

(ولحديث) ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (لما أُصِيبَ إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خُضِرَ تردُّ أنهارَ الجنة تأكلُ من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظلِّ العرش، فلما وجدوا طيب مآكلهم ومشربهم ومقيلهم (٥٧٨) قالوا: مَنْ يُبْلِغُ إخواننا أننا أحياء في الجنة تُرْزَقُ لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يَنكَلُوا (٥٧٩) عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم وأنزل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا.. ﴾ الآية .

[أخرجه أبو داود . تفرد به عبدالله بن إدريس عن محمد بن إسحاق] (٥٨٠)

(٥٧٣) انظر: ص ٩١ ج ٧ الفتح الرباني (الشرح).

(٥٧٤) كما جاء في (الدين الخالص) ج ٧ ص ١٨٩ وما بعدها .. بتصرف .

(٥٧٥) الواقعة: ٨٨ ، ٨٩ .

(٥٧٦) الواقعة: ٩٣ ، ٩٤ .

(٥٧٧) آل عمران: ١٦٩ .

(٥٧٨) مقيلهم بفتح فكسر أى: مأواهم للراحة وقت الظهيرة .

(٥٧٩) (ولا ينكلوا) بضم الكاف، أى: لا يجنوا .

(٥٨٠) انظر: ص ٣٢٢ ج ٢ عون المعبود - فضل الشهادة .

وعن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: (إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة). [أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح] (وقال) مجاهد: أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها يأتيهم من نعيمها ولا يدخلونها (لحديث) ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكره وعشية من الجنة). [أخرجه أحمد والطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم] (٥٨١)

(وقال) ابن عبد البر: أرواح المؤمنين غير الشهداء على أفنية القبور تسرح حيث شاءت، وأرواح الشهداء في الجنة.. وهو قول قوى (والصحيح) أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ تفاوتاً عظيماً. ولا تعارض بين الأدلة، فإن كلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة.

(فمنها) أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء. (ومنها) أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما في حديث محمد بن عبد الله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قُتلتُ في سبيل الله؟ قال: (الجنة) فلما ولى قال: (إلا الدين سارني به جبريل أتفاً) [أخرجه أحمد] (٥٨٢) (ومنهم) من يكون محبوباً على باب الجنة كما في حديث سمرة بن جندب قال: صلى النبي ﷺ الصبح فقال: (ها هنا أحد من بني فلان؟) قالوا: نعم. قال: (إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه). [أخرجه أحمد بسند جيد] (٥٨٣)

(٥٨١) انظر: ص ٢٩٤ ج ٥ مجمع الزوائد (الشهادة وفضلها)، (وبارقي) بالتونين اسم نهر في الجنة.
(٥٨٢) انظر: ص ٩٧ ج ٧ (الفتح الرباني) الشرح.
(٥٨٣) انظر: ص ٩٩ ج ٧ (الفتح الرباني) (المبادرة إلى تجهيز الميت وقضاء دينه) و (من بني فلان): لم يُسم سراً عليه.

(ومنهم) مَنْ يكون محبوساً في قبره كصاحب الشَّملة التي سرقها من الغنيمة (قال) أبو هريرة : خرجنا مع النبي ﷺ عام خيبر ، فلم نَعْمَ ذَهَباً ولا وِرْقاً (٥٨٤) إلا الثيابَ والمتاعَ والأموالَ، فوجَّهَ رسول الله ﷺ نحو وادي القُرى، وقد أُهْدِيَ لرسول الله ﷺ عَبْدٌ أَسْوَدُ يُقال له (مِدْعَمٌ) حتى إذا كانوا بوادي القُرى فبينما (مِدْعَم) يحط رَحْلُ رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله . فقال الناس: هنيئاً له الجنة . فقال رسول الله ﷺ: (كلا والذي نفسي بيده إن الشملةَ التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصِبْها المقاسم لتشتعل عليه ناراً) فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (شِرَاكٌ من نارٍ أو شِرَاكَانٌ من نارٍ).

[أخرجه الشيخان وأبو داود وهذا لفظه] (٥٨٥)

(ومنهم) مَنْ تُحْبَسُ روحه في الأرض ولا تُرْفَعُ إلى الملائكة لأنها كانت روحاً سَفْلِيَّةً أرضيةً، والأنفس الأرضية التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبتة وذكره والأنسَ به والتَقَرُّبَ إليه لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا في الأرض . كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتَقَرُّبَ إليه والأنسَ به: تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع مَنْ أَحَبَّ في البرزخ (٥٨٦) ويوم القيامة.

(ومنها) أرواح تكون في تَنُورِ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي . وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتُلْقَمُ الحجارَةَ .. وَمَنْ تَأَمَّلَ الآثارَ في هذا الباب عرف أن الأرواح على اختلاف محالِّها وتباين مقرها لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل للجسم من النعيم والعذاب ما كُتِبَ له، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها

(٥٨٤) الورق بكسر الراء أى الفضة.

(٥٨٥) انظر: ص ٤٧٣ ج ١١ فتح الباري .. وكذا في ج ٢ نووى، ج ٣ عون المعبود .. (فوجَّهَ) أى توجَّهَ .. (وادي القُرى) موضع قرب المدينة به يهود .. (والشِرَاك) بكسر الشين: السير يكون في النصل على ظهر القدم .. (وفيه) تنبيه على عاقبة من خان في الغنيمة ونحوها ولو في السير .

(٥٨٦) البرزخ: الحاجز بين الشيتين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ (مختار الصحاح).

فى الجنة فهى فى السماء، وتتصل بالبدن فى القبر، وهى أسرع شىء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً. (وهى) تنقسم إلى مُرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن، وما أشبه حالها فى البدن بحال الجنين فى بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن. (٥٨٧)

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وهما يدركان المراد منه .. وما يشير إليه من معلومات هامة عن حياة البرزخ .. وما سيكون بعد ذلك فى اليوم الآخر.. إذا أرادا أن يقفا على الإجابة على السؤال موضوع الفتوى.. بوضوح .. وهما يسألان الله تعالى معنا.. حسن الخاتمة.. اللهم آمين،

(٤٤) ما معنى أن الشهداء (أحياء عند ربهم يُرزقون)

يا رسول الله؟

عن مسروق، قال: سألتنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسِنُ الدِّينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٥) قال: أما إننا قد سألنا عن ذلك النبي ﷺ فقال: (أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل مُعلّقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا رب نريد أن تُردّ أرواحنا فى أجسادنا حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا). [أخرجه مسلم] (٥٨٨)

(فهذا) الحديث: يُفيد أن الجنة مخلوقة وموجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهى التى أهبط منها آدم ويُنعَم فيها المؤمنون فى الآخرة.

(٥٨٧) انظر: ص ١٨٥ وما بعدها من كتاب الروح.

(٥) آل عمران - آية ١٦٩ .

(٥٨٨) انظر: ص ٣١ ج ١٣ نووى (بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة).

(وفيه) أيضاً: ستة أدلة: كونها مُودعة فى جوف طير، وأنها تسرح فى الجنة، وأنها تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها، وأنها تأوى إلى تلك القناديل، وأن الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته، وأنها طلبت الرجوع إلى الدنيا فعلم أنها تقبل الرجوع: وهذه أوصاف للروح المودعة فى الطير . وأطال ابن القيم فى ذكر الأدلة على جسمية الروح حتى أوصلها إلى ستة وعشرين ومائة دليل، وذكر شبه المتنازعين فى جسميتها وردّها ردّاً مُسهباً^(٥٨٩) . وفيما ذكرناه الكفاية .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا العلم النافع .. وأن يجعلنا أهلاً لأن نكون من هؤلاء الشهداء الذين هم: ﴿.. أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ .. اللهم آمين،

(٤٥) هل يجوز نعى الميت يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلّى فصفا أصحابه وكبر عليه أربعاً .
[أخرجه السبعة (٥٩٠) ، وهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نعى زيداً، وجعفرًا، وابن راحة للناس قبل أن يأتهم خبرهم، فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن راحة فأصيب، وعيناه تذرّفتان حتى أخذ الراية خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له).
[أخرجه أحمد والبخارى] (٥٩١)

فإخبار النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الثلاثة: يدل على أن الإعلام بموت أحد مباح لا نعى منهى عنه .

(٥٨٩) انظر: ص ٢٨٥ وما بعدها من كتاب الروح لابن القيم .
(٥٩٠) انظر: ص ٢١٨ ج٧ الفتح الربانى، وص ٧٥ ج٣ فتح البارى . وص ٥١ ج٧ نوى، وص ٤٩ ج٩ المنهل العذب، وص ٢٨٠ ج١ مجتبى .
(٥٩١) انظر: ص ٣٦١ ج٧ فتح البارى .

(ولهذا) فقد قال فى (الدين الخالص) موضحاً هذا .. (٥٩٢) باختصار: النعى - بفتح فسكون وتخفيف الباء، أو بفتح فكسر فشد الياء - هو فى اللغة: الإخبار بموت الشخص .. وشرعاً له ثلاث حالات: (الأولى): إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح بموته من غير نوحٍ ولا مُنكرٍ آخر لتجهيزه والصلاة عليه وتشيعه ودفنه والدعاء له وغير ذلك . وهو مشروع - ثم استدل على هذا بالحديثين السابقين - .. ثم يقول بعدهما باختصار: (والصحيح) الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة أن الإعلام بالموت لمن لم يعلم ليس بمكروه، بل إن قُصدَ به الإخبار لكثرة المصلين فهو مستحب . وإنما يُكره ذكُرُ الماتر والمفاخر والطواف بين الناس يذكره بهذه الأشياء، وهذا نعى الجاهلية المنهى عنه .

(وأما عن الحالة الثانية): وهى الإعلام بدعوى الجمع الكثير للمفاخرة: فهو مكروه، ومنه ما يقع من كثير من أهل الزمان إذا مات عظيم أعلنوا عن موته فى الصحف وغيرها، أو أرسلوا إلى الجهات الأخرى يخبرون أهلها بموته مفاخرة ومباهاة، وعليه يُحمل قول حذيفة: إذا مُتُّ فلا تؤذِنوا بى أحداً، فإنى أخاف أن يكون نعيًا، وإنى سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن النعى .

[أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقى والترمذى، وهذا لفظه وقال: حديث حسن] (٥٩٣)

(والحالة الثالثة): وهى الإعلام بموته بنوحٍ وغيره مما يشبه نعى الجاهلية كانوا يرسلون رجلاً على أبواب الدُور وفى الأسواق يعلن بموت فلان .. (فهذا) عمل جاهلى منهى عنه .. ولا سيما إذا كان كهذا الذى يقع فى كثير من البلدان من طواف النساء فى البلد يَصْحَنُ وَيُولُونُ، وَيَلْطَمُنُ الخدود، ويدعون بدعوى الجاهلية فى حالة منكرة قبيحة .. وفى بعض الجهات إذا مات عظيم وقفوا على المنارات ونحوها يخبرون بموته ويرفعون أصواتهم بالبكاء والنياحة، أو يضربون بالطبول والموسيقى .. وهو مُحَرَّمٌ منهى عنه (ومنه) التبرير الذى يفعله بعض المؤذنين على المنارات عند موت عالم أو عظيم من العظماء.

(٥٩٢) ج ٧ ص ٢١٩ وما بعدها .. بتصرف.

(٥٩٣) انظر: ص ١٤٤ ج ٧ الفتح الربانى، ص ٢٣٢ ج ١ ابن ماجه، ص ١٢٩ ج ٢ تحفة الأحودى.

(والنهي) فيه محمول على النعي الذي كان عليه أهل الجاهلية جمعاً بين الأحاديث .. فإن ظاهره تحريم النعي وإن لم يصحبه ما يُستنكر كما كانت تفعله الجاهلية من إرسال من يُعلنُ بخبر موت الميت على أبواب الدُور والأسواق، ولكنه تقدم أنه ﷺ نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه، وأخبر بقتلى مؤتة، وقال في السوداء التي كانت تَقُمُ المسجد: (ألا أخبرتموني بموتها؟) (٥٩٤) فهي تدل على جواز الإعلام بالموت لمن يحضر الغُسل والتكفين والصلاة، والمنع منه لغير ذلك (وعن) إبراهيم النَّخعي وابن سيرين أنهما قالا: لا بأس إذا مات الرجل أن يُؤذن صديقه وأصحابه . إنما يُكره أن يُطاف في المجالس فيقال: أنعى فلاناً: فعَل أهل الجاهلية . [أخرجه سعيد بن منصور في سننه]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يفعلا المباح .. ولا يفعلا المنهي عنه.. وذلك حتى لا يقعا في فعل معصية .. والمطلوب أن يكون العكس هو الصحيح .. والله الموفق للصواب،

(٤٦) هل يجوز للمرأة أن تحدّ على غير زوجها

.. يا رسول الله؟

عن أم عطية الأنصارية أن النبي ﷺ قال: (لا تحدّ امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً . ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوبَ عصب، ولا تكتحل، ولا تمسّ طيباً، ولا تحنّض، ولا تمتشط، إلا إذا طهرت تمسّ بُدّةً من قُسط أو أنظفار).

[أخرجه السبعة إلا الترمذي] (٥٩٥)

(٥٩٤) كما جاء في حديث أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه والبيهقي . وهذه المرأة السوداء تُسمى (أم محجن)، ومعنى (تقم المسجد) أي: تقوم بكنسه وتجمع الكناسة .

(٥٩٥) انظر: ص ١٤٩ ج ١٠ نووي، وص ٣٩٧ ج ٩ فتح الباري، وص ١١٨ ج ١٠ نووي، وص ٢١٠ ج ٢

عون المعبود، وص ٣٢٨ ج ١ ابن ماجه، وص ١١٤ ج ٢ مجتبى (والعصب) بفتح فسكون يرود بمانية يعصب غزلهما ويشد ثم يصغ ويُنسج فيقى ما عصب أبيض . والمقصود النهي عن لبس الثياب =

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى ﷺ على هذا السؤال الذى هو موضوع الفتوى .. ولكى نفهم المراد من هذا الحديث .. فإنه حسبتنا أن نقرأ ما جاء فى (الدين الخالص) ^(٥٩٦) تحت عنوان: (الإحداد على الميت)، حيث يقول:

الإحداد - من أحد، ويقال: الحداد من حدّ كَنَصَرَ وضرب - لغة المنع، وشرعاً: ترك ما يُتَزَيَّن به من حُلَى أو كُحْل أو حرير، ولو أسود، أو دهن ولو غير مُطَيَّب، أو اختضاب بحناء، أو لُبْس مصبوغ بما له رائحة طيبة كالْمُزَعْفَر والمُعَصْفَر الجديد الذى يُتَزَيَّن به .

ثم يقول: والإحداد واجب على المسلمة المكففة التى مات زوجها أربعة أشهر وعشراً تأسفاً على زوال نعمة النكاح لأنه سبب لعفتها وكفاية مئونها. (ويجوز) للمرأة الإحداد على قريب غير زوج ثلاثة أيام فقط ما لم يمنعها زوجها . ثم بعد أن ذكر الحديث الذى ندور حوله والذى هو الدليل على هذه الأحكام .. قال:

(والحكمة) فى إحداد المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشراً: أن الولد يتكامل خلقه وتنفخ فيه الروح بعد مضى ١٢٠ (عشرين ومائة يوم) وهى زيادة على أربعة أشهر بنقصان الأهله، فَجَبِرَ الكسر إلى العقد وزيد العشر احتياطاً ^(٥٩٧). (وقد) أفاد الحصر فى قوله (إلا على زوج): أنه يجوز للمرأة أن تحدّ على غير زوجها - أباً أو ابناً أو أخاً أو قريباً - ثلاثة لما يغلب من لوعة الحزن ويهجم من ألم الوجد وليس ذلك واجباً لاتفاقهم على أن الزوج لو طلبها للجماع لا يحل لها منعه .. (وهذا) معناه أنه يحرم الإحداد على غير الزوج فوق ثلاث وإن أذن الزوج، (وأنه) يجب الإحداد على الزوج أربعة أشهر وعشراً لأنه جواز بعد منع

= المصبوغة المزينة إلا ثوب عصب (والنبيذة) بضم فسكون: القطعة (والقسط والأظفار) نوعان من العود .. رخص فى استعمالها للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة.
(٥٩٦) ج ٧ ص ٢٢٤ وما بعدها .. بتصرف واختصار.
(٥٩٧) انظر: ص ٣٩٣ ج ٩ فتح البارى، وص ١١٣ ج ١٠ نوى مسلم .

فيجب إلا لعذر، بأن كانت لا تجد إلا ثوب زينة، أو بها نحو حَكَّة فتلبس الحرير، أو شَكَّتْ عينها أو رأسها، فيباح لها الكحل والادهان .. (ولذا) قال الحنفيون وأحمد والجمهور: يجوز للمعتدة المتوفى عنها زوجها الاكتحال بالإثمد ونحوه (والمشهور) عن مالك منع اكتحالها إلا لضرورة (وقالت) الشافعية: يحرم على المحدثة الاكتحال ولو احتاجت إليه .

(ووجه) الجمع أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل مطلقاً، وإن احتاجت لم يجزُ بالنهار، ويجوز ليلاً مع أن الأولى تركه . فإن فعلت مسحته بالنهار (فدليل) الإذن في الاكتحال لبيان أنه بالليل للحاجة غير حرام، (ودليل) النهى محمول على عدم الحاجة (٥٩٨) .. اهـ من الدين الخالص ج٧ (٥٩٩) باختصار وتصرف . فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا حتى تنفذه على أساس من تلك الأحكام الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع عند الحاجة إليه .. بدون مخالفة للشرع .. والله الموفق للصواب،،

(٤٧) ما المُسْتَرِيحُ وَمَا المُسْتَرَاخُ مِنْهُ ..

يا رسول الله؟

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنائزة، فقال: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ) فقالوا: يا رسول الله، ما المستريحُ وما المستراخُ منه؟ فقال: (العبد المؤمن يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا) (٦٠٠)، (والعبدُ الفاجر يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالِدَوَابُّ) (٦٠١). [رواه البخارى ومسلم]

(٥٩٨) انظر: ص ١١٤ ج ١٠ نوى مسلم (وجوب الإحداد في عدة الوفاة).

(٥٩٩) ص ٢٢٦ باختصار وتصرف .

(٦٠٠) نصب الدنيا ، أى: تعبها .

(٦٠١) أى: يستريحون من أذاه .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يشير النبى ﷺ إلى ملاحظتين من أهم الملاحظات التى لا بد أن نقف عليها نحن المؤمنون والمؤمنات بصفة خاصة .. وهى: (أن الدنيا دار تعب ومشقة .. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله لأبينا - آدم وحواء عليهما السلام - ﴿ .. فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (٦٠٢)، فإن المعنى هو أن الإنسان فى هذه الدنيا سىظل طوال حياته فى سعى طلباً للرزق - من أجله ومن أجل من يعولهم - فى مناكب الأرض إلى آخر لحظة فى تلك الدنيا.. هذا بالإضافة إلى ما يتعرض له فى سبيل هذا من أمراض أو مشاحنات. (وقد) يكون هذا التعب بسبب التفكير ليلاً أو نهاراً فى أمر الرزق ومشاكل الأسرة التى قد لا تنتهى .. (بل) وقد يكون التعب هذا بسبب كثرة الأموال التى ستكون - غالباً - سبباً فى فتنته ولهوه ولعبه .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٦٠٣)، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٠٤) .. الخ.

(وعلى) هذا: فإنه لن يستريح المؤمن من كل هذا إلا بالموت الذى ينبغى أن يكون - فعلاً - راحة له .. كما ورد فى الحديث (الموت راحة المؤمن)، وأما غير المؤمن فإنه لن يكون مستريحاً فى الآخرة .. كما كان غير مستريح فى الدنيا. (وأما) عن الملاحظة الثانية .. (فهى) أن غير المؤمن، وهو العبد الفاجر .. فإنه بعد موته سيستريح العباد والبلاد والشجر والدواب ... منه، أى من أذاه.. لأنه كان شراً.. وكان يُشكل خطورة على كل شىء من المخلوقات.. ولاسيماً الضعفاء منهم .. الذين كانوا لا يملكون غير الدعاء عليه - بالهلاك - إذا لم يشأ الله تعالى هدايته .. (ولهذا) كان من الخير بمجرد موته .. أو هلاكه .. أن يعجل الناس بدفنه .. حتى يستريحوا منه .. وحتى يضعوه - كَشْرُ - عن رقابهم: (فعن) أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: (أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ) (٦٠٥)، فَإِنْ تَكَ صَالِحَةٌ

(٦٠٢) سورة طه: من الآية ١١٧.

(٦٠٤) المنافقون: ٩.

(٦٠٣) التغابن: من الآية ١٥.

(٦٠٥) ظاهر الأمر الإسراع فى المشى، ويحتمل الأمر الإسراع فى التجهيز .. (وقال) النوى: الأول هو المعين لقوله: (فسر تضعونه عن رقابكم).

فخيرٌ تقدمونها إليه، وإنْ تكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

أسأل الله سبحانه وتعالى .. أن يجعلنا - جميعاً كمؤمنين إن شاء الله - من

الذين يستريحون ولا يُريحون .. اللهم آمين،،

(٤٨) ما ثوابُ الأعمالِ الصالحةِ فى العشرِ

الأول من ذى الحجة .. يا رسول الله ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ^(٦٠٦) فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ^(٦٠٧)) «يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ» ^(٦٠٨) قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: (ولا الجهاد فى سبيل الله ^(٦٠٩) إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء) [رواه البخارى والترمذى، وأبو داود وابن ماجه، والطبرانى فى الكبير بإسناد جيد]، ولفظه قال: (ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبُّ إلى الله العمل فيهنَّ من أيام العشر، فأكثرُوا فيهنَّ من التسبيح، والتحميد، والتهليل والتكبير).

وإذا كان الرسول ﷺ قد أشار فى الرواية الثانية إلى عظمة هذه الأيام عند الله تبارك وتعالى .. فإن السبب فى هذا .. هو أن فيها تقع معظم أعمال الحج، ففيها يوم عرفة الذى يجتمع فيه الحجاج على صعيد عرفات، فيدنو الله عز وجل منهم ويباهى بهم ملائكته، وفيها يوم النحر الذى هو أفضل أيام الدنيا لما فيه من رمى الجمار ونحر الهدى والأضاحى والطواف بالبيت .. الخ.

(٦٠٦) هذا عام يتناول سائر العبادات من صلاة وصيام وصدقة وقراءة قرآن .. الخ.

(٦٠٧) فى قوله (العمل الصالح) الخ فى محل جر صفة لأيام .. وأحب أفعال تفضيل من اسم المفعول أى أكثر محبوبية.

(٦٠٨) هذه جملة مدرجة من كلام الراوى لتفسير الأيام.

(٦٠٩) وهذا معناه أن الرسول ﷺ يفضل العمل الصالح فى هذه الأيام حتى على الجهاد فى سبيل الله .. باستثناء تلك الصورة التى ذُكرت فى ختام الحديث.

(وقال) الإمام ابن القيم فى الزاد: (فإن قلت: أى العَشْرَيْنِ أفضل: عشرُ ذى الحجة، أو العشر الأخير من رمضان؟ فالصواب أن يُقال: ليالى العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة، وأيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر الأخير من رمضان، وبهذا التفضيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالى العشر من رمضان إنما فُضِّلَتْ باعتبار ليلة القدر^(٦١٠)، وهى من الليالى، وعشر ذى الحجة إنما فُضِّلَ باعتبار أيامه إذ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية).

(ولهذا) فقد رَغَّبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى الإكثار من أعمال الخير فيها ولاسيما بالنسبة للصيام التطوع فى التسع الأول من ذى الحجة.. لأن اليوم العاشر يحرم أن تصومه - وهو يوم عيد الأضحى - هذا بالإضافة إلى جميع أعمال البر .. ومن قول سبحانه الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وعن الأوزاعى رضي الله عنه قال: (بلغنى أن العمل فى اليوم من أيام العشر كقدر غزوة فى سبيل الله، يُصامُ نهارها، ويُحرسُ ليلها إلا أن يختص امرؤ بشهادة) قال الأوزاعى: حدثنى بهذا الحديث رجل من بنى مخزوم عن النبى صلى الله عليه وسلم.
[رواه البيهقى] ^(٦١١)

فعلى الأخ المسلم. والأخت المسلمة. أن يلاحظا كل هذا. حتى ينتفعا به. حرصاً على المزيد من الثواب فى تلك المواسم الخيرية العظيمة. والله ولى التوفيق.

(٤٩) يا رسول الله .. متى يجوز للمرأة

أن تنفق من بيت زوجها؟

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبى صلى الله عليه وسلم: (إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها

(٦١٠) وهى أفضل الليالى لنزول القرآن فيها.

(٦١١) انظر: ص ٣٢٠ وما بعدها مع الهامش (من الترغيب والترهيب) ج ٢ بتصرف.

غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً). [رواه البخارى]

وعن أبى أمامة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول فى خطبة عام حجة الوداع: (لا تُنفق المرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا). [رواه الترمذى وحسنه]

قال فى (فقه السنة) بعد هذا الحديث الأخير: ويستثنى من ذلك النزر اليسير الذى جرى به العرف فإنه يجوز لها أن تتصدق به دون أن تستأذنه، فعن أسماء بنت أبى بكر الصديق ؓ أنها قالت: يا نبي الله، ليس لى شىء إلا ما أدخل على الزبير فهل على جناح^(٦١٢) أن أرضخ^(٦١٣) مما يدخل على؟ فقال: (أرضخى ما استطعت ولا تؤعى^(٦١٤) فيوعى الله عليك) [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى] ولفظهما: (ولا تؤكى فيوكى الله عليك)^(٦١٥). أى: ليس من المال إلا ما أدخله الزبير بيته أيجوز لى أن أتصدق منه؟ فقال النبى ﷺ: (انفقى منه ولا تمسكى فيضيئى الله عليك).

وقال فى (الدين الخالص): والحديث محمول على إعطاء ما جرى العرف بإعطائه من غير إسراف، وأمرها النبى ﷺ بالإعطاء بلا توقف على إذن زوجها لعلمه ﷺ بأن الزبير تطيب نفسه بما تتصدق به، ولم يقيد إنفاقها بعدم الإسراف لعلمه ﷺ بأن السيدة أسماء ؓ ذات دين تحسن التصرف.

كما يشير أيضاً فى (الدين الخالص) إلى ملاحظة أخرى تتعلق بالحديث الأول الذى ندور حوله^(٦١٦)، فيقول: (والحديث) محمول على ما إذا علمت المرأة والخادم رضا رب المال بالتصدق منه، أما إن علم عدم رضاه أو شك فيه

(٦١٢) الجناح بضم الجيم أى الإثم .

(٦١٣) أى: أعط القليل الذى جرت العادة بإعطاء مثله .

(٦١٤) أى: لا تدخرى المال فى الوعاء فيمنعه الله عنك .

(٦١٥) ولا تؤكى من الإيكاء وهو المنع، أى: لا تمنى ما فى يدك فيمنع الله عنك بركة رزقه .

(٦١٦) وهو حديث عائشة رضى الله عنها .

فلا يجوز لغيره التصدق من ماله إلا بإذن صريح (وفرق) بعض العلماء بين الزوجة والخادم بأن الزوجة لها النظر فى مال الزوج والتصرف فى بيته، فلها أن تتصدق بالمعتاد بلا إسراف (وأما) الخادم فليس له التصدق من مال سيده إلا بإذن صريح .

كما أشار أيضاً فى (الدين الخالص) إلى معنى المشاركة فى الأجر كما جاء فى الحديث الأول، وكما جاء فى حديث آخر أخرجه مسلم يقول فيه عُميرُ مولى أبى اللحم: كنت مملوكًا فسألتُ رسولَ الله ﷺ: أتصدق من مال موالىِّ بشيءٍ ؟ قال: (نعم والأجر بينكما نصفان). فيقول: وهذا محمول على أنه استأذن فى الصدقة بقدر يعلم رضا سيده به، ثم يقول: (ومعنى) والأجر بينكما نصفان أى قسمان وإن كان أحدهما أكثر. (ويُحتمل) أن يكون الأجر سواء، لأن الأجر فضل الله يؤتية مَنْ يشاء والمختار الأول .. والمعنى كذلك أن المشارك فى الطاعة مشارك فى الأجر . والمراد المشاركة فى أصل الثواب وإن كان أحدهما أكثر .

فإذا أعطى المالك لخازنه أو امرأته مائة درهم مثلاً يُوصِّلُها إلى فقير على باب الدار فأجر المالك أكثر، وإن أعطاه رُمَّانةً أو رغيفًا ونحوهما ليعطيه إلى محتاج فى مسافة بعيدة تزيد أجرة الذهاب إليها على الرُمَّانة ونحوها، فأجر الوكيل أكثر، وقد يكون عمله قدر الرغيف فيكون الأجر سواء .

ثم بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص): (واعلم) أنه لا بد للعامل والزوجة والمملوك من إذن المالك فى ذلك، فإن لم يكن إذنٌ أصلاً فلا أجر لهم بل عليهم وزر بتصرفهم فى مال الغير بغير إذنه، والإذن صريح مفهوم من العرف والعادة كإعطاء السائل كسرة^(٦١٧) ونحوها مما جرت به العادة وعُلم بالعرف رضا المالك وإذنه حاصل وإن لم يتكلم، فإن شك فى رضاه أو علم من حاله الشُّح بذلك ، أو شكَّ فيه لم يجزُ للمرأة وغيرها التصدُّق من ماله إلا بإذن صريح منه^(٦١٨).

(٦١٧) أى: قطعة من الخبز بكسر الكاف .

(٦١٨) انظر: ص ١٠١ - ١١٣ ج ٧ نوى (أجر الخازن الأمين) .

فعلى الأخت المسلمة - الزوجة - بصفة خاصة أن تلاحظ كل هذا وتنفذه حتى لا تكون آثمة.

وعلى الأخ المسلم - الزوج - أن يكون مُشجَّعًا لزوجته ومُعِينًا لها على فعل الخير .. ولاسيما بالنسبة لإطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين (والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) ^(٦١٩) و (مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ) ^(٦٢٠). والله ولى التوفيق،،

(٥٠) يا رسول الله .. زودنا بحديث قدسى ^(٦٢١)

ترى ضرورة أن ننتفع به .. لصالح دُنيانا وأُخرانا؟

عن أبى ذرِّ الغفَّارىِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنه قال: (يا عبَّادى، إنى حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسى، وجعلتهُ بينكم مُحَرَّمًا، فلا تظالموا).^(٦١٩)

فقوله سبحانه: (يا عبَّادى): خطاب عام لجميع المكلفين مؤمنهم وكافرهم، بل للإنس والجن جميعًا .. فإن الخلق كلهم عباد الله بحكم ربوبيته لهم، ونفوذ حكمه فيهم، وتمايم ملكه وسلطانه عليهم، وقهره فوقهم.. وقوله: (إنى حرَّمتُ الظلم على نفسى): لأن الظلم معناه مجاوزة الحد أو التصرف فى حق الغير بغير حق .. وكلاهما محال فى حقه تعالى .. لأنه إنما يتصور فى حق مَنْ حدُّ له

(٦١٩) من حديث صحيح، رواه مسلم .

(٦٢٠) من حديث صحيح، متفق عليه .

(٦٢١) الحديث القدسى هو: ما كان لفظه من عند النبي ﷺ .. ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالنام

بوحى جلى .. فهو مقطوع بنزول معناه من عند الله تبارك وتعالى لما ورد فيه من النص الشرعى

على نسيته إلى الله والرسول ﷺ .. قال الله تعالى كذا .. فلذا سُمى قدسيًا .. (والفرق بينه

وبين القرآن: أن القرآن يُتعبد بلفظه .. أما الحديث القدسى فإنه يتعبد بمعناه .. ولا تصح به الصلاة

.. (والقرآن) هو ما كان لفظه من عند الله وكذلك معناه .. (نزل به الروح الامين) فى اليقظة

وليس فى الإلهام ولا فى المنام، وهو معجزة خالدة متواترة اللفظ فى كلماته وحروفه وأساليبه

بعكس الحديث القدسى.

حدود فإن تعدها كان ظالماً .. والرب جل شأنه لا حاكم فوقه ولا مانع له، ولا يُسئل عما يفعل .. لكن لما كان تحريم الشيء يقتضى التباعد عنه سُميَ تنزهه عن الظلم تحريماً لمشابهته له فى تحقق التباعد والامتناع.

وقوله: (وجعلته بينكم مُحَرَّمًا فلا تَظَّالَمُوا) أى: حَكَمْتُ بِتَحْرِيمِهِ فى معاملة بعضكم لبعض، فالمراد بِالْجَعْلِ: الحكم .. وقوله (تَظَّالَمُوا) بتشديد الظاء .. كما يُروى، وأصله تتظالموا، فأبدلت إحدى التاءين ظاء، وأدغمت فى الظاء الأخرى بعد تسكينها .. والمعنى: فلا يظلم بعضكم بعضاً، فإنه لا يبد من اقتصاصه سبحانه وتعالى للمظلوم من ظالمه .

(يا عبادى، كلّم ضالًّا إلاّ من هديته، فاستهدونى أهدىكم): قال بعضهم: معناه أنّ من شأنكم وجبَلتكم الضلالة، وذلك لما رُكِبَ فى طباعكم من الميل إلى الشهوات والركون إلى المحسوسات، والغفلة عن النظر فى المخلوقات .. فلو تُركتُم وما فى طباعكم من ذلك لضللتُم، ولكن الله بفضله ورحمته إذا أراد هداية عبد يَسرُّ له أسبابها فشرح صدره، وألهمه رشده، وخلصه من ظلمات طبعه، وأزاح عنه الشُّبُه والشكوك ووفقه للنظر فيما نصبه من الآيات فى الأنفس والآفاق . قال النووى: (وفى هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدى هو من هداه الله ويهدى الله اهتدى، وأنه سبحانه إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يردْ هداية الآخرين ولو أرادها لاهتدوا) .

(يا عبادى، كلّم جائع إلاّ من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم): أى: أننا جميعاً فى أشد الحاجة إلى إطعام الله تعالى لنا .. وأننا دائماً فى أشد الحاجة إلى رزق الله تبارك وتعالى الذى قال فى قرآنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٦٢٢)، وقال ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٦٢٣) .

(يا عبادى، كلّم عارٍ إلاّ من كسوته فاستكسونى اكسكم): لما فرغ سبحانه وتعالى من الامتنان على عباده بالأمور الدينية فى الهداية شرع فى

(٦٢٢) الذاريات: ٥٨ .

(٦٢٣) هود: من الآية ٦ .

الامتنان بالأمور الدنيوية المتطقفة بالأيدان وأهمها الطعام والكسوة، فأخبر أن كل أحد هو جائع لا قدرة له على تحصيل رزقه من الطعام حتى يطعمه الله ويسوق رزقه إليه، وأنه عثر على اللباس حتى يكسوه الله .

(قل) شيخ الإسلام ابن تيمية: (فيقتضى هذا أصلين عظيمين وجوب التوكُّل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام وبيع المضرة، وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقه، وإتاما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك، ولهذا قال: ﴿وَعَلَى الْغَوَاةِ لَهُمْ رِزْقُهُمْ وَكِسْوَتُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٦٢٤) وقال: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا السُّهْلَةَ أَمْوَالِكُمْ فِي جَلِّ اللَّهِ لَكُمْ قِيَامًا وَرِزْقُهُمْ فِيهَا وَأَنْسُوهُمْ﴾ (٦٢٥) فالأمور به هو المقدر عليه) .

(فلا بد) من سؤال الله تبارك وتعالى الطعام والكساء مع ضرورة الانتشار في الأرض طلباً للرزق أخذاً بالأسباب.. (فغن) عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) [رواه الترمذى وقال: حديث حسن] (معناه) تذهب أول النهار خماصاً أى ضامرة البطن من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أى: مُمتلئة البطن.

(يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم) أى: ترتكبون الخطايا والذنوب (بالليل والنهار) وقدم الليل على النهار لأن الليل ظلمة وهى الأصل، والنور طارئ عليها .. ولأن أكثر المعاصي والآثام إنما تعمل فى الليل، ولهذا أمرنا الله أن نستعيز ﷻ من شر غاسق إذا وقب (٣) ﴿ (٦٢٦)، وقوله: (فاستغفروني أغفر لكم) أى: اطلبوا منى مغفرة ذنوبكم أغفرها لكم فلا أؤاخذكم بها.

(ولهذا) فإنه من الخير لنا نحن المؤمنين والمؤمنات بصفة خاصة أن نكثر من

(٦٢٤) البقرة: من الآية ٢٣٣ .

(٦٢٥) النساء: من الآية ٥ .

(٦٢٦) كما قال تعالى فى سورة الفلق الآية ٣ .

الاستغفار الذى معناه طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى .. ولاسيما بسيد الاستغفار .. أى أعظم صيغ الاستغفار . (فعن) شدّاد بن أوس رضي عن النبي ﷺ قال: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربّى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء ^(٦٢٧) بذنبي ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها فى النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسيّ فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنّ بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

[رواه البخارى]

(يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرّونى، ولن تبغوا نفعى فتتفعونى): الضر بفتح الضاد وقد تضمّ معناه الضرر الذى هو ضد النفع، وقال الأزهري: كل ما كان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضرّ بالضم، وما كان ضد النفع فهو بفتحها، وقوله سبحانه: (لن تبلغوا ضرى) الخ . أى: لن تصلوا إلى ذلك ولا سبيل لكم إليه (ولن تبغوا نفعى فتتفعونى) أى: لو كانت قلوبكم جميعاً مساوية فى التقوى لأتقى قلب رجل منكم ما أحدث هذا زيادة فى ملكى وسلطانى.

(يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئاً): وهذا أيضاً بيان للمعنى المراد من قوله تعالى: (لن تبلغوا نفعى فتتفعونى) لأن الله غنى عن عباد .. وهم جميعاً فى حاجة إلى الله، وليس الله فى حاجة إليهم .. فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ^(٦٢٨)، وهو القائل سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(٦٢٩) وهو القائل: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ^(٦٣٠).

(٦٢٧) أى: أعترف لك بذنبي .

(٦٢٩) فاطر: ١٥ .

(٦٢٨) الذاريات: ٥٦، ٥٧، ٥٨ .

(٦٣٠) الزمر: من الآية ٧ .

(يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً): وهذا أيضاً بيان للمعنى المراد من قوله تعالى: (لن تبلغوا ضرى فتضرونى) أى: لو كانت قلوبكم فى الفجور مساوية لأفجر قلب رجل منكم ما أحدث ذلك نقصاً فى ملكي وسلطاني كذلك . (لأن) كل هؤلاء فى قبضة الله تبارك وتعالى .. وهو سبحانه قادر على محوهم من هذا الوجود.. ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٦٣١) . ولكنه سبحانه وتعالى ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٦٣٢) عسى أن يتوبوا إليه ويصطلحوا معه .. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٣٣)

(يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد) أى: فى مكان واحد من الأرض (فسألونى، فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ منهمُ مسألتَه ما نقص ذلك ممَّا عندى إلا كمَّا ينقصُ الخيطُ إذا أُدخلَ البحرُ) أى : أن معناه أنه لا ينقص منه شيئاً، فإن الإبرة إذا غُمست فى البحر ثم أُخرجتْ لا تكاد تحمل من مائه شيئاً، والمراد أن خزائنه سبحانه وتعالى لا تنفذ ولا تنقص بكثرة العطاء .. كما فى الحديث: (إن يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحَاء الليل والنهار)، وفى هذا حثُّ الخلق على سؤاله سبحانه وتعالى وحده، وإنزال حوائجهم به.. فهو القائل سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٦٣٤)

(يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم) أى: أحفظها وأدخرها لكم (ثم أوفيكُم إياها) أى: أوفيكُم جزاءها يوم القيامة (فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل): لأنه سبحانه وتعالى هو الذى هداه ووفقه لعمل الصالحات وقبلها منه وأثابه عليها (ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه) (٦٣٥) وذلك لأنه هو

(٦٣١) فاطر: ١٧ .

(٦٣٢) ابراهيم: من الآية ٤٢ .

(٦٣٣) التوبة: من الآية ٩١ .

(٦٣٤) غافر: من الآية ٦٠ .

(٦٣٥) وإلى هنا ينتهى نص الحديث القدسى العظيم الذى رواه مسلم واللفظ له .. مع ملاحظة أن النص هو الذى بين القوسين .. بعكس الآيات والأحاديث المُستشهد بها فى الشرح .

الذى أسرف على نفسه بالغفلة واتباع الشهوات والركون إلى العاجلة،
والتقصير فيما ينفعه ويُنجيه من عذاب الله .

(ومع هذا) فإن الله تعالى قال فى قرآنه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْظَّوُّرُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦٣٦) .

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا بن
آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن
آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء (٦٣٧) ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا بن
آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض (٦٣٨) خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً
لأتيتك بقرابها مغفرة). [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن ينتفعا بهذا الحديث القدسى
الصحيح، الذى قيل: إن أبا إدريس الخولانى كان إذا حدّث بهذا الحديث يجثو
على ركبتيه . (يعنى) برك تعظيماً، وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: هو
أشرف حديث لأهل الشام.. (وعليهما) أيضاً أن ينتفعا بالشرح الذى وقفنا عليه
حوله .. وهما يسألان الله تعالى أن يجعل كل هذا الخير .. حجة لنا لا علينا ..
اللهم آمين،،

(٥١) يا رسول الله .. ممن أنا إن أدت جميع

أركان الإسلام وكنت من الذين يُحسنون الصيام والقيام؟

عن عمرو بن مرّة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول
الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الصلوات

(٦٣٦) الزمر: ٥٣ .

(٦٣٧) عنان السماء: هو بفتح العين المهملة، قيل: هو السحاب . وقيل: ما عن لك منها أى: ظهر إذا
رفعت رأسك .

(٦٣٨) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا .

الخمسة، وأديتُ الزكاةَ، وصمتُ رمضانَ، وقمّته، فممنّ أنا؟ قال: (من الصّديقين والشهداء). [رواه البزار، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما، واللفظ لابن حبان]

(والشاهد) المراد من هذا الحديث، هو أن العبد الموفق .. هو الذي يكون بالإضافة إلى تنفيذه لأركان الإسلام.. مُحسناً للصيام والقيام فى شهر رمضان المبارك .. (فهو) بسبب هذا الإحسان - كما جاء فى إجابة النّبى ﷺ - (من الصديقين والشهداء) .. وتوضيحاً لهذا، فإن الصّدّيقية مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة .. وقد أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم، فقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٦٣٩) وقال: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٦٤٠) كما أشار الله تعالى إلى هذا أيضاً فى قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (٦٤١)، وقد وصف الله سبحانه وتعالى (مريم) عليها السلام .. بأنها صديقة (٦٤٢) .. وكان أبو بكر رضي الله عنه (صديق) هذه الأمة .. لأنه صدّق الرسول ﷺ يوم أن كذّبه الناس فى صبيحة الإسراء.

وأما الشهيد: فهو مَنْ قُتِلَ مجاهداً فى سبيل الله، وسُمّي بذلك لشهادة الله وملائكته له بالجنة، وقيل: لأنه حى لم يمّت، وقيل: لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى قُتِلَ، وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل فى سبيل الله .

فَحَسْبَ المشار إليه فى الحديث الشريف - الذى ندور حوله - أن يفوز بكل هذا الخير العظيم.. هذا بالإضافة إلى المشار إليه فى هذا الحديث الشريف الصحيح، الذى ورد: عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النّبى ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً: غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، ومَنْ صام رمضان إيماناً

. (٦٣٩) مريم: ٤١ .

. (٦٤٠) مريم: ٥٦ .

. (٦٤١) النساء: من الآية ٦٩ .

(٦٤٢) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى سورة المائدة الآية ٧٥ حيث يقول عن سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿ .. وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ .. ﴾

واحتساباً: غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، وابن ماجه مختصراً]

ومعنى قوله ﷺ: (إيماناً واحتساباً) أى: طلباً لوجه الله وثوابه .. بعد الإيمان والتصديق بفضل هذا الشهر الكريم .. وفرضية الصيام فيه .. وبشرف ليلة القدر العظيم التى أنزل الله تعالى القرآن فيها: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَآثَرُ الْقُرْآنِ﴾ (٦٤٣) .. والاحتساب فى الأعمال الصالحة وعند المكروهات .. هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال البر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها .
أسأل الله سبحانه وتعالى .. أن ينفعنا بهذا التذكير .. اللهم آمين،

(٥٢) امهد إلى .. يا رسول الله

عن أبى جرئ جابر بن سليم رضي الله عنه، قال: رأيت رجلاً يصدرُ الناسُ عن رأيه (٦٤٤)، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه (٦٤٥)، قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ . قلت: عليك السلام يا رسول الله. قال: (لا تقل: عليك السلام، عليك السلام تحية الميت (٦٤٦)، قل: السلام عليك). قلت: أنت رسول الله؟ قال: (أنا رسول الله الذى (٦٤٧) إذا أصابك ضرٌّ (٦٤٨)، فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عامُ سنة (٦٤٩) فدعوته أنبتها لك، وإذا كنتَ بأرضٍ قفر (٦٥٠)، أو فلاة (٦٥١)، فضلتُ راحلتك (٦٥٢)، فدعوته ردها عليك (٦٥٣)). قال قلت:

(٦٤٣) البقرة: من الآية ١٨٥ .

(٦٤٤) أى: يرجعون إليه فى كل ما يهمهم، ويأخذون رأيه حجةً ومنازلاً لهم .

(٦٤٥) أى: مالوا إليه وقبلوه ونفذوه .

(٦٤٦) يعنى: أنها تقال فى رثاء الميت .

(٦٤٧) نعت للفظ الجلالة المضاف إليه .

(٦٤٩) أى: جذب وقحط .

(٦٥١) الظاهر أن أو للشك لأن القفر والفضة بمعنى واحد .

(٦٥٢) أى: الناقة التى شردت وغابت عن عينك .

(٦٥٣) أى: مكنتك من العنور عليها .

اعْهَدْ إِلَى (٦٥٤). قال: (لا تَسْبِنَنَّ أَحَدًا) (٦٥٥)، فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قال: (وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ) (٦٥٦)، وَأَنْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ، وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ (٦٥٧)، إِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعِ إِزَارَكَ (٦٥٨) إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ (٦٥٩)، فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ (٦٦٠)، فَإِنَّهَا مِنَ الْمُخِيلَةِ، وَإِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُخِيلَةَ (٦٦١)، وَإِنْ أَمْرًا شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فَيْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ (٦٦٢) عَلَيْهِ). [رواه أبو داود، واللفظ له، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والنسائى مختصرًا]

وفى رواية لابن حبان نحوه، وقال فيه: (وَإِنْ أَمْرًا عَيْرَكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ فَيْكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ، وَدَعَّهُ يَكُونُ وَبَالَ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تَسْبِنَنَّ شَيْئًا) قال: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَ ذَلِكَ دَابَّةً وَلَا إِنْسَانًا .

(فهذا) حديث عظيم قد اشتمل على كثير من الوصايا العظيمة، والإرشادات الحكيمة، التى زُوِّدَ بها الحبيبُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه راوى الحديث المبارك عندما قال له: يا رسول الله اعهد إلى؟، أى: أوصنى بوصايا تنفعنى وألتزم بها طوال حياتى حتى أكون بها أو بسببها من أهل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .. (فزوده) النبى صلوات الله وسلامه عليه بتلك الوصايا المباركة .. التى رأيتُ من الخير أن أدور حولها .. حتى ننتفع بها نحن كذلك فى دنيانا وأخرانا إن شاء الله .. وبتوفيق منه سبحانه وتعالى.

(٦٥٤) أى: أوصنى .

(٦٥٥) أى: لا تتعد على أحد بسبٍ ولا شتم .

(٦٥٦) بذلته لغيرك أو بذله لغيرك إليك .

(٦٥٧) أى: كلمه حال كونك منبسط الوجه والأسارير .

(٦٥٨) أى: قصره .

(٦٥٩) أى: كرهت تقصيره إلى هذا الحد .

(٦٦٠) أى: إرخاءه .. وإطالته حتى يجز على الأرض .

(٦٦١) أى: الكبر .

(٦٦٢) أى: إثمه وسوء عاقبته .

(وإذا) كان لى الآن بعد هذا التقديم .. أن أدور حول هذا الكنز المحمدى الثمين .. فإننى أرى أن أبدأ ببعض الإشارات التى جاءت فى أول الحديث، وهى قوله صلوات الله وسلامه عليه:

(أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضرٌّ، فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر، أو قلاة، فضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك): نعم، إنه الله القادر، إنه الله المنعم المتفضل علينا بنعمه العظيمة التى لا تحصى ولا تعد.. إنه الله القادر الذى إذا أراد شيئاً قال له: (كن فيكون) .

(ولهذا) كان لابد أن نعتقد هذا، وأن نكون دائماً وأبداً أهلاً لفضل الله تبارك وتعالى الذى: (يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء)، والذى يقول فى قرآنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولكن بشرطين ذكرهما الله بعد ذلك فقال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٦٦٣).

(ولا بد) كذلك أن نكون من الآكلين للحلال:

(فعن) أبى هريرة رضي قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (٦٦٤)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (٦٦٥)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام: فأنى يستجاب له).

فلا بد إذن أن يكون المأكل والمشرب والملبس من حلال إذا أردنا أن يستجيب الله تبارك وتعالى، منّا دعاءنا ... والله درٌّ من قال:

الطاعة مخزونة فى خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال.

(٦٦٣) البقرة: ١٨٦ .

(٦٦٤) المؤمنون من الآية ٥١ .

(٦٦٥) البقرة: من الآية ١٧٢ .

(والآن)، نبدأ فى توضيح ما عهد الرسول ﷺ به إلى الصحابى الراوى،

وهو:

● لا تَسْبِنَ أَحَدًا: (وذلك) : لأن سُبَابَ المسلم فسوق، أى: خروج عن طاعة

الله عز وجل .

(فعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ قُسُوقٌ،

[رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه]

وَقَاتِلُهُ كُفْرٌ).

(وإذا) كان الراوى عليه رضوان الله تعالى قد قال بعد ذلك: (فما سببتُ بعده

حُرًا، ولا عبدًا، ولا بعيْرًا، ولا شاةً)، (فإن) هذا معناه، أن الرجل قد أراد أن

يكون هذا النصح ، حجة له لا عليه .. ولهذا نفذه طوال حياته .. (وهذا) معناه

كذلك: أنه ليس مشروعاً .. أن تسبَّ أحدًا .. حتى ولو كان بعيْرًا أو شاةً.

(فعن) عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره،

وامرأة من الأنصار على ناقه، فَضَجَرَتْ^(٦٦٦) فَلَعَنَتْهَا^(٦٦٧) فسمع ذلك رسول الله

ﷺ فقال: (خذوا ما عليها، ودَعَوْهَا^(٦٦٨)، فإنها ملعونة^(٦٦٩))، قال

عمران: فكأننى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد^(٦٧٠) .

[رواه مسلم وغيره]

قال النووى: (إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهىها ونهى

غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقه، والمراد النهى عن مصاحبتك لتلك الناقه

فى الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها فى غير مصاحبتك ﷺ، وغير ذلك من

التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا، فهى باقية على الجواز، لأن الشرع إنما

ورد بالنهى عن المصاحبة فبقى الباقي كما كان) .

(٦٦٦) أى: الناقه، أى: أنها كَلَّتْ وتعبت وأبطأت فى السير .

(٦٦٧) أى: دعت عليها باللعنة .

(٦٦٨) أى: اتركوها بلا ركوب على ظهرها .

(٦٦٩) وفى رواية: (لا تصحبنا ناقه عليها لعنة).

(٦٧٠) أى: يتعرض لها بركوب ولا غيره .

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَسْبُوا الديك فإنه يُوقظ للصلاة (٦٧١)) [رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه] إلا أنه قال: (فإنه يدعو للصلاة) رواه النسائي مسنداً ومرسلاً.

● ولا تَحْقِرَنَّ شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت مُنْبَسِطُ الوجه، إن ذلك من المعروف:

(وقد) ورد هذا في عدة أحاديث، منها، ما ورد:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق). [رواه مسلم]

(فهذا) الحديث العظيم يدل على اهتمام الإسلام بنشر روح المودة والتعاطف والتبازل بين الإخوان، وأن ذلك لا يُعَدُّ قَلِيلُهُ قَلِيلاً، فإنه عند الله بمكان عظيم (ومعنى): (ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق): أى لا تستقلنَّ أقل معروف تبذله لأحد من إخوانك، ولو كان هذا المعروف لقاءك إياه بوجه منبسط متهلل، يقال: طلق الوجه وطليقه ومنطلقه ومتطلقه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كُلُّ معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق (٦٧٢)، وأن تُفَرِّغَ من دلوك في إناء أخيك). [رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وصدده في الصحيحين من حديث حذيفة وجابر]

(وإذا) كان هناك ضيف... يحتقر ما يُقدِّمُ إليه من طعام، فإننى أذكره . (على سبيل الترهيب) بالحديث الآتى:

(عن) عبدالله بن عميرة، قال: دخل على جابر رضي الله عنه، نفر من أصحاب النبي ﷺ: فقدَّم إليهم خُبْراً وَخَلًّا (٦٧٣)، فقال: كُلُوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(٦٧١) يعنى: أنه بصياحه ينبه النائمين ويوقظهم لصلاة الفجر .

(٦٧٢) أى: ومن جملة المعروف أن تبش في وجه أخيك إذا لقيته .

(٦٧٣) لأن ذلك هو الذى كان موجوداً عنده فى ذلك الوقت .

(نَعْمَ الإِدَامُ الخُلُّ (٦٧٤). إنه هلاكٌ بالرجل (٦٧٥) أن يدخل إليه النفر من إخوانه (٦٧٦)، فيحتقر ما فى بيته (٦٧٧) أن يقدمه إليهم، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقرُوا ما قُدِّمَ إليهم) رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى إلا أنه قال: (وكفى بالمرء شركاً أن يحتقر ما قُرِبَ إليه) وبعض أسانيدهم حسن، (ونعم الإدام الخُلُّ) فى الصحيح، ولعل قوله: (إنه هلاكٌ بالرجل ..) إلى آخره من كلام جابر مُدرج غير مرفوع.

وأذكره أيضاً بقول الشاعر:

لا تَكُنْ ضَيْفًا ثَقِيلًا يَكْرَهُ النَّاسُ لِقَاءَكَ
فَعَسَاهُ مُسْتَمِدًّا لك من قوم عشاءك
وعسَاهُ مُسْتَعِيرًا من جار غطاءك
إن فى الفندقِ مأواك وفى السوقِ غذاءك
رُبَّ مَنْ يَلْقَاكَ هَشًّا كسر الزيرَ وراءك

• وارفَع إِزَارَكَ إلى نصف الساق، فإِنَّ أبيتَ، فإلى الكعبين، وإياك وإِسْبَالَ الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يُحب المخيلة، (أى الكبر): (وقد) ورد فى هذا عدة أحاديث منها، ما ورد:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار (٦٧٨)) [رواه البخارى، والنسائى] (وفى) رواية النسائى: (إزره) (٦٧٩)

(٦٧٤) وقد روى لهم جابر هذا الحديث لكيلا يزدروا ما قُدِّمَ إليهم أو يحتقروه.

(٦٧٥) أى: ارتكاب منه لأمر شنيع وجُرْمٌ فظيع .

(٦٧٦) أى: يجيئوا إليه زائرين .

(٦٧٧) فإن احتقاره لذلك يمنعه من أداء واجب الضيافة وفيه ازدراء للنعمة.

(٦٧٨) يعنى: ما غطاه الإزار بعد الكعبين من قدم صاحبه فهو فى النار عقوبة له على إسبال الإزار، وما يجره من الزهو والخيلاء .

(٦٧٩) هو بكسر الهمزة الحالة وهيئة الاتزار .

المؤمن إلى عَصَلَة ساقه (٦٨٠)، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه، وما تحت الكعبين من الإزار ففي النار) .

وعن أنس رضي عنه قال: حميد (٦٨١) كانه يعنى النبى ﷺ قال: (الإزار إلى نصف الساق، فشق عليهم، فقال: أو إلى الكعبين (٦٨٢)، لا خير فيما فى أسفل من ذلك) .

وعن أبى ذر الغفارى رضي عنه عن النبى ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: المُسْبِلُ، والمُنَّانُ، والمنفق سلّعتَه بالحلف الكاذب) وفى رواية: (المسبل (٦٨٣) إزاره) . [رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

• وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلمُ فيك، فلا تُعيرهُ بما تعلمُ فيه، فإنما وبال ذلك عليه: (وإن) التعليق على هذا، يتلخص فى أنه ينبغى على المؤمن الصادق أن لا يقابل الإساءة بالإساءة .. وإنما يقابلها بالإحسان الذى هو حُسن الخلق الذى هو خلق رسول الله ﷺ:

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا مُتفحشاً، وكان يقول: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً).

[رواه البخارى ومسلم والترمذى]

وعن أبى الدرداء رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسن، وإن الله يَبْغِضُ الفاحش (٦٨٤) البذيء (٦٨٥)) [رواه الترمذى، وأبن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث

(٦٨٠) المضلة: كل عصبه معها لحم مجتمع .

(٦٨١) هو فعيل بمعنى مفعول، أى محمود .

(٦٨٢) يعنى: لا حرج على من أطانه إلى الكعبين .

(٦٨٣) المسبل هو الذى يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض كأنه يفعل ذلك نجبراً واختيالاً .

(٦٨٤) الفاحش الذى يقول الفُحش، والمتفحش الذى يستعمل الفحش ليُضحك الناس .

(٦٨٥) البذيء، هو المتكلم بالفحش، وردىء الكلام.

حسن صحيح]، وزاد فى رواية له: (وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة).

[ورواه بهذه الزيادة البزار بإسناد جيد لم يذكر فيه: (الفاحش البذىء)]

(هذا) وإذا كان الذى تتعامل معه سىء الخلق لدرجة أنه يقابل إحسانك إليه بالإساءة إليك .. (فإياك) أن تعامله بالمثل حتى لا يضيع ثوابك .. (ودعه) لله سبحانه وتعالى، يتصرف معه كيف يشاء .. وإن دعوت الله تعالى أن يهديه كما هداك .. فإنك إن شاء الله ستثاب على هذا .. لأنك ستكون بهذا من (العافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة أن يذكر كل هذا، وهما يعقدان العزم على تنفيذه، والعمل بما فيه من الإشارات، والتنبيهات والتحذيرات.. كما فعل الصحابى الجليل راوى هذا الحديث العظيم .. حتى يكون هذا الحديث بكل ما فيه من الخير الكثير حجة لنا لا علينا .. وعليهما كذلك أن يعملوا على التذكير بهذا الخير .. حتى يفوزا بما جاء فى هذا الحديث:

(إن الله وملائكته، وأهل سمواته وأرضه، حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت فى البحر ليصلون (٦٨٦) على معلمى الناس الخير).
والله ولى التوفيق،،

٥٣) هل أكلُ الثوم والبصل والكراث ..

حرام يا رسول الله ؟

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، قال: ذُكِرَ عند رسول الله ﷺ الثومُ والبصلُ، قيل: يا رسول الله، وأشد ذلك كله الثوم، أفتحرمه؟ فقال النبى ﷺ: (كلوه، ومن أكله منكم فلا يقرب هذا المسجد حتى يذهبَ ريحُه منه). [أخرجه أبو داود]

(٦٨٦) الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء .

(وإنّا) كان لنا أن ندور حول هذا الحديث، فإننى أحب أن أذكر الأخ المسلم بأنه من الأحاديث الهامة التى ينبغى علينا أن ندرسها ونعرف أهم أحكامها (وقد) جاء فى (الدين الخالص) ^(٦٨٧)، فى باب:

مَا تُطَهَّرُ عَنْهُ الْمَسْجِدُ

حيث يقول: ويلزم صيانة المسجد عن الروائح الكريهة فيحرم على من تناول ذا رائحة كريهة كثوم ويصل دخول المسجد قبل إزالتها:

(لحديث) جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكِرَاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ) [أخرجه الشيخان]، وكذا أحمد بلفظ: (مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا وَلْيَقْعِدْ فِي بَيْتِهِ).

[وأخرجه النسائي والترمذي]

(والمراد): تناول ما ذكر وهو نىء لأنه ذو الرائحة الخبيثة المؤذية، بخلاف ما إذا كان مطبوخًا فلا يشمل النهى: لذهاب تلك الرائحة منه (ولقول) على رضي الله عنه: نهى عن أكل الثوم إلا مطبوخًا (ولحديث) معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن هاتين الشجرتين ^(٦٨٨)، وقال: (من أكلهما فلا يقربن مسجدنا . وقال: إن كنتم لا بد آكليهما فأنضجوهما طبخًا).

(وقد) خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة، فقال فى خطبته: ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أوامها إلا خبيثتين: البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمْتِئْهُمَا طَبْخًا ^(٦٨٩) . [أخرجه أحمد ومسلم والنسائي]

(هذا) والنهى عام فى كل المساجد والمجامع (والإضافة) فى قوله صلى الله عليه وآله: (فلا

(٦٨٧) ج ٣ ص ٣٠٧ وما بعدها . . . الخ .

(٦٨٨) يعنى: الثوم والبصل .

(٦٨٩) أى: من أزد أكلهما فليذهب رائحتهما بالطبخ، والمراد بإماتة الشىء: إذهاب قوته وحده .

يقربنُ مسجدنا): (للاستغراق) أى: فلا يقربن مساجد المسلمين (ويؤيده):
حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَأْتِيَنَّ
المساجد). [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود]

(وهذا) يدفع قول مَنْ خَصَّ النَّهْيَ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ كما حكاه ابن بطال عن
بعض أهل العلم . وضَعْفُهُ (وقال) ابن جريج: قلت لعطاء: هل النهي للمسجد
الحرام خاصة أو فى المساجد ؟ قال: لا، بل فى المساجد . [أخرجه عبد الرزاق]

(وقال النووى)، بعد ذَكَرَ حديث ابن عمر: هذا تصريح بنهى من أكل الثوم
ونحوه عن دخول المسجد . وهذا مذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضى عياض
عن بعض العلماء: أن النهي خاص بمسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم،
لقوله فى رواية: (فلا يقربنُ مسجدنا) وحجة الجمهور: (فلا يقربن المساجد).

(هذا) ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة كالفجل إذا
كان آكله يَتَجَشَّأُ، ومن به بَخَرٌ (٦٩٠) أو جرح له رائحة. ويلحق بالمساجد مجامع
الصلاة وغيرها كَمُصَلَّى العيد، والجنائز، ومجامع العلم والذكر والولائم، ولا
يلحق بها الأسواق ونحوها . (وفى الحديث) دليل على منع مَنْ أَكَلَ الثَّوْمَ مِنْ
دخول المسجد وإن كان خاليًا، لأنه محل الملائكة، ولعموم الأحاديث ا هـ كلام
النووى مُلْخَصًا.

(وقال) البدر العينى: ونص على الفجل فى المعجم الصغير للطبرانى وذكره
مع الثوم والكراث ا هـ .

(ومما تقدم) تعلم أن تناول البصل والثوم والفجل والكراث ونحوها من كل
ما له رائحة كريهة حرام فى المسجد على من أراد دخوله، وفى المجتمعات قبل
أن تذهب رائحته، وإلَّا فأصل أكله جائز مع الكراهة أو خلاف الأولى (لحديث)
جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : (مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزَلْنَا،
أَوْ فَلْيَعْتَزَلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعِدْ فِي بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ أَتَى بِقَدْرِ (٦٩١) فِيهِ خَضِرَات

(٦٩٠) البخر بفتحين: الرائحة الكريهة تخرج من الفم .

(٦٩١) القدر، بكسر فسكون: إناء يطبخ فيه .

من البقول (٦٩٢) فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال (قربوها) إلى بعض أصحابه (٦٩٣) كان معه . فلما رآه كره أكلها. قال: (كُلْ فإني أناجى من لا تُناجى (٦٩٤)). [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود] (ولحديث) أبى أيوب أن النبى ﷺ أرسل إليه بطعام من خَضْرَات فيه بصل أو كراث، فلم ير فيه أثر رسول الله ﷺ فأبى أن يأكله، فقال له: ما منعك؟ قال: لم أر أثر يدك. قال: (أستحي من ملائكة الله، وليس بمحرّم).

[أخرجه ابن حبان وابن خزيمة]

(ولقول) أبى سعيد الخدرى: لم نَعُدْ أن فُتِحَتْ خيبر فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ فى تلك البقلة الثوم، والناس جياع فاكلنا منها أكلاً شديداً، ثم رحنا إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ الريح، فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يَقْرَبْنَا فى المسجد) فقال الناس: حرمت حرمت، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال: (أيها الناس، إنه ليس لى تحريمٌ ما أحلَّ الله لى، ولكنها شجرةٌ أكره ريحها).

(ولحديث) أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ مرَّ على زُرَاعَة بصل هو وأصحابه، فنزل ناس منهم فأكلوا منه، ولم يأكل آخرون، فَرُحْنَا إليه فدعا الذين لم يأكلوا البصل، وأخَّرَ الآخرين حتى ذهب ريحها . [أخرجه مسلم] ثم بعد ذلك، يقول فى (الدين الخالص) كلاماً هاماً.. لا بد أن نقف عنده وقفه إيجابية، أرجو أن ننتفع بها وبه، وهو:

(ومثل) الثوم والبصل فى خبث الرائحة (الدخان)، بل هو أخبث ويضر فلا يجوز تعاطيه... (ولهذا)، فهو حرام.. من أربعة أوجه (٦٩٥): (الأول): كونه

(٦٩٢) خضرات بفتح الحاء وكسر الصاد .. (والبقول) جمع بقل، وهو نبت لا ساق له كالفجل والكراث.

(٦٩٣) مروى بالمعنى، فإن الرسول ﷺ إنما قال: قربوها إلى فلان مثلاً.

(٦٩٤) يعنى: الملائكة.

(٦٩٥) انظر هامش ص ٣١٠ وما بعدها (الدين الخالص) ج ٣ .

مضراً بإخبار الأطباء المُعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقاً.
(الثانى) كونه من المخدرات المتفق عليها عندهم، المنهى عن استعمالها شرعاً
(لقول) أم سلمة: نهى النبي ﷺ (عن كل مسكر ومُفتر) [أخرجه أحمد] ..
(وهو) مُفتر باتفاق الأطباء، وكلامهم حجة فى هذا ونحوه .

(الثالث): كَوْن رائحته كريهة تؤذى من لا يستعمله ولاسيما فى مجامع
الصلاة، ونحوها، بل وتؤذى الملائكة (فعن جابر) أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَكَلَ
الثومَ والبصلَ والكراثَ، فلا يقربنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى
منه بنو آدم). [أخرجه الشيخان]

(ومعلوم) أن رائحة الدخان ليست أقل خبيثاً من رائحة الثوم والبصل (وعن
أنس) أن النبي ﷺ قال: (مَنْ آذَى مسلماً فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله
تعالى). [أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند حسن]

(الرابع) كونه سرفاً، إذ لا نفع فيه بل ضرره مُحقق. (قال) فى الدر المختار:
والثتن - بضم تين -: الدخان الذى حدث بدمشق سنة خمس عشرة بعد الألف،
يدعى شاربه أنه لا يُسكر، وإن سلم فإنه مُفتر وهو حرام (لحديث) أحمد عن أم
سلمة قال: (نهى ﷺ عن كل مسكر ومُفتر)، وليس من الكبائر تناوله المرة
والمرتين. ومع نهى ولى الأمر عنه حرم قطعاً . نعم الإصرار عليه كبيرة كسائر
الصغائر اهـ بتصرف. (ولا فرق) فى حرمة استعماله بين مضغه، واستنشاقه،
وتدخينه. ومضغه أقبحها وأشدّها ضرراً، ثم تدخينه، ثم استنشاقه .

(هذا)، وإذا كان الله تبارك وتعالى يقول فى قرآنه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ ..﴾ (٦٩٦) (فإنه) قد ثبت بإجماع العلماء والأطباء والعقلاء: بأن شرب
الدخان فيه تهلكة، حذر منها حتى صانعه .. كما نلاحظ هذا على علبة هذا
الملعون .. الذى تحقق الضرر به صحياً، واقتصادياً، بل واجتماعياً.
والدليل على ضرره الصحى: هلاك الجسم .. بتلك الصورة التى لا تدع

(٦٩٦) البقرة: من الآية ١٩٥ .

مجالاً للشك والمناقشة .. بل .. وقد قال الأطباء المتخصصون بأنه يتسببُ والعياذ بالله فى مرض السرطان .. وقال أحدهم: إن السجارة الواحدة فيها (نيكوتين) لو وُضع فى حقنة وأعطيت لجمل لقتلته.. وقال: إن شرب الدخان يضر الجنين فى بطن أمه.

والدليل على ضرره الاقتصادى، هو الخراب.. الذى يحدث فى كل لحظة - على المستوى العام والخاص - بسبب شرب الدخان .. فشارب الدخان يشتري بأكثر دخله من مرتبه أو تجارته دخاناً .. وآلاف العمال الذين يعملون فى مصانع هذا الملعون .. لا يصنعون غير الخراب والضياع لكل من يتعامل معهم (وكان) من الممكن لو كانت هناك عقول مستتيرة أن يشتغلوا فيما هو خير .. ولاسيماً إذا كان غذاءً وبناءً.

والدليل على ضرره الاجتماعى .. هو أن فيه ضياعاً لحقوق من يعول من زوجة، وأولاد، وكل قريب يجب عليه نفقته.. (فهو) يسرق قوت هؤلاء .. لكى يشرب به دخاناً .. فى الوقت الذى نرى فيه أفراد أسرته فى حالة صحية ومظهرية يُرثى لها .. وقد يصل الأمر بهم إلى حد التسول والعياذ بالله.. (وقد) روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول). وروى الإمام أحمد أيضاً أن الرسول ﷺ قال: (لا ضرر ولا ضرار) (ولاسيما) إذا كان هذا الضرر سينسحب علينا نحن كذلك - نحن الأصحاء الذين عافانا الله تعالى من شرب الدخان.

(إن) شارب الدخان هذا - هذا الذى نسأل الله تعالى أن يعافيه كما عافانا - إنه يجلس على مقربة منا .. دون حياء أو استحياء - لكى يلوث الجو الذى حولنا بهذا التدخين المتفق على أنه من (الخبائث) وليس من (الطيبات) .. وإذا ما أراد أحدنا أن يطالبه بأن ينتهى عن شربه .. أو على الأقل يبتعد عنا .. فإنه قد يتعرض لسيل من الشتائم التى تؤكد أن هذا (المجرم) فى حق نفسه وحق كل من حوله .. لم يعد صاحب عقل سليم .. وقيماً قالوا: (العقل السليم فى الجسم السليم) وكيف يكون الجسم سليماً وهناك هدم مستمر فى كيانه .. ولهذا فإن

أكثر هؤلاء ينتهى الأمر بهم، إما إلى المستشفى أو إلى القبر .. وربما إلى مستشفى الأمراض العقلية .. وإن شئتَ فقل: إلى السجن .. لأنه قد يسرق لكى يشتري دُخانًا .. أو حشيشًا .. أو ما شابه هذا من الممنوعات.

فعلى الأخ المسلم .. المبتلى بداء التدخين أن يثوب إلى رشده .. فيقلع عن هذه العادة الخبيثة قبل أن ينتهى الأمر به وبكل أفراد أسرته .. إلى الهلاك أو إلى الضياع والعياذ بالله.

(وعليه) أن يتقى الله فى صحته وصحة أهله .. ويدّخر هذا المال الذى يحرقه .. لصالح نفسه وصالح أهله .. وصالح من تجب عليه نفقتهم .. بل ولصالح وطنه .. إذا كان مستغنياً عنه

(وعلى) الأخت الزوجة لهذا المريض المبتلى.. أن تكون طيبة له، بالحسنى، وبتذكيره بأنه لا بد وأن يحافظ على صحته، وصحة أولاده .. وذلك بأن يشتري لهم بئس هذا الدخان.. ما هم فى حاجة إليه من الطعام والكساء .. الخ . عسى أن يستجيب إن شاء الله ببركة هذا التذكير الذى ينبغى أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة.

(وعليها) أيضاً إذا كانت (قد تفرجت) واستطاع الشيطان أيضاً أن يضحك عليها .. حتى أصبحت هى الأخرى - والعياذ بالله - من المدخنين أو المدخنات: أن تثوب أيضاً إلى رشدها، فتقلع عن هذا التدخين الذى نسال الله تعالى أن يعافينا جميعاً منه .. لصالح أنفسنا، ولصالح أهلينا.. بل ولصالح أمتنا.. (كما) أسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المنفذين لما أوصانا به النبى ﷺ فى نص (الفتوى) التى ندور حولها، وهى ألا نأكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً .. عندما نريد أن نذهب إلى المساجد أو الجامع الدينية ونحوها .. حتى لا نكون من المؤذنين لغيرنا بسبب تلك الرائحة الكريهة التى ستنبعث من أفواهنا .. اللهم إذا أمتنا الثوم والبصل .. بالطبخ ..

والله ولى التوفيق،،

(٥٤) فَمَنْ الَّذِي يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل (٦٩٧) عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، (٦٩٨) قالوا: فمن الذي يُطِيقُ ذلك يا رسول الله (٦٩٩)؟ قال: النَّخَامَةُ في المسجد يَدْفِنُهَا (٧٠٠)، أو الشَّيْءُ يُنْحِيهِ عن الطَّرِيقِ (٧٠١)، فَإِنْ لم يَقْدِرْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزَى (٧٠٢) عنه) [رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما]

وعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُصْبِحُ عَلَيَّ كُلَّ سَلَامَى (٧٠٣) مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى (٧٠٤) مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

قال الشوكاني: (والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها، وتأكد مشروعيتهما، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والداومة، ويدلّان أيضاً على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودفن النخامة، وتنجية ما يؤذى المارّ عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة في كل يوم).

- (٦٩٧) المفصل: كل ملتقى عظيم من الجسد وجمعه مفاصل .
- (٦٩٨) أي: أنه واجب على الإنسان أن يقدم صدقة كل يوم عن كل مفصل .
- (٦٩٩) إن هذا التساؤل معناه أنهم ظنوا أن الصدقة لا تكون إلا من المال .
- (٧٠٠) أي: يدفنها ويغطيها في تراب المسجد حتى لا تؤذى أحداً من الصليين .
- (٧٠١) وذلك مثل الشوك والحجارة وقشر الموز ونحوه مما يؤذى المارة .
- (٧٠٢) بفتح أوله، بمعنى جزى جزى أي كفى . وضمه من الإجزاء .
- (٧٠٣) قال النووي: هو بضم السين وتخفيف اللام وأصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل في عظام البدن ومفاصله .
- (٧٠٤) يجزى - بفتح أوله - بمعنى يكفى، أو بضمه ويكون من الإجزاء .

ولهذا، فقد كان النبي ﷺ يُرَغَّبُ في صلاة الضحى:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصانى خليلي ﷺ بثلاث: (بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام) [رواه البخارى ومسلم] وصلاة الضحى عبادة مستحبة ^(٧٠٥) فمن شاء ثوابها فليؤدها وإلا فلا تثريب عليه فى تركها:

فعن أبى سعيد رضي الله عنه قال: (كان ﷺ يُصلى الضحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها). [رواه الترمذى وحسنه] ويبتدئ وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح ^(٧٠٦) وينتهى حين الزوال ^(٧٠٧)، ولكن المستحب أن تؤخر إلى أن ترتفع الشمس ويشد الحر.

فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ على أهل قُباة ^(٧٠٨) وهم يصلون الضحى، فقال: (صلاة الأوابين ^(٧٠٩) إذا رَمَضَتِ الفِصَالُ ^(٧١٠) من الضحى) [رواه أحمد ومسلم والترمذى]

وأقل ركعات - صلاة الضحى - اثنتان كما جاء فى حديث أبى ذر رضي الله عنه، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله صلوات الله وسلامه عليه اثنتا عشرة ركعة.

وقد ذهب قوم - منهم أبو جعفر الطبرى وبه جزم الحلیمى والرويانى من الشافعية - إلى أنه لا حدَّ لأكثرها .

قال العراقى فى شرح الترمذى: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين أنه

(٧٠٥) أى: أنها ليست من السنن المؤكدة التى يثاب الإنسان على فعلها ويعتاب على تركها، وإنما هى من السنن المستحبة أى الغير مؤكدة التى يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاتب على تركها .

(٧٠٦) أى: بعد شروق الشمس بوقت قصير بمقدار ثلث الساعة تقريباً، وهذا أول وقت صلاة الضحى .

(٧٠٧) حين الزوال: أى حين ارتفاع الشمس فى جو السماء وقبل صلاة الظهر .

(٧٠٨) قُباة: مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين .

(٧٠٩) الأوابين: أى الراجعين إلى الله تبارك وتعالى .

(٧١٠) رَمَضَتِ: أى احترقت . والفِصَالُ: جمع فصيل، وهو ولد الناقة، أى: إذا وجدت الفِصَالُ حر

الشمس، ولا يكون ذلك إلا عند ارتفاعها .

حصرها في اثنتي عشرة ركعة، وكذا قال السيوطي.

وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سئل: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يُصلُّونها؟ فقال: نعم .. كان منهم مَنْ يُصَلِّي ركعتين، ومنهم مَنْ يُصَلِّي أربعاً، ومنهم من يمد إلى نصف النهار .

وعن أم هانئ أن النبي ﷺ صلى سُبْحَةَ الضْحَى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين . [رواه أبو داود بإسناد صحيح]

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: (كان النبي ﷺ يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله). [رواه أحمد ومسلم وابن ماجه]

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه حتى يفوزا بهذا الثواب المشار إليه فى هذه الأحاديث الشريفة فضلاً عن أداء الصدقات التى ينبغى على الإنسان المسلم - ذكراً كان أم أنثى - أن يؤديها عن كل سلامى من جسده ، وذلك حتى يكون هذا الجسد مباركاً ومحفوظاً برعاية الله تبارك وتعالى .. والله ولى التوفيق،،

(٥٥) دُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

على ما يمحو الله به الخطايا .. ويكفر به الذنوب

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : إسباغ^(٧١١) الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلکم الرباط^(٧١٢) . [رواه مسلم]

(٧١١) أى : إتمام الوضوء عند البرد والألم والمرض .. ونحو ذلك.

(٧١٢) أى : الوقوف على الحدود لحماية بلاد المسلمين .. وقد شبه النبي المنتظر للصلاة بالرباط لأنه يجاهد نفسه .. وجهاد النفس أكبر من جهاد العدو .. كما ورد فى الحديث الشريف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَاتِهِ إِحْدَاهَا تَحَطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ). [رواه مسلم]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة). [رواه البخاري ومسلم]

ففي هذه الأحاديث الشريفة .. ومن خلال إجابة الرسول ﷺ في الحديث الأول .. ومن مضمون الحديث الثاني والثالث: يتجلى لنا وبوضوح أهم الأعمال الصالحة .. التي بها أو بسببها يمحو الله الخطايا .. ويكفر الذنوب .. بل ويرفع الدرجات .

ولما كنا جميعاً كمؤمنين - إن شاء الله - في أشد الحاجة إلى تحقيق هذا الخير .. فإنني أرى أن أبدأ الآن في توضيح المعنى المراد من الحديث الأول .. ثم المراد من الحديث الثاني والثالث.

فقد قال النبي ﷺ - وهو معلماً^(٧١٣) - : (ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويكفر به الذنوب؟)، وهذا القول الكريم معناه، أنه صلوات الله وسلامه عليه .. كان ولا يزال - بهديه وتعاليمه - يُحب الخير لنا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. حتى نخرج من هذه الدنيا .. ونحن من الأخيار الأطهار الذين مُحيت خطاياهم، وغُفرت ذنوبهم .. بسبب تلك الأعمال الصالحة التي دلَّنا عليها صلوات الله وسلامه عليه .. والتي منها:

(إسباغ الوضوء على المكاره)، وهذا التنبيه معناه، أنه ينبغي على المسلم أن يلاحظ وهو يتوضأ ضرورة إتمام هذا الوضوء .. حتى ولو كان هذا الإتمام المشار إليه بكلمة: (إسباغ) عند البرد والألم والمرض .. (وذلك) لأن الوضوء هو الأساس في الصلاة .. ففي الحديث الصحيح:

(٧١٣) كما ورد في حديث شريف يقول فيه: (إنما بُعثتُ معلماً) صلوات الله وسلامه عليه .

(لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) (٧١٤).

(ولابد) أن يكون هذا الوضوء على أساس من العلم بوضوء رسول الله ﷺ:
(فعن) حمران بن أبان قال: دعا عثمان رضي الله عنه بماء وهو على المقاعد فسكب على يمينه فغسلها، وفي رواية: (فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما) ثم أدخل يمينه في الإناء فغسل كَفَّيْهِ ثلاثاً، ثم غَسَلَ وجهه ثلاث مرارٍ ومضمض واستنشق واستنثر. وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه، وأمرَ بيديه على ظهر أذنيه. ثم غسل رِجْلَيْهِ إلى الكعبين ثلاث مرارٍ. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ تَوَضَّأَ نحو وضوئي هذا، ثم صَلَّى ركعتين لا يُحَدِّثُ نفسَه فيهما: غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه). وفي رواية: (غُفِرَ له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس). [أخرجه أحمد والشيخان]

وعن عبد خير، قال: جلس على رضي الله عنه بعدما صلى الفجر في الرَّحْبَةِ (٧١٥) ثم قال لغلامه: اتنتني بطهور، فاتاه الغلام بإناء فيه ماء وطَسَّتْ (٧١٦) ونحن جلوس ننظر إليه . فأخذ بيمينه الإناء فأكفأه على يده اليسرى، ثم غسل كَفَّيْهِ، ثم أخذ بيده اليمنى الإناء فأفرغ على يده اليسرى، ثم غسل كَفَّيْهِ، ففعله ثلاث مرارٍ، كُلُّ ذلك لا يُدْخِلُ يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات. ثم أدخل يده اليمنى في الإناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى . فعل ذلك ثلاث مرات. وفي رواية: فتمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً من كف واحدة، ثم أدخل يده اليمنى في الإناء فغسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم أدخل يده اليمنى في الإناء حتى غمرها الماء، ثم رفعها بما حَمَلَتْ من الماء، ثم مسحها بيده اليسرى، ثم مسح رأسه بيديه كِلْتَيْهِمَا مرة. وفي رواية: (فبدأ بمقدّم رأسه إلى مؤخره) ثم صبَّ بيده اليمنى ثلاث مرات على قدمه اليمنى، ثم غسلها بيده

(٧١٤) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي .

(٧١٥) (الرَّحْبَةُ): بفتح، موضع متع بالكوفة .

(٧١٦) (والطست): بفتح الطاء فكون السين المهملتين . وحكى بالشين المعجمة: إناء من نحاس .

اليسرى، ثم صَبَّ بيده اليمنى على قدمه اليسرى، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفِّه فَشَرِبَ فَضْلَ وَضُوئِهِ، ثم قال: هذا ظهور نبي الله ﷺ.

[أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والدارقطني والدارمي بسند جيد]

وقد جاء فى (زاد المعاد) لابن القيم^(٧١٧)، أن النبي ﷺ: كان يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه، وربما صَلَّى الصلوات بوضوء واحد.

وكان يتوضأ بالمدِّ تارة^(٧١٨)، وبثلثيه تارة، وبأزيد منه تارة (وكان) من أيسر الناس صبًّا لماء الوضوء، وكان يُحذِرُ أمته من الإسراف، ومَرَّ على سعد^(٧١٩) وهو يتوضأ فقال له: (لا تُسرف فى الماء) فقال: وهل فى الماء من إسراف؟ قال: (نعم، وإن كنت على نهر جارٍ) وصَحَّ عنه أنه توضع مرةً مرةً، ومرتين مرتين، وثلاثًا ثلاثًا، وفى بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثًا (وكان) يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين، وتارة بثلاث.

(وكان) يَصِلُ بين المضمضة والاستنشاق، فيأخذ نصف الغرفة لفمه ونصفها لأنفه، ولا يمكن فى الغَرْفَةِ إلا هذا. وأما الغَرْفَتان والثلاث، فيمكن فيهما الفَصْلُ والوصلُ، إلا أن هديه صلى الله عليه وآله وسلم كان الوصل بينهما، كما فى الصحيحين من حديث عبدالله بن زيد أن رسول الله ﷺ تمضمض واستنشق من كف واحدة، فعل ذلك ثلاثًا. وفى لفظ: تمضمض واستنثر بثلاث غَرَفَات. فهذا أصح ما رُوِيَ فى المضمضة والاستنشاق.

(وكان) يمسح رأسه كله، وتارة يُقبِلُ بيديه ويُدْبِرُ. والصحيح أنه لم يُكرِّرْ مسح رأسه، بل كان إذا كرر غسل الأعضاء، أفرد مسح الرأس هكذا جاء عنه صريحًا. ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتَّة، ولكن كان إذا مسح بناصيته كَمَّلَ على العمامة (ولم يتوضأ) ﷺ إلا

(٧١٧) انظر: ص ٤٨ ج ١ (المطبعة المصرية) وقد ذكر هذا (صاحب الدين الخالص): ج ١ ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٧١٨) المد: مكيال وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز، ورطلان عند أهل العراق.

(٧١٩) وهو ابن أبى وقاص رضى الله عنه.

تمضمض واستنشق، ولم يُحفظ عنه أنه أخلَّ به مرةً واحدةً (وكذلك) كان وضوءُهُ مُرْتَبًا متوالياً ولم يُخلِ به مرةً واحدةً ألبتةً (وكان) يمسح على رأسه تارة، وعلى العمامة تارة، وعلى الناصية والعمامة تارة (وأما) اقتصاره على الناصية مُجَرَّدَةً فلم يُحفظ عنه كما تقدم.

(وكان) يغسل رجليه إذا لم يكونا في خُفَيْنِ ولا جَوْرَبَيْنِ، ويمسح عليهما إذا كانا في الخُفَيْنِ (وكان) يمسح أذنيه مع رأسه . وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما (ولم) يُحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئاً غير التسمية في أوله (٧٢٠).

وقوله: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) في آخره، ومما يقال بعد الوضوء أيضاً: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك) (ولم) يكن يقول في أوله: نويتُ رفع الحدث ولا استباحة الصلاة. لا هو ولا أحد من أصحابه ألبتةً. ولم يُرو عنه في ذلك حرف واحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف (ولم) يتجاوز الثلاث قط . ا هـ .

وأما عن الأحاديث الواردة في فضل الوضوء، وأنه مُكْفَرٌ للذنوب .. (فمنها): حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إذا توضأ العبدُ المسلمُ أو المؤمنُ فغسل وجهه، خرجتُ من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجتُ من يديه كلُّ خطيئةٍ بطشتها يده مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجتُ كل خطيئةٍ مشَّتْها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب).

[أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذي وقال: حسن صحيح]

(وحديث) عبدالله الصنابحيُّ أن النبي ﷺ قال: (إذا توضأ العبدُ المؤمنُ

(٧٢٠) وقد ورد في حديث شريف رواه النسائي وابن السني بإسناد صحيح أن النبي ﷺ كان يقول أثناء الوضوء: (اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي) وورد أن هذا الدعاء من الأدعية التي تُقال بعد الوضوء ..

فتمضمض، خرجت الخطايا من فيه^(٧٢١)، فإذا استنثر^(٧٢٢) خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه^(٧٢٣)، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له).

[أخرجه مالك وأحمد والنسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح على

شرط الشيخين. وليس له علة]

وعن عثمان بن عفان أن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا، عُفِّرَ لَهُ ذَنْبُهُ) [أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة] (وكثرة الخطأ إلى المساجد)، أى: كُلَّمَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ قَائِلًا: (حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ).. فَيُكَلِّمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ.. لِكَيْ يُصَلِّيَ الْوَقْتِ جَمَاعَةً مَعَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ.. فِي بَيْتٍ مِّنْ بَيْتَاتِ اللَّهِ الَّتِي أُسِّسَتْ عَلَى التَّقْوَى.. وَالَّتِي تُؤَدِّي فِيهَا الصَّلَاةَ الْخَمْسَةَ أَدَاءً مُتَقِنًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.. خَلْفَ إِمَامٍ صَالِحٍ مُتَمَسِكٍ بِالسُّنَنِ.. وَيُؤَدِّي الصَّلَاةَ بِخُشُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ.. لَا كَهَوْلَاءِ الْأُمَّةِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يَنْقُرُونَ الصَّلَاةَ كَنْقَرِ الدِّيَكَةِ.. (إِنْ هُوَ لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ.. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَسْعَى إِلَيْهِمْ.. حَتَّى لَا تُضَيِّعَ صَلَاتِنَا.. وَقَدْ وَرَدَ فِي (حَدِيثِ الْمَسْأَلَةِ فِي صَلَاتِهِ) الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَفَرَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: (ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) فَارْجِعْ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنُ غَيْرَ هَذَا فَعَلَّمَنِي؟.. قَالَ: (إِذَا قَمَتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسرُ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ

(٧٢١) أى: من فمه.

(٧٢٢) أى: أخرج الماء من أنفه بيده اليسرى.

(٧٢٣) الأشفار: جمع شَفْرٍ بضم شين: أصل منبت الشعر فى الجفن.

ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها) .

(وإذا) كان هذا التعليم موجَّهاً إلى هذا الرجل الذى كان يُصلى منفرداً.. فإنه من باب أولى أن يكون موجَّهاً إلى مثل هذا الإمام المبتدع الذى نَعْنِيهِ.. والذى يفسد على المأمومين صلاتهم.. (إنه) ينبغى عليه أن ينفذ ما علَّمه النبى ﷺ لهذا المصلى المنفرد.. حتى لا يكون مسيئاً فى صلاته .. وصلاة من يصلى خلفه.. لأنه سيُسأل عنهم وعن صلاته - أو صلاته بهم - يوم القيامة .. وسيكون بسبب هذا من الهالكين - والعياذ بالله - .

(وأما) عن ثواب الإكثار من الخطوات إلى المساجد من أجل صلاة الجماعة .. فهو المشار إليه فى الحديث الثانى والحديث الثالث - من الأحاديث الثلاثة التى تدور حولها - بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى الواردة فى هذا الشأن.

وقوله (وانتظار الصلاة) أى: بعد الصلاة، كما فى رواية أخرى (٧٢٤) .. (وهذا) معناه أنه يُحبُّ الصلاة كما يحبُّ أداءها فى بيوت الله.. وأنه بعد أن يؤدى الصلاة فى المسجد يتمنى من الله تعالى أن يُطيل فى حياته حتى يجيء الوقت الآخر الذى يليه وحتى يعود إلى المسجد - مرة أخرى، بل ومرات ومرات - وهذا معناه كذلك التعلق بالمسجد بتلك الصورة الإيمانية المشار إليها فى قول الرسول ﷺ عن السبعة الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (٧٢٥) - وعدَّ منهم - (ورجل قلبه معلق فى المساجد)، هذا بالإضافة إلى أن الصلاة هى أعظم مكفّرات الذنوب.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيُحسِن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تُؤتَ كبيرة، وذلك الدهر كله) [رواه مسلم]

(٧٢٤) رواها الترمذى ومسلم .

(٧٢٥) أى: يوم لا ظل إلا ظل عرشه سبحانه وتعالى .. والحديث متفق عليه.

وقوله فى نص الحديث: (ما لم تُؤتَ كبيرة) معناه: أنه يُشترط اجتناب الكبائر، وهى ما ورد فيها تحذير شديد وغلُظت عقوبتها، وأكبر الكبائر: الشرك بالله، ويليهِ قتل النفس بغير حق، والزنا، والسرقَة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر، والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو رمى العفيف بالزنا.. (مع ملاحظة) أن الكبائر لن تُغفر إلا بالتوبة الصادقة التى يشترط فيها رد الحقوق إلى أصحابها.. والندم على فعل المعصية، وترك الذنب، وأن يعقد العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى .

وقوله فى ختام الحديث: (فذلکم الرباط ..) أى: أن المؤمن الذى يحقق كل هذا .. مثله كمثل المراتب فى سبيل الله ضد أعداء الله، وأعداء دينه، ووطنه .. وكذلك فى مواجهة نفسه التى غالباً ما تكون أمارة بالسوء - والعياذ بالله - .
فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. حتى يكونا إن شاء الله من أهل هذا الرباط .. والله ولى التوفيق،،

(٥٦) ما هو الهرجُ . . . يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ، قال: (لا تقوم الساعة حتى يفيض المال، وتظهر الفتنُ، ويكثرُ الهرجُ) قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: (القتل القتل القتل). [أخرجه ابن ماجه بسند صحيح]

وعن أبى هريرة - أيضاً - أن النبى ﷺ، قال: (لا تقوم الساعة حتى يُقبضَ العلم، وتكثرُ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتظهرَ الفتنُ، ويكثرُ الهرجُ، حتى يكون فيكم المالُ فيفيض) . [أخرجه الشيخان وابن ماجه]

ففى هذين الحديثين الشريفين يشير النبى ﷺ إلى أنه من علامات الساعة الصغرى: أن يكثر الهرج - وهو بفتح فسكون، أى هرج الناس يهرجون من باب ضرب، أى: وقعوا فى فتنة وقتل - وإذا كان هذا المعنى الأخير هو ما أجاب به النبى ﷺ عندما سُئل عن الهرج؟ فقال: (القتل القتل القتل)، وإذا كان هذا هو

شاهدنا فى هذا الموضوع: فإنه ينبغى علينا الآن أن ندور حول هذا الموضوع محذرين ومنذرين .. حتى نحذر جميعاً الوقوع فى هذا الجرم الكبير الذى هو أول جريمة حدثت على وجه الأرض.

كما يُشير الله سبحانه وتعالى إلى هذا فى سورة المائدة، حيث يقول:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ أى: واقصص يا محمد على هؤلاء اليهود خبير « هابيل وقابيل » ابنى آدم، وعرفهم عاقبة الظلم والمكر ﴿إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَكَمْ يَعْجَلُ مِنَ الْآخِرِ﴾ أى: حين قرَّب « هابيل » و « قابيل » قرباناً لله، فتقبَّل من أحدهما وهو هابيل، ولم يتقبَّل من الآخر وهو قابيل، قال ابن عمر: كان أحدهما صاحب غنم، والآخر صاحب زرع، فقرَّب صاحب الغنم « هابيل » أسمى وأحسن غنمه، طيبة بها نفسه، وقرَّب صاحب الزرع « قابيل » شرَّ زرعه غير طيبة بها نفسه، فتقبَّل الله قربان صاحب الغنم ﴿قَالَ لِأَقْتُلْكَ﴾ أى قال له أخوه قابيل: لأقتلك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَعْجَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَجِّلِينَ﴾ أى: أجابه أخوه هابيل بقوله: ما ذنبى؟ إنما يتقبل الله ممن خافه واتقاه .

﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِكَ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾ أى: لئن مددت إلى يدك لتقتلنى، ما أنا بمادٍ يدى إليك لأقتلك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أى: إنى أخاف من الله، مالك الخلائق كلها أن يعاقبنى إن حاولت الاعتداء عليك .

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أى: إنى أريد أن ترجع بخطيئتي فتتحمل وزرها، وإثمك فى قتلك إياى، فتصبح من سكان الجحيم المخلدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أى: والنار عقوبة كل ظالم، منتهك لحدود الله، قال ابن عباس: خوَّفهُ بالنار فلم ينته ولم ينزجر .

﴿فَطَرَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أى: فرزيت له نفسه وحسنت له قتل أخيه فقتله، فأصبح من جملة الخاسرين. قال السدى: أمسكه فشدَّخ رأسه بصخرة فمات، وتركه بالعراء ﴿وَلَمَّعَتِ اللَّهُ عُرْبًا يَتَحْتُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيهَ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أى: فأرسل الله للقاتل عُرباً يحفر فى الأرض فيشير تُرابها، ليريه كيف يستر جيفة أخيه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ نُجُومِ الثُّرَائِبِ﴾

فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَخِي ﴿٧٢٦﴾ أى: قال القاتل: يا حسرتى ويا هلاكى، هل عجزت أن أكون مثل هذا الغراب، الذى دَفَنَ الغراب الآخر، فأستُرَّ جسد أخى؟ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ أى: على ما فرط منه، فى معصية الله بقتل أخيه.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ﴾ أى: من أجل قَتْلِ ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى: حكمنا على بنى إسرائيل ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ نفساً مؤمنة، بغير أن يقتل نفساً، فتستحق القتل قصاصاً ﴿أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أى: فكأنه قتل جميع الناس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ أى: ومن لم يقتل النفس ظلماً، فقد حيى الناس جميعاً بسلامتهم منه - لأن الإنسان إذا كفَّ عن قتل غيره، سلم الناس كلهم منه، ففيه حياة لهم بهذا الاعتبار.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿.. وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: بالآيات الواضحات، والحُجَجِ الساطعات ﴿ثُمَّ إِنْ كَثُرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرُونَ﴾ أى: ثم إن كثيراً من بنى إسرائيل - بعد مجيء الرسل إليهم بالبينات - لعاملون بمعاصى الله، مخالفون لأوامره ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى: إنما جزاء مَنْ يقاتل النفوس بغير حق، ويُخَيِّفُ الآمنين فيغير عليهم فى أمصارهم وقراهم ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أى: يقطع الطريق (٧٢٧)، والعمل بمعاصى الله ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾ أى: عقوبتهم القتل إن قتلوا ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ أى: إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ أى: تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، إن أخذ المال ولم يُقْتَلْ ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أى: أو يُطْرَدَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ، وَيُحْبَسَ فِيهَا بِالسَّجْنِ، إن أخاف الناس ولم يُقْتَلْ ولم يسلب مالا، فالعقوبة تكون على قدر استحقاقه (٧٢٨)، لا أن الإمام مُخَيَّرَ فِيهِ كَمَا قِيلَ ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ

(٧٢٦) سورة المائدة: من الآية ٢٧ - ٣١.

(٧٢٧) هم قطاع الطريق الذين يعيشون فى الأرض فساداً، ويزرعون الخوف، ويفسدون الأمن.

(٧٢٨) قال عطاء وقتادة: هذا اللص الذى يقطع الطريق هو محارب الله ولرسوله، فإن قتل وأخذ مالا سلب، وإن قتل ولم يأخذ مالا قتل، وإن أخذ مالا ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف، وإن أخذ قبل أن يفعل شيئاً من ذلك نُفِيَ إِلَى بَلَدَةٍ أُخْرَى.

في الدنيا ﴿ أى: هذا الجزاء لهم عقوبة وشرٌ، وذلةٌ، فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أى: ولهم فى الآخرة - إن لم يتوبوا - عذاب جهنم ^(٧٢٩) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أى: إلا من تاب من قطاع الطريق إذا ترك الحراية وأمنه الإمام قبل أن يقبض عليه ﴿فَاعْلَمُوا أَن اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ^(٧٣٠) أى: فإن توبته تضع عنه تبعات الدنيا، رحمة من الله عليه.

(هذا) وإذا كنا قد وقفنا من خلال هذا العرض السابق على ما كان من أمر - هابيل وقابيل - فإننى أحب أن أذكر الأخ القاري بأن هذا الذى حدث بينهما ما كان إلا بسبب الحقد والحسد .. لأن أبانا آدم كان قد أمر من الله تعالى - حتى يعمر الكون - أن يزوج ابن البطن الأولى - وهو قابيل - من بنت البطن الثانية التى وُلدت مع هابيل، وأن يزوج هابيل من بنت البطن الأولى أى التى وُلدت مع قابيل ^(٧٣١)، والتى كانت أجمل من أخت هابيل .. (فاعترض) قابيل وقال لأبيه: هذا الرأى من عندك وليس من عند الله لأنك تحب أختى هابيل أكثر منى (فرفع) أبونا آدم الأمر إلى الله تعالى - وهو أعلم - لكى يجد حلاً .. فقال الله تعالى له: مرهما بأن يُقدما قرباناً لله .. والذى سيقبل قربانه فإنه سيكون زوجاً للفتاة الجميلة .. فكانت النتيجة كما عرفنا قبل ذلك أن أقبل قربان هابيل .. فقال له أخوه (لأقتلنك) إلى آخره ..

ولهذا، فقد ورد فى السنة المطهرة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى

(٧٢٩) نزلت هذه الآية فى قوم من عربنة ارتدوا عن الإسلام، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا

الإبل .. الخ، وانظر قصتهم فى البحارى .

(٧٣٠) سورة المائدة: من الآية ٣٢ - ٣٤ . والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بصرف وإضافات بيّرة .

(٧٣١) لأن أمنا حواء كانت تلد فى كل بطنٍ ذكراً وأنثى .

ها هنا. ويُشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشرّ أن يحقّ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه). [رواه مسلم] كما ورد الترهيب من القتل - فضلاً عن الإكثار منه - لأى سبب من الأسباب:

(أعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء). [رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه] قال فى الفتح: (أى: أول القضاء يوم القيامة القضاء فى الدماء، أى: فى الأمر المتعلق بالقضاء، وفيه عظم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم) وقال العمينى: (أى: فى القضاء بها لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إلى العباد، ففيه وعيد شديد من حيث يبتدأ به فى الحساب).

وللنسائى أيضاً: (أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة). (٧٣٢)، وأول ما يُقضى بين الناس فى الدماء) (٧٣٣).

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا سبع الموبقات) (٧٣٤). قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربوا، والنوالى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى]

وحتى تفهم المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: (وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق)، فقد ورد:

(عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحلُّ دم امرئ مسلمٍ إلاّ

(٧٣٢) لأنها أعظم حقوق الله بعد التوحيد.

(٧٣٣) لأنها أعظم الحقوق بين العباد.

(٧٣٤) أى: المهلكات.

بإحدى ثلاث: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ
[للجماعة]. [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ
دِينِهِ ^(٧٣٦) مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا). وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ
الَّتِي لَا مَخْرَجَ ^(٧٣٧) لَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ) ^(٧٣٨).

[رواه البخارى والحاكم وقال: صحيح على شرطهما]

(وعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لِزْوَالِ الدُّنْيَا ^(٧٣٩) أَهْوَنُ
عَلَى اللَّهِ ^(٧٤٠) مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقِّ) [رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ورواه
البيهقى والأصبهاني]. وزاد فيه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ، وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا
فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لِأَدْخِلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ).

قال ابن العربي: (ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك
فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالمسلم، فكيف بالتقى الصالح).

(بل) إن النبي ﷺ حذر من مجرد الوقوف في موقف يُقتل فيه رجلاً ظلمًا ...
أو يُضرب فيه ظلمًا:

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ
فِيهِ رَجُلٌ ظَلَمًا ^(٧٤١)، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ ^(٧٤٢) تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ

(٧٣٥) المراد بالثيب الزانى: من تزوج ووطئ في نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك، فإنه يُرجم، وإن لم يكن
متزوجاً في حالة الزنا لاتصافه بالإحصان (شرح الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية) ص ٤١.

(٧٣٦) أى: في سعة من أمر دينه.

(٧٣٧) أى: لا مخلص ولا منجى، والورطات جمع ورطة بسكون الراء، وهى الهلكة، وكل أمر تعمس
النجاة منه.

(٧٣٨) أى: إراقة الدم الحرام بغير حقه.

(٧٣٩) أى: لخراب الدنيا وفناؤها كلها.

(٧٤٠) يعنى: أيسر وأخف.

(٧٤١) أى: لا يشهدن ذلك المشهد ولا يحضرنه إلا إذا كان يريد دفع الظلم عنه.

(٧٤٢) أى: سخط الله ونقمته.

يدفعوا عنه^(٧٤٣)، ولا يَقْفَنُّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظَلَمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ).

[رواه الطبرانى والبيهقى بإسناد حسن]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ جَرَدَ ظَهْرَ مُسْلِمٍ^(٧٤٤) بِغَيْرِ حَقٍّ^(٧٤٥)، لَقِيَ اللَّهَ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ).

[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن]

(وأما) مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ - والعياذ بالله تعالى - فقد ورد فيه:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ تَرَدَّى^(٧٤٦) مِنْ جَبَلٍ فُقِّتَلَتْ نَفْسُهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا^(٧٤٧)، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا^(٧٤٨)، فُقِّتَلَتْ نَفْسُهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ^(٧٤٩) يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا^(٧٥٠)، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا^(٧٥١) فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا^(٧٥٢)).

[رواه البخارى ومسلم والترمذى بتقديم وتأخير والنسائى]

ولأبى داود: (وَمَنْ حَسَا سُمًّا فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ).

(٧٤٣) يعنى: شهدوا قتله ظلماً ولم ينصروه ولم يخلصوه من القتل.

(٧٤٤) قال المناوى: (ويظهر أن المراد جرده من ثيابه ليضربه وفعل، أو أراد سلبه ثوبه المحتاج إليه) وقال الحفنى: (أى لضربه بغير حق، أو المراد جرد ظهره حتى كشف عورته والأول أولى). ولا شك أن المعنى الأول هو المقصود فى الحديث، فتجريد الظهر كناية عن الضرب.

(٧٤٥) يعنى: من غير أن يكون ذلك فى حد أو تعزير.

(٧٤٦) يعنى: ألقى نفسه متعمداً لذلك.

(٧٤٧) يعنى: أن الله يعذبه فى النار بجنس ما قتل به نفسه فلا يزال يتردى من جبل فى النار مرة بعد مرة إلى آخر الأبد.

(٧٤٨) أى: شربه شيئاً بعد شىء.

(٧٤٩) أى: فى النار يعطى كأس السم فى يده.

(٧٥٠) أى: يظل يتحساه كما تحساه فى الدنيا.

(٧٥١) أى: يضرب بها نفسه.

(٧٥٢) أى: دائماً وأبداً.

(وعنه) رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الذى يخنقُ نفسه^(٧٥٣)) يخنقها فى النار^(٧٥٤)، والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار، والذى يقتحم^(٧٥٥) يقتحم فى النار). [رواه البخارى]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير .. حتى لا يكونا من أهل هذا الهرج الذى هو القتل بجميع صورته .. (بل) وعليهما أن يبتعدا عن جميع صور الفتنة المؤدية إلى هذا الهرج .. وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٧٥٦)، (بل) وعليهما كذلك أن يسألا الله تبارك وتعالى أن يحفظنا ويحفظ أهلينا وأمتنا .. من الفتنة ما ظهر منها وما بطن .. وأن يعافينا من هذا الهرج إلى يوم أن نلقاه غير خزايا ولا مفتونين ..
اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين،

(٥٧) ما هو علاج قوة القلب .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكأ إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه؟ فقال: (امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين) [رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح] (ففى) هذا الحديث الشريف نستطيع أن نتفق جميعاً على أهمية هذه الشكوى التى رفعها الرجل إلى مفتينا ومعلمنا صلوات الله وسلامه عليه لكى يجد لها حلاً، أو علاجاً .. (فهى) تتعلق بقسوة القلب، أو بقساوة القلوب التى أصبحت فى زماننا هذا بنفس القسوة التى تحدث الله سبحانه وتعالى عنها .. مخاطباً كفار بنى إسرائيل .. بعد أن أراهم الله تعالى الآية الباهرة المتعلقة بإحياء قتيل بنى إسرائيل بعد أن ضربوه ببعض البقرة .
كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أى: فقلنا لقوم موسى:

(٧٥٣) أى: يضغط على عنقه بحبل ونحوه مما يمنع دخول النفس وخروجه حتى يموت .

(٧٥٤) أى: يكون ذلك الذى قتل نفسه به هو عذابه الدائم فى النار .

(٧٥٥) أى: يلقى نفسه من مكان مرتفع .

(٧٥٦) سورة البقرة: من الآية ١٩١ . والآية ٢١٧ بنصر ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْرَمُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ..

اضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا ويخبركم عن قاتله، فضربوه فأحياه الله وأنبأهم عن قاتله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثم يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك مخاطباً إياهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٥٧).

(إن) قلوبنا قد أصبحت فعلاً بتلك الصورة التي وصفها الله تبارك وتعالى .. (بل أشد)، بدليل أننا قد أصبحنا ندعو الله تبارك وتعالى ليلاً ونهاراً .. أن يكون عوناً لنا، وأن ينصرنا على أعدائنا .. ولكن الله تعالى لا يستجيب لنا .. لماذا ؟ لأن قلوبنا قد ماتت وأصبح عليها ران .. بسبب سوء أعمالنا، وانحطاط أخلاقنا.. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٥٨).

(وقد) سئل إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه وأرضاه: لماذا ندعو الله تعالى فلا يستجيب لدعائنا؟ فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

- عرفتم الله فلم تؤدوا حقوقه.
- زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ، وتركتم سنته .
- قرأتم القرآن ولم تعملوا به .
- أكلتم نعم الله، فلم تؤدوا شكرها.
- قلتم إن الشيطان عدوكم ولم تخالفوه.
- قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها .
- قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.
- قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له .
- انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.
- دفتنم موتاكم، ولم تعتبروا بهم: فأنى يستجيبُ الله لكم !!!؟

(٧٥٧) سورة البقرة: ٧٣، ٧٤ .

(٧٥٨) سورة المطففين: ١٤ .

(ولهذا) كان لابد لكى يستجيب الله لنا، ولكى تنصلح أحوالنا، وتصلح أجسادنا: أن نعمل على إيقاظ قلوبنا، وتطهيرها من هذا الران الذى كان ولا يزال سبباً فى قسوتها .. قال صلوات الله وسلامه عليه:

(.. ألا وإن فى الجسد مُضغَةً، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: **إلا وهى القلب**) (٧٥٩)

(وقد) قلل الطمء فى توضيح هذا المعنى (٧٦٠):

(البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدم، والقوى الباطنة كضياح المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به، والشهوة كطالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكار وخبيث يتمثل بصورة الناصح، ونصحه سم قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح، والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالحازن، والقوة المفكرة: فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة: فى آخر الدماغ، واللسان: كالترجمان، والحواس الخمسة: جواسيس، وقد وكل كل منهم بصنيع من الصناعات، فوكل العين: بعالم الألوان، والسمع: بعالم الأصوات، وكذلك سائرهما، فإنها أصحاب الإخبار، ثم قيل: هى كالحجة توصل إلى النفس ما تدركه، وقيل: إن السمع، والبصر، والشَّم كالطاقات تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك، فإذا صلح الراعى، صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية، وإنما يحصل صلاحه: بسلامته من الأمراض الباطنة، كالغل، والحقد، والحسد، والشح، والبخل، والكبر، والسخرية، والرياء، والسُّعة، والمكر، والحرص، والطمع، وعدم الرضا بالمقدور. وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين .. عافانا الله وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم. اهـ .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَفْعَلُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴿ (٧٦١)

(وقد) أجاب النبى ﷺ فى نص الحديث - موضوع الفتوى - بالعلاج الأمثل

لقساوة القلب.. فقال للرجل فى إيجاز مفيد:

(٧٥٩) من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم .

(٧٦٠) كما جاء فى شرح الحديث السادس من الأربعين النووية.

(٧٦١) الشعراء: ٨٨، ٨٩ .

(امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين): (ولكى) ندور حول هذا المعنى الكبير ..
لابد أن نعرف أولاً: من هو اليتيم؟ ومن هو المسكين؟ .

فاليتيم، هو: من مات أبوه وهو دون البلوغ .. أما من ماتت أمه فى وجود
أبيه .. فإنه لا يكون يتيماً .. وكذلك إذا مات أبوه بعد أن بلغ مبلغ الرجال فإنه
لا يكون يتيماً .. أما إذا مات الأبوان وهو دون البلوغ .. فإنه يُسمى يتيماً الأبوين
.. (واليتيم) من الحيوانات، هو من ماتت أمه .

والمسكين (٧٦٢)، هو: الذى لا يملك قوت يوم .. وأما الفقير، فهو الذى لا يملك
قوت عام .. وقال فريق من الفقهاء: بل الفقير هو الذى لا يملك قوت يوم،
والمسكين هو الذى لا يملك قوت عام .. (والحق) أن الفقير هو الذى يكون عنده
أقل مما يحتاج، وذلك بأن يكون معه سبعة جنيهاً مثلاً ويحتاج إلى عشرة،
والمسكين هو الذى ليس عنده شيء أصلاً. (وإذا) ذُكر الفقير تبعه المسكين، وإذا
ذُكر المسكين تبعه الفقير فهما رجلان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا،
بمعنى أنه إذا قيل لك: أعط الفقير والمسكين، فالفقير غير المسكين على النحو
الذى بيناه، وإذا قيل لك: أعط الفقير، أو أعط المسكين، فهما فى المعنى واحد ..
فتأمل ذلك.

(وإعطاء) الأحوج فالأحوج أولى، بل لو كان هناك من المساكين من يحتاج
إلى مال كثير، وليس هناك من هو أحوج منه استحب إعطاؤه الزكاة كلها، فإن
وُجد فقيران فى الاحتياج سواء، استحب قسم الزكاة بينهما . (هذا) مع
ملاحظة: أن الفقير القريب أولى من البعيد لما له عليك من حق القرابة، وإعطاء
الرجل الصالح أولى من إعطاء غيره .

(بقى) سؤال آخر .. أريد كذلك أن أجيب عليه .. وهو: ما هو المعنى المراد من
قول الرسول ﷺ: (امسح رأس اليتيم ..) ؟

إن المعنى، ليس كما يتصور البعض.. مجرد وضع يدك على رأس اليتيم..

(٧٦٢) كما جاء فى (الفتحة الواضح) ج٥ ص ٥٨ وما بعدها .

تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ.. (وإنما) المعنى المراد، هو أن تكون - كمؤمن صادق - عَطَوْقًا عليه، وبارًا به .. (بل) وكفيلًا له .. ومحافظًا على أمواله حتى لا يأكلها ذئاب البشر .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم ^(٧٦٣) في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما) ^(٧٦٤) .

[رواه البخارى وأبو داود والترمذى]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَبِضَ ^(٧٦٥) يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ مُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشْرَابِهِ: أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ أَلْبَنَةً ^(٧٦٦))، إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ دُنْبًا لَا يُفْقِرُ ^(٧٦٧) [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الساعى على الأرملة والمسكين، كالمجاهد فى سبيل الله، وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) [رواه البخارى ومسلم وابن ماجه] إلا أنه قال: (الساعى على الأرملة ^(٧٦٨) والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل، ويصوم النهار) .

(هذا) وإذا كان لنا كذلك أن نُذَكِّرَ بضرورة أن يكون هناك إطعام للمساكين .. وأن يكون هناك كذلك حرص على التيسير على المعسرين، وإدخال السرور على الفقراء والمحتاجين من إخواننا المسلمين، فإنه حسبنا أن ننفذ المشار إليه فى الأحاديث الآتية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم ^(٧٦٩)،

(٧٦٣) الكفيل، أى: القيم عليه المدير لمصلحه المتعهد لشونه .

(٧٦٤) قال فى الفتح: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبى ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ . .) .

(٧٦٥) يعنى: أخذه وضمه إليه .

(٧٦٦) يعنى: حتمًا أو قطعًا .

(٧٦٧) وهو الإشراك بالله عز وجل .

(٧٦٨) أى: التى لا زوج لها .

(٧٦٩) وأخوة الإسلام كأخوة النسب أو أشد .

لا يَظْلَمُهُ^(٧٧٠)، ولا يُسْلَمُهُ^(٧٧١)، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ^(٧٧٢)، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ^(٧٧٣) كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٧٧٤)، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا^(٧٧٥)، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٧٧٦) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود]

وعن أبى موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (على كل مسلم ^(٧٧٧) صدقة) قيل: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ^(٧٧٨)؟ قال: (يعتمل بيديه ^(٧٧٩))، فينفع نفسه ^(٧٨٠) ويتصدق)، قال: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ^(٧٨١)؟ قال: (يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ^(٧٨٢))، قال: قيل له: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قال: (يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ^(٧٨٣))، قال: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال: (يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ) [رواه البخارى ومسلم]

(هذا) وإذا كان الهدف من هذا التذكير هو الترغيب فى إطعام الطعام للفقراء والمساكين .. فقد ورد كذلك أنه من الأسباب التى بها سندخل الجنة بسلام إن شاء الله تعالى .

فعن أبى يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

-
- (٧٧٠) أى: لا يعتدى عليه فى دم ولا عرض ولا مال ولا ينقصه من حقه شيئاً ولا يؤذيه .
(٧٧١) أى: لا يخذله ولا يترك نصرته .. بل ينصره ويدفع عنه .
(٧٧٢) أى: من كان فى حاجة أخيه وساعده ... قضى الله حوائجه ويسر له أمره .
(٧٧٣) يعنى: أزال عنه شدة وكشف عنه غمّاً نزل به .. كان يقرضه إذا أفلس فى تجارته .
(٧٧٤) وما أكثر كربها .. التى لا منجى منها إلا لمن عصمه الله ورحمه .
(٧٧٥) أى: رآه على قبيح فلم يظهره للناس .. وإنما نصحه فى السر .
(٧٧٦) بأن يحاسبه فيما بينه وبينه .
(٧٧٧) أى: واجب عليه إخراج صدقة كل يوم عن كل مفصل من مفاصله وهى ثلاثمائة وستون .
(٧٧٨) أى: إن لم يكن له مال يتصدق منه فماذا يصنع؟
(٧٧٩) أى: يعمل عملاً بيديه يكسب به من المال من أى حرفة أو مهنة ولا يقعد عاطلاً .
(٧٨٠) أى: يتفق من كسبه على نفسه وعياله ويتصدق منه .
(٧٨١) أى: إن لم يستطع أن يحترف ويمتهن ويعمل بيديه .
(٧٨٢) أى: يأخذ بيده وينقذه من شدته .
(٧٨٣) أو هنا للشك وليست عاطفة لأن المعروف هو الخير .

(يا أيها الناس: أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نياماً: تدخلوا الجنة بسلام) [رواه الترمذى وقال: حديث صحيح]

(مع) ملاحظة قول الله تبارك وتعالى:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ أى: قول جميل، وستر على الفقير، على سوء حالته ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾، أى: خير عند الله، من صدقة يتصدق عليه بها، ويؤذيه بسببها ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ أى: مستغن عما يتصدقون به، لا يعجل العقوبة لمن يمتن بصدقته .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾
أى: لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى ﴿كَالَّذِي يُبْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾:
كالمنافق الذى ينفق ماله لغير وجه الله، ليحمده الناس فيقولوا: هو سخى كريم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أى: ولا يصدق بوحدانية الله، ولا بالبعث بعد الموت، ليجعل عمله طلب ثوابه ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ أى: فمثل هذا المرائى، كمثل حجارة ملّس، عليها تراب ﴿فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ فَرَّكَهُ صِلْدًا﴾ أى: فأصاب هذه الحجارة الملّس، مطر شديد عظيم، فترك الصفوان صلداً، لا تراب عليه، ولا شيء من نبات ولا غيره، فكذلك هؤلاء المراءون، تذهب أعمالهم وتضمحل، كما يذهب المطر الغزير، بما على الصفوان من التراب، فلا يبقى له أثراً ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أى: لا يقدرون يوم القيامة، على ثواب شيء من أعمالهم، لأنهم عملوها رياء الناس، وطلب حمدهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
(٧٨٤) أى: لا يوفقهم لإصابة الحق، بل يتركهم فى ضلالهم يعمهون.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا ما جاء فى هاتين الآيتين بصفة خاصة .. حتى لا يكونا مثلهما كمثل هذا المنافق المرائى .. وليكن مثلهما، كمثل هؤلاء الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم بعد ذلك فى قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أى: ينفقونها فى طاعة الله، وطلب مرضاته

(٧٨٤) الآيتان رقم ٢٦٣، ٢٦٤ من سورة البقرة، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .

﴿وَتَبَيَّنَا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أى: وتصديقًا و يقينًا بوعد الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أى: كمثل بستان، بمكان مرتفع من الأرض، ﴿أَصَابَهَا وَأَبَلٌ فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أى: أصابها مطر شديد عظيم القطر، فأعطت ثمرها ضعفين ﴿فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَأَبَلٌ فَتَأْتُ﴾ أى: فإن لم يصبها المطر الغزير أصابها الندى، واللين من المطر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٨٥)

وعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة كذلك أن يكونا دائمًا وأبدًا على صلة باليتامى.. بالكفالة، والإطعام، والحنان الإيجابي، وليحذرا أكل أموالهم .. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٧٨٦)

كما يقول تبارك وتعالى قبل ذلك: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٨٧)

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا التذكير الهام - اللهم آمين،

(٥٨) هل الميت ينتفع بما يهدى إليه من الطاعات وأنواع البر كالصدقة يا رسول الله ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة تُوَفِّيتُ أُمَّهُ (٧٨٨) وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أُمِّي تُوَفِّيتُ وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تَصَدَّقْتُ بِشَيْءٍ عنها؟ قال: (نعم). قال: فإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنْ حَائِطِي (٧٨٩) الْمَخْرَفَ (٧٩٠) صَدَقَةٌ عَلَيْهَا. [أخرجه أحمد والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي]

(٧٨٥) البقرة: الآية ٢٦٥، والتفسير من مختصر الطبرى .

(٧٨٦) النساء الآية ١٠ .

(٧٨٧) النساء: الآية ٩ .

(٧٨٨) أم سعد: هى عمرة بنت مسعود بن قيس، أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وماتت سنة خمس من الهجرة وابنها غائب مع النبي ﷺ فى غزوة دومة الجندل، فلما رجعوا صلى النبي ﷺ على قبرها .

(٧٨٩) الحائط: أى البستان .

(٧٩٠) المخرف: أى الثمر .. والمخرف: هو المكان المثمر .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبى مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر ^(٧٩١) عنه أن أتصدق عنه؟ فقال: (نعم).

[أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه]

(وقال) أنس رضي الله عنه: يا رسول الله، إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم، فهل يصل ذلك إليهم؟ فقال: (نعم . إنه ليصل إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه). [أخرجه أبو حفص العكبري]

(وعن) سعد بن عباد رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: إن أُمى ماتت وعليها نذر، أفيجزي عنها أن أعتق عنها؟ قال: (اعتق عن أمك).

[أخرجه مالك وأحمد والبخاري والنسائي]

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيَّهُ). [أخرجه أحمد والشيخان]

(وروي) أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: كان لى أبوان أبرهما حال حياتهما، فكيف لى ببرهما بعد موتهما؟ فقال له النبي ﷺ: (إن من البر بعد الموت أن تُصَلِّيَ لهما مع صلاتك، وتصوم لهما مع صيامك) [أخرجه الدارقطني]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له) [أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه]

قال فى (الدين الخالص) ج٨، ص ٧٤ وما بعدها .. الخ بتصرف واختصار: (والأحاديث) فى هذا كثيرة، وكلها تدل على أن الميت ينتفع بعمل الحى من دعاء، وصلاة، وصدقة، وصيام، وحج .. وغير ذلك من أنواع البر من غير أن ينقص من أجر العامل شىء، وبه قال جمهور أهل السنة منهم الحنفيون وأحمد. (وقد) أمر الله تعالى بالدعاء للوالدين بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى

(٧٩١) ويحتمل أن المتوفى لم يود زكاة وجبت عليه .. (ويحتمل) أنه ترك الوصية مع كثرة ماله .. وعداً هذا سنة.

صَغِيرًا ﴿٧٩٢﴾، وأخبر باستغفار الملائكة للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٧٩٣﴾. وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧٩٤﴾.

ثم يقول: (فهذه) الأدلة تفيد القطع بحصول الانتفاع بعمل الغير، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَأَن لِّئْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٧٩٥﴾: لأن المؤمن إذا عمل عملاً خيراً وقصد به أخاه المؤمن وصل إليه ثوابه بسبب إيمانه، فكأنه من عمله، (وقيل): إن الآية مخصوصة بغير ما دلت عليه الأدلة السابقة، من أن الإنسان ينتفع بعمل غيره من دعاء وصلاة وصدقة وقراءة قرآن.

(وعن) عكرمة أن الآية خاصة بقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام . (أما) هذه الأمة فالواحد منها ينتفع بعمل غيره لما تقدم (وقيل): المراد بالإنسان في الآية الكافر، أى: ليس له من الخير فى الدنيا إلا ما عمل هو، فَيُتَابُ عليه بالتوسعة فى رزقه والعافية فى بدنه، وليس له فى الآخرة شىء . ثم يقول، ما خلاصته:

(هذا): واعلم أن العبادة مالية وبدنية، (فالمالية) كالصدقة: نَبَّهَ الشارع بوصول ثوابها على وصول ثواب سائر الأعمال المالية (أما) أداء الدين فبالإجماع ولو كان من أجنبى بلا إذن (ونَبَّهَ) بوصول ثواب الصوم، وهو من العبادة البدنية على وصول ثواب العبادات البدنية. (ونَبَّهَ) بوصول ثواب الحج المركب من عبادتين مالية وبدنية على وصول ثواب المركب منهما (ومشهور) مذهب مالك والشافعى: أن ثواب العبادة البدنية لا يصل كالصلاة والصيام وقراءة القرآن أخذًا بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لِّئْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، وقد علمت أن الآية لا تنافى انتفاع الميت بعمل غيره من قراءة وغيرها. (ولذا) قال

(٧٩٢) سورة الإسراء: آية ٢٤ .

(٧٩٣) سورة الشورى: آية ٥ .

(٧٩٤) سورة غافر: آية ٧ .

(٧٩٥) سورة النجم: آية ٣٩ .

الحنفيون وأحمد: إنه ينتفع بعمل غيره إذا أدّى بخشوع وخضوع ووقار، ولم تكن القراءة بأجر وكانت على الوجه المشروع. (قال) ابن القيم: أفضل ما يهدى إلى الميت العتق، والصدقة، والاستغفار، والدعاء له، والحج عنه.

(وأما) قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجره فيصل إليه ثوابها كما يصل ثواب الصوم، والحج. (ولذا) اختار المحققون من أصحاب مالك والشافعي: أن ثواب القراءة يصل إلى الميت إذا جعلت من قبيل الدعاء بأن يقول: اللهم اجعل لفلان مثل ثواب ما قرأت^(٧٩٦) (قال) النووي: أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصل ثوابه إليهم لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٧٩٧) وغيرها من الآيات والأحاديث كقول النبي ﷺ: (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) وقوله ﷺ: (اللهم اغفر لحينا وميتنا).

ثم بعد ذلك يقول في الدين الخالص: (واختلف) العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يصل. (وزهب) أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل .. فالاختيار أن يقول القاري بعد فراغه: اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته إلى فلان^(٧٩٨).

وأنا أقول بعد ذلك متسائلاً ومتعجباً: كيف يهب الإنسان مثل ثواب قراءته إلى فلان من الموتى .. وهو لا يدري - أي القاري - إذا كان الله تبارك وتعالى قد قبل منه تلاوته أم لا؟

كما أقول كذلك - كما قال أحد الصالحين - إن قراءة القرآن عند القبر قد تكون سبباً في تعذيب الميت - لأن هذا الميت لم يكن في حياته منفذاً لما في القرآن من الأوامر .. ومجتنباً لما فيه من المنهيات .. الخ. (ولهذا) فإن القرآن حينئذ سيكون حجة عليه لا له .. (وعندما) سيئلى القرآن بجوار قبره فإن الملك

(٧٩٦) أي: من القرآن .

(٧٩٧) سورة الحشر: الآية ١٠ .

(٧٩٨) انظر: ص ٢٠٤ ج٤ شرح الأذكار (ما ينفع الميت من قول غيره) .

سيضربه على رأسه بمرزبة من حديد.. وهو يقول له: ألم تسمع هذا القرآن فى حياتك .. وإذا كنتَ قد استمعت إليه.. فَلَمْ لَمْ تنفذه..؟ وهكذا إلى أن يبعث إن شاء الله .. والله أعلم.

وعلى هذا، فإن (الراجح) الذى تشهد له الأدلة الثابتة - كما يقول فى الدين الخالص (٧٩٩) - هو أن قراءة القرآن عند القبر مكروهة لأنه لم يثبت فيها حديث مرفوع صحيح ولا حسن، ولم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين .. ولذا قال الإمام أحمد: القراءة عند القبر بدعة. - وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار - كما قال الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يفعلوا ما اتفق عليه أهل السنة .. وهو وصول الصدقة على الميت والدعاء له .. وقضاء دينه .

وعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كذلك ضرورة أن يقدم كل واحد منهما خيراً لنفسه قبل فوات الأوان.. وقبل أن يقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصُدِّقُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٠٠) . والله الموفق للصواب .

(٥٩) ما تقول فى الصلاة ، والصَّوْم ، والصدقة .. وهل مع الإيمان عملٌ .. وهل للإنس شياطين يا رسول الله؟

عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، ما تقول فى الصلاة (٨٠١)؟ قال : (تَمَامُ الْعَمَلِ) (٨٠٢) . قلت : يا رسول الله ، تركتَ أفضلَ عمل فى نفسى

(٧٩٩) ج ٨ ص ٨١ .

(٨٠٠) المنافقون: من الآية ١٠، ١١ .

(٨٠١) أى: ما الذى تقوله فى فضل الصلاة ومزلتها .. وأبو ذر فى هذا الحديث يسأل عن قيم الأعمال لياخذ نفسه بالأهم فالأهم منها .

(٨٠٢) يعنى: أنها أفضل الأعمال وخيرها .

أو خيره (٨٠٣) ؟ قال: (ما هو؟) قلت : الصوم. قال: (خير وليس هناك) (٨٠٤) قلت: يا رسول الله، وأى الصدقة، وذكر كلمة (٨٠٥). قلت: فإن لم أقدر (٨٠٦)؟ قال: (بفضل طعامك) (٨٠٧). قلت: فإن لم أفعل (٨٠٨)؟ قال: (بشق تمر) (٨٠٩) قلت: فإن لم أفعل؟ قال : (بكلمة) (٨١٠). قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (دع الناس من الشر) (٨١١)، فإنها صدقة تصدق (٨١٢) بها على نفسك) قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (تريد أن لا تدع فيك من الخير شيئاً) (٨١٣).

[رواه البزار، واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه أطول بنحوه، والحاكم]

وروى البيهقى، ولفظه فى إحدى رواياته، قال: سألتُ رسول الله ﷺ: ماذا يُنجى العبدَ من النار (٨١٤)؟ قال: (الإيمان بالله) (٨١٥). قلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ (٨١٦) قال: (أن ترضخ مما حوَّلَكَ اللهُ (٨١٧)، وترضخ مما رزقَكَ

(٨٠٣) يعنى: أن أبا ذر كان يرى أن أفضل الأعمال وخيرها هو الصيام حتى سمع ما قاله الرسول ﷺ فى الصلاة . . وأو هنا للشك.

(٨٠٤) أى: ليس هو أفضل الأعمال كما كنت تظن ولكنه من خيرها .

(٨٠٥) ولم يذكرها الراوى لأنه نسبها وتقديرها أفضل أو أعظم أجراً فقال له : (جهد من مقل أو سر إلى فقير).

(٨٠٦) يعنى: إن لم أجد ما أتصدق به .

(٨٠٧) أى: بما بقى منه ولو لقمة أو لقمتان .

(٨٠٨) لأنه لم يكن لى فضل طعام .

(٨٠٩) أى: بنصفها .

(٨١٠) وهو رد السائل بالمعروف والعدة الجميلة ولين الكلام للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٨١١) أى: اجتنب كل ما يؤذى الناس من قول أو فعل : فالسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(٨١٢) أى: تتصدق فحذت إحدى التائبين للتخفيف .

(٨١٣) وذلك لأن من يعجز عن فعل أقل الخير ثم لا يقدر أن يجبس نفسه عن الشر يكون مجرداً من كل خير .

(٨١٤) أى: ما الذى إذا فعله العبد يكون سبباً فى نجاته من النار .

(٨١٥) لأن الإيمان بالله . . هو أساس الأعمال كلها ولا نجاه لأحد من عذاب الله إلا به .

(٨١٦) يعنى: هل هذا الإيمان بمجرد كآف فى النجاة أم يحتاج إلى عمل ؟

(٨١٧) أى: أن تعطى اليسير مما تملك من نعم الله وفضله . . لأن الرضخ المعطاء القليل، ومعنى حوَّلَكَ، أى : أعطاك .

الله) قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ؟ قال: (يئتمر بالمعروف^(٨١٨)) وينهى عن المنكر^(٨١٩)) قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: (فليُعن الأخرق)^(٨٢٠)) قلت: يا رسول الله، أرايت إن كان لا يُحسن أن يصنع؟ قال: (فليُعن مظلوماً^(٨٢١)) . قلت يا نبي الله، أرايت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يُعين مظلوماً؟ قال: (ما تُريد أن تترك لصاحبك من خير^(٨٢٢))، ليُمسك أذاه عن الناس) ^(٨٢٣) قلت: يا رسول الله، أرايت إن فعل هذا يدخله الجنة؟ قال: (ما من عبد مؤمن يُصيب خصلةً من هذه الخصال^(٨٢٤))، إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة^(٨٢٥)).

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر من حديث عبيد بن الخشاش - بألفاظ تختلف كثيراً عن الذى فى الحديثين السابقين - قال أبو ذر: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست، فقال: (يا أبا ذر هل صليت؟) قلت: لا. قال: (قُمْ فَصَلِّ) قال: فقامتُ فصليتُ ثم جلستُ، فقال: (يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن) قال: قلت: يا رسول الله أو للإنس شياطين؟ قال: (نعم) قال: قلت: يا رسول الله، فالصلاة؟ قال: (خير موضوع^(٨٢٦)) من شاء أقل ومن شاء أكثر) قال: قلت: يا رسول الله فالصوم؟ قال: (فرض مُجزئ وعند الله مزيد) قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: (أضعاف مضاعفة) قلت: يا رسول الله فأيتها أفضل؟ قال: (جهد من مقل، أو سر إلى فقير) .

(٨١٨) المعروف : كلمة جامعة تشمل كل ما عُرف حُسْنُه عقلاً أو شرعاً مما أمر الله به ورسوله .

(٨١٩) وهو كل ما عُرف قُبْحُه مما نهى عنه الله ورسوله نهى كراهة أو تحريم .

(٨٢٠) والأخرق أى الذى لا يحسن العمل .

(٨٢١) بأن يقوم معه حتى يرد إليه مظلمته .

(٨٢٢) يعنى: إذا كان لا يستطيع شيئاً من هذا كله فلا مال ينفق منه ولا نهياً عن منكر، ولا إغاثة لعاجز

ولا نصراً لمظلوم . فماذا بقى فيه من الخير ؟

(٨٢٣) يعنى: ليكف عن الناس شره فلا ييسط لهم يداً ولا لساناً بسوء .

(٨٢٤) أى: المتقدمة، ومنها كفه شره وأذاه عن الناس .

(٨٢٥) أى: إغاثته وأنهضه وقادته وهو تعبير رائع .

(٨٢٦) أى: خير شىء وضعه الشارع . وفى رواية صحيحة أيضاً : (واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة.. أن ينتفعا بكل هذا الخير المشار إليه فى هذه الأحاديث الشريفة من خلال إجاباته صلوات الله وسلامه عليه.. مع ملاحظة شىء هام.. وهو أن الأساس فى هذا الخير هو حرص أبى ذر رضي عنه على طلب العلم النافع.. الذى بدونه - والعياذ بالله - سنتخبط فى ظلمات الجهل.. وسننقاد إلى الخرافات والأوهام . ولهذا فقد ورد فى الحديث (عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهْهُ فِي الدِّينِ) [رواه البخارى ومسلم وابن ماجه]

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً .. من المتفقهين فى دينه .. اللهم آمين،،

(٦٠) ما الذى يخلطُ بلا إله إلا الله .. يا رسول الله؟

عن زيد بن أرقم رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(إن الله عز وجلَّ عهدَ إلىَّ ألا يأتيني أحدٌ من أمَّتِي بلا إله إلا الله، لا يخلطُ بِهَا شيئاً، إلاَّ أوجبتُ له الجنةَ، قالوا: يا رسول الله، وما الذى يخلطُ بلا إله إلا الله؟ قال : حرصاً على الدنيا، وجمعاً لها، ومنعاً لها، يقولون قولَ الأنبياء، ويعملون أعمالَ الجبابرة) .

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى أمر من أخطر الأمور التى لا بد أن نلتفت إليها بقلوبنا .. حتى نكون من أهل التوحيد الخالص .. وحتى لا نخلط بلا إله إلا الله .. بهذا المعنى الذى أوجزه الرسول ﷺ فى ختام الحديث بكلمات تتطلب مناً تفكيراً طويلاً .. لا بد أن نصل عن طريقه إلى الأسباب الأساسية فى هذا الخلط.. الذى هو الأساس فى كل ما أصاب الناس - والمسلمين بصفة خاصة - من نكبات وأزمات .

(وقبل) أن نفكر فى كل هذا المشار إليه.. فإبنى أرى أن نبدأ أولاً بمعرفة

المعنى المراد تنفيذه من كلمة التوحيد، وهى: لا إله إلا الله .. التى ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها :

(حديث) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (عبدالله بن عمرو) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خير الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير).

[أخرجه مالك والترمذى واللفظ له، وقال: حديث غريب]

(وحديث) جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أفضلُ الذِّكْرِ: لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاء: الحمد لله ^(٨٢٧)). [أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وقال: حسن غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه]

(وحديث) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب علّمني ما أذكرك به، وأدعوك به. فقال : يا موسى قل : لا إله إلا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب، كل عبادك يقولون هذا. قال : قل : لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا أنت. إنما أريد شيئاً تخصّني به. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهنَّ غيرى، والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة، لمالتُ بهنَّ لا إله إلا الله).

(وحديث) عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله، ليس لها دون الله حجابٌ حتى تخلّصَ إليه) ^(٨٢٨). [أخرجه الترمذى]

وقد أشار فى الجزء الأول من (الدين الخالص) إلى أهمِّ ما يتعلق بكلمة التوحيد من أحكام، فيقول تحت عنوان :

(٨٢٧) أطلق على الحمد دعاء على سبيل التجوُّز، لأن الحمد يتضمن الدعاء لقوله تعالى: ﴿لِيَن شَكَرْتُمْ لِأَن يَدْعُكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧) أى: فمن حمد الله تعالى كأنه يقول : رَبِّ أَدِمَّ عَلَى نِعْمَتِكَ وَزِدْنِي مِنْهَا. (٨٢٨) هذا من التشابه المصروف عن ظاهره باتفاق السلف والخلف.

حُكْمُ النُّطْقِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

يجب على مَنْ نشأ مؤمناً، أن يذكرها في العمر مرةً ناوياً أداء الواجب، وإلا فهو عاصٍ. ثم ينبغى له الإكثار من ذكرها عارفاً معناها مستحضراً ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنياً وأخرى. فتتفجّر ينابيع الحكَم من قلبه، ويرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر.

(وأما الكافر) الذي يريد الدخول في الإسلام، فذكره لها ليس شرطاً في صحة إيمانه ولا جزءاً من مفهومه، وإنما جعل الشرع النطق بالشهادتين شرطاً لازماً لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، وتزوجه مسلمة.. (فإنذا) لم ينطق بهما لعذر كالخرس، أو لم يتمكن من النطق بهما، بأن مات عقب إيمانه بقلبه، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الإيمان بقلبه (فهو مؤمن) عند الله وناج في الآخرة (وأما) من امتنع عن النطق بهما عناداً بعد أن عُرض عليه ذلك (فهو كافر) والعياذ بالله تعالى، ولا عبرة بتصديقه القلبي مع هذا الامتناع. ثم يقول تحت عنوان:

تَضَمُّنُهَا الْعَقَائِدَ

كل ما تقدم من العقائد ^(٨٢٩) يندرج في كلمة التوحيد، وذلك أن معنى لا إله إلا الله : (لا معبود بحق إلا الله) .. (ويلزم) هذا المعنى أن يكون غنياً عن كل ما سواه، وأن يفتقر إليه كل ما عداه.

(ويلزم) كونه غنياً عن كل ما سواه، (أ) وجوب الوجود له والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام وعدم الغرض في فعل ما أو حُكْم كذلك، وعدم التأثير بالقوة المودعة، وعدم وجوب فعل عليه تعالى (ب) واستحالة العدم والحدوث، والقضاء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج

(٨٢٩) معنى: كل ما ذكره من أول الكتاب .. حول الواجب والمستحيل والجايز في حق الله تبارك وتعالى .. وما يتعلق بالسمعات .. والإيمان بالرسول .. والعلامات الصغرى والكبرى بالنسبة ليوم القيامة ... الخ.

لموجد أو ذات يقوم بها. والصَّمم، والعمى. والبكَم. والتأثير بالقوة المودعة، والغرض فى فعل أو حكم ماً. ووجوب فعل عليه تعالى.

(فهذه) اثنتان وعشرون عقيدة، منها الواجب له تعالى، ومنها المستحيل فى حقه تعالى.

(ويلزم) كونه مفتقراً إليه كل ما عداه (أ) وجوب الوجدانية له تعالى فى الذات والصفات والأفعال، والحياة والعلم والإرادة والقدرة، وحدوث العالم، وعدم التأثير بالعلّة والطبع والتولّد (ب) واستحالة التعدّد فى الذات والصفات والأفعال اتصالاً وانفصالاً على ما تقدم، والموت والجهل والكرهية والعجز، وقدم العالم والتأثير بالعلّة والطبيعة والتولّد.

(فهذه) أربع عشرة عقيدة ما بين واجب له تعالى ومستحيل عليه تعالى .
ثم يقول:

(ومعنى) محمد رسول الله : ثبوت الرسالة له صلى الله عليه وآله وسلم، ويندرج تحته: (أ) وجوب الأمانة والتبليغ والصدق، واتصافه بما لا نقص فيه، سواء أكان واجباً كالفظانة وعدم دناءة الآباء والأمهات، أم جائزاً كالمرض والجوع . (ب) وإيماننا بجميع الأنبياء والكتب والملائكة واليوم الآخر، والقضاء والقدر. (ج) واستحالة الخيانة والكتمان والكذب، واتصافه بما فيه نقص كالبلادة والجنون والعمى.

(فهذه) أربع عشرة عقيدة^(٨٣٠) تُضم لما تقدم تكون جملتها خمسين عقيدة. وعلى هذا، فإن كلمة التوحيد^(٨٣١)، هى الكلمة التى من أجلها بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها فارقة بين الإيمان والكفر، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة.. (فهى) الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا بُنىَ عليها، وهى القطب الذى لا تدور رحى الشريعة إلا به، وهى زبدة رسالات الرسل،

(٨٣٠) أربع برقم (أ) وستة برقم (ب) وأربع برقم (ج) .

(٨٣١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٦٨٩ .

وخاصة دعوتهم ومُفتتح كلامهم.. فما أرسلَ أحد منهم إلى قومه إلا كان التوحيد أول ما يدعوهم إليه .. (وهي) كلمة التقوى التي ألزمها الله حزبه وأوليائه، وحرّم منها أعداءه.

(وقد) جمعت هذه الكلمة العظيمة التي هي عنوان الإسلام بين النفي والإثبات فنفت بصدرها الإلهية عن كل ما سوى الله عز وجل، وأعلنت البراءة من كل معبود باطل، وأثبتت بعجزها الإلهية لله وحده.. ولهذا قالوا في تفسيرها: لا معبود بحق في الوجود كُله إلا الله .. فهي في معنى قول مؤسس الحنيفية إبراهيم خليل الرحمن لقومه : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (٨٣٢).

غير أن كل هذا بالنسبة لنا يتوقف على تحقيق المعنى المراد من هذه الكلمة التي هي أفضل الكلمات ..

(فعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه).

[رواه البخارى]

(وهذا) معناه أن الذي سيفوز بشفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم - من أهل الكبائر من أمته - هو من قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لمضمونها ومع العمل بمقتضاها.. فتكون عبادته كلها لله .. (وقد) قالت طائفة من العلماء : التلطف بكلمة التوحيد سبب يقتضى دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض، ويجتنب الكبائر، فإن لم يأت بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر لم يمنعه التلطف بكلمة التوحيد من دخول النار..

(هذا) مع ضرورة تنفيذ المراد منها .. وأن لا يسأل إلا الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يعتمد إلا على الله، ولا ينحنى إلا لله .. (فإن)

(٨٣٢) الزخرف : من الآية ٢٦، ٢٧.

فعل غير ذلك وكان من الذين يعبدون مع الله غيره.. بمعنى أن يعبد الدرهم والدينار، والشمس والقمر والحجر والبقر والشجر .. والشهرة والشهوة .. الخ (فهو) ليس من أهل التوحيد الخالص.. (وإنما) هو من المشركين والعياذ بالله .. وإلى هذا يشير أحد الصالحين في قوله الذى كان يخاطب فيه أحد هؤلاء المشركين :

لَكَ أَلْفُ مَعْبُودٍ مُطَاعٍ أَمْرُهُ دُونَ الْإِلَهِ وَتَدْعَى التَّوْحِيدَ

(بل) وكان أحد الموحدين يتباهى بأنه من الذين يحبون رسول الله ﷺ وأنه من أهل التوحيد الخالص، فيقول مناجياً ربه :

يَا رَبُّ إِن ذُنُوبِي فِي الْوَرَى كَثُرَتْ وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ فِي الْحَشْرِ يُنَجِّنِي
وَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالتَّوْحِيدِ يَصْحَبُهُ حُبُّ النَّبِيِّ وَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِينِي

(فإذا) كان هناك من حُرِمَ من هذا التوحيد الخالص.. فإنه ما كان إلا بسبب هذا الخلط الذى أشار إليه الرسول ﷺ فى الحديث الأول .. (والذى) ما كان إلا بسبب الانشغال بالدنيا التى كانت ولا تزال سبباً فى كل ما نحن فيه من غفلة واستهتار .. بتلك الصورة التى جعلت أكثرنا لا يفكر إلا فى ملذاته وشهواته .. مع أنه لو فكر فى حقيقة الدنيا لما شُغِلَ بها أكثر من المطلوب الضرورى الذى يُغْنِيهِ عن السؤال .. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٣٣).

فلا بد إذاً من العمل الذى يغنينا عن المسألة والذى به سنحقق الهدف من وجودنا فى هذه الحياة.. وذلك بتنفيذ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.. من خلال الزرع والحصد والضرب فى الأرض طلباً للرزق، كما أمرنا الله تبارك وتعالى بهذا حتى فى يوم الجمعة كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله : ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٨٣٤). (مع) ضرورة أن نعتبر أنفسنا غرباء فى هذه الدنيا .

(٨٣٣) المنافقون : من الآية ٨ .

(٨٣٤) الجمعة : من الآية ١٠ .

(فعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبى فقال : (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول ^(٨٣٥) : إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. [رواه البخارى]

(فالمعنى) المراد من قوله بِصَلَاتِهِ : (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) ^(٨٣٦) أى : لا تركز إليها ولا تتخذها وطناً ولا تُحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله .. وهذا هو معنى قول سلمان الفارسى رضي الله عنه : أمرنى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم : أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.. (ولله) دُرٌّ من قال :

أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كَفَايَةٌ
مُقَامَكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلاً
لَمَنْ كَانَ فِيهَا يَعْتَرِيهِ رَحِيلٌ
وأيضاً يقول أحدهم :

تَرْجُو الْبَقَاءَ بَدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا
كَمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ :

سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ
فَلَا تَلْهُو بَدَارٍ أَنْتَ فِيهَا
فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهَا سُجِنْتَ
وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ
تَفَارِقُ مِنْكَ يَوْمًا مَا لَهْوًا
سَتُطْعِمُكَ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعْمًا

فعلى الاخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا أولاً إن شاء الله من أهل التوحيد الخالص إذا ما نفذاه على هذا الأساس الذى وقفا عليه.. (بل) وحتى يكونا من هؤلاء الزاهدين فى هذه الدنيا.. بمعنى أن

(٨٣٥) أى : معلقاً على كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨٣٦) كما جاء فى شرح : (الحدِيث الأربعون) من الأربعين النووية.

يخرجوها من قلوبهم بهذا المعنى الذى قال فيه العلماء : ليس الزاهد من لا مالَ عنده، وإنما الزاهد من لم يُشغَلِ المالُ قلبَهُ وإن أُوتِيَ مثلَ ما أُوتِيَ قارون .

(وهذا) معناه أنه لا مانع أن يكون معك مال - حلال - كمال قارون .. ولكن على شريطة أن يكون هذا المال الحلال فى يدك لا فى قلبك .. لأنه إذا كان فى يدك استطعت أن تستغله فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان مُتربِّعاً على قلب البعيد .. فإنه سيكون مطية له .. بمعنى أن الدنيا هى التى ستركبه لكى توجهه إلى أى اتجاه تشاء .. و(لهذا) فقد ورد فى الحديث : (نعمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح).

(وعليهما) كذلك أن لا يغترَّ بالدنيا حتى لا يكونا من عبَّادها المشار إليهم فى ختام الحديث الذى ندور حوله .. وهم الذين يخلطون : (بلا إله إلا الله .. حرصاً على الدنيا، وجمعاً لها، ومنعاً لها.. يقولون قول الأنبياء، ويعملون أعمال الجبابرة).

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من أهل هذا الخلط المشين .. والذى ليس من خصال المؤمنين الموحدين .. ونحن نسأله سبحانه وتعالى أن يُخرج حُبَّ الدنيا من قلوبنا.. وأن يجعلها بالنسبة لنا مزرعة خير لصالح الآخرة التى هى دار القرار.. ودار النعيم الأبدى..

اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين،،

(٦١) ما هو أول ما يبشِّر به المؤمن ..

يا رسول الله؟

عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

(أول ما يبشِّر به المؤمنُ : رُوحٌ ورِيحانٌ، وجنَّةٌ نعيمٌ، وإن أول ما يبشِّر

به المؤمنُ، أن يُقالَ له: أبشِرْ وليَّ الله برضاهُ والجنَّة، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدِمٍ، قد

غفر الله لمن شِيعَكَ واستجاب لمن استغفر لك، وقَبِلَ مَنْ شَهِدَ لَكَ

[أخرجه ابن أبي شيبَةَ وأبو الشيخ في الثواب]

ففى هذا الحديث الشريف يُبَشِّرُ الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين والمؤمنات كما يُبَشِّرُ المشيِّعين لهم.. بكل تلك البشريات العظيمة التى نحن جميعاً كمؤمنين ومؤمنات فى أشد الحاجة إليها .. حتى نكون بها - إن شاء الله تعالى - من المطمئنين على مستقبلنا عنده سبحانه وتعالى، منذ اللحظة الأولى التى سنكون فيها داخل قبورنا.. التى هى أول منزل من منازل الآخرة .

(فقد) ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم

يَنجُ منه فما بعده أشد منه)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضح منه) ^(٨٣٧) [أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب، ورزين وزاد]: قال هانئ: سمعت

عثمان يُنشد :

فإن تنجُ منها تنجُ من ذى عظمة وإلا فإبى لا إخالك ناجياً

(لهذا) فإن المؤمن الصادق - إن شاء الله - سيكون فى أشد الحاجة إلى تلك

البشريات المشار إليها فى نص الحديث، والتى أولها أنه سيُبَشِّرُ من جانب ملائكة الرحمة الذين سيستقبلونه - ذكراً كان أو أنثى - بالروح والريحان،

وجنة النعيم .. ولعل هذا، هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿قُلُوبًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ • وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ • وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا

تَبْصِرُونَ • قُلُوبًا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ • تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُقْرَبِينَ • أَى : فأما إِنْ كَانَ الميت، من الذين قَرَّبَهُم الله من جواره فى جناته

﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ • أَى : فله الرحمة، والمغفرة، والرزق الطيب الهنىء، وله ريحانٌ

يُتَلَقَّى بِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ • وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ • أَى : وله بستان يتنعم فيه .

(٨٣٧) أى : أشد وأشد .

(٨٣٨) الواقعة : ٨٣ - ٨٩، والتفسير من مختصر تفسیر الطبرى باختصار وتصرف .

(وهذا) معناه كذلك، أن المؤمن سيكون في كنف الله تعالى ورحمته من اللحظة الأولى التي سيكون فيها داخل قبره بعد أن يسأله (مُنكر ونكير).
(فقد) ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال :

(إن العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه حتَّى إنَّهُ لَيَسْمَعُ قرع نِعَالِهِمْ إذا انصرفوا أتاه مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فيقولان له: ما كُنْتَ تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، ويُفَسِّحُ له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خُضْرًا إلى يوم يُبْعَثُونَ. وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كُنْتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كُنْتُ أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ (٨٣٩) وَيُضْرَبُ بمطارق من حديد ضربةً بين أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غير الثَّقَلَيْنِ (٨٤٠) وَيُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف أضلاعه).

[أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي واللفظ للبخاري]

(وعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد. فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسنا حوله وكأَن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكتُ به في الأرض، فرفع رأسه فقال: (استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوههُم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وَحَنُوطٌ (٨٤١) مِنْ حَنُوطِ الجنةِ حتى يجلسوا منه مدَّ البصر. ثم يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى

(٨٣٩) أى : لا عرفت الحق بنفسك ولا اتبعت من يعرف .

(٨٤٠) وهما الجن والإنس .

(٨٤١) حَنُوط كرسول : طيب يخلط للميت خاصة، وكل ما طيَّبَ به الميت من مك وغيره .

يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال : فتخرجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ القطرةُ من في السَّقاء، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نَفحةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ على وجه الأرض. قال: فيصعدونَ بها فلا يمرونَ على مَلَأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان باحسنِ أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتحُ لهم: فيُشيعُهُ من كل سماءٍ مُقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنهيَ به إلى السماء السابعة. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبيدي في عليين وأعيدهم إلى الأرض، فإني : ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَإِنَّا نَعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٨٤٢) قال: فتعادُ روحُه في جسده فيأتيه مَلَكَان فيُجلِسانه فيقولان له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّي الله، فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله فأمَنتُ به وَصَدَّقْتُ، فينادي مُنادٍ في السماء أن صدق عبيدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال : فيأتيه من رَوْحِهَا (٨٤٣) وطيبها ويُفسحُ له في قبره مدَّ بصره. ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح فيقول: أبشِرْ بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجهُ يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبدَ الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سودُ الوجوه معهم المُسوح (٨٤٤)، فيجلسون

(٨٤٢) كما تشير الآية رقم ٥٥ من سورة طه .

(٨٤٣) بفتح الراء وسكون الواو : الرحمة .

(٨٤٤) المسوح جمع مسح كحمل وحمول : الثوب الخشن .

منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغيظ، فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود^(٨٤٥) من الصوف المبلول، فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك الوسج، ويخرج منها كأنت ریح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له فلا يُفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾^(٨٤٦)، فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَخَطَفَهُ الطَّيرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحيقٍ﴾^(٨٤٧)، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، مُنتنُ الریح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كُنت تُوعد، فيقول: فمن أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب، لا تقم الساعة).

[أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة]

(٨٤٥) السفود بوزن التنور : الحديدية التي يشوى بها اللحم .

(٨٤٦) الأعراف : ٤٠، وسم الحياط ثقب الإبرة .

(٨٤٧) الحج : ٣١ .

(وهكذا) كما وضح من سياق الحديثين يَتميّزُ الصالح من الطالح.. بالإضافة إلى البشريات الأخرى التي منها كذلك - كما جاء في نص الحديث الذي ندور حوله - أن الملائكة ستقول للمؤمن : (أبشرِ ولىَّ اللهُ برضاهُ والجنة، قدِّمتَ خيرَ مُقدِّمٍ، قد غفر اللهُ لمن شِيعَكَ واستجاب لمن استغفرَ لك، وقبِلَ مَنْ شَهِدَ لك).

(وهذا) كُلُّه لا بد أن يكون سببًا في حرصِ الأخِ المؤمنِ على أن يكون أهلاً لهذا الخير على الدوام، (وكذلك) لا بد أن يكون سببًا في حرصِ الإخوةِ المؤمنين على المشاركة في تشييع جنازات إخوانهم من المؤمنين والمؤمنات.. حتى يفوزوا بثواب هذا التشييع المشار إليه في قول الرسول ﷺ : (مَنْ شَهِدَ الجنازةَ حتى يُصَلِّيَ عليها فله قيراطٌ، ومَنْ شَهِدَهَا حتى تُدْفَنَ فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قيل: مِثْلُ الجبلينِ العظيمين) [متفق عليه] (٨٤٨).. (وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : (ما من ميت يُصلى عليه أُمَّةٌ من المسلمين يبلغون مائةً كلهم يشفعون له إلا شُفِّعُوا فيه) [رواه مسلم]

(وعن) ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلا شُفِّعهم اللهُ فيه) [رواه مسلم]

(ولاسيما) إذا كان المشيعون من هؤلاء الموحدين سيستغفرون لأخيهم المؤمن بعد أن يُفرغ من دفنه (فقد) ورد أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: (استغفروا لأخيكم وسلِّموا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير.. الذي أرجو أن يكون إن شاء الله سببًا في تحقيق كل البشريات لهما.. مع حرصهما الدائم على الدعاء بالرحمة والمغفرة لكل من سبقهما إلى الله تعالى بالإيمان ..

(٨٤٨) عن أبي هريرة .

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٨٤٩). وعليهما أيضاً أن يسألا الله تعالى لجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات : (رضاه والجنة)، اللهم آمين،،

٦٢) يا رسول الله .. أى مسجد وضع في الأرض أولاً ؟

قال أبو ذر رضي الله عنه : قلتُ : يا رسول الله، أى مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: (المسجد الحرام) قلت: ثم أى؟ قال: (ثم المسجد الأقصى) قلت: كم بينهما؟ قال: (أربعون سنة) ثم قال: (أينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد) وفي رواية : (فكلها مسجد). [رواه الجماعة]

ففي هذا الحديث الشريف يشير النبي صلوات الله وسلامه عليه من خلال إجابته إلى معلومة هامة ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يكونا على علم بها، وهي أن المسجد الحرام وجد قبل المسجد الأقصى بأربعين سنة (٨٥٠).

وقد ورد في السنة الشريفة الإشارة إلى فضل الصلاة في هذين المسجدين الشريفين بالإضافة إلى الصلاة في مسجد الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

فعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة) (٨٥١). [رواه البيهقي، وحسنه السيوطي]

وروى أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام

(٨٤٩) الحشر : من الآية ١٠ .

(٨٥٠) مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٨٥١) وهذا معناه أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم تعدل صلاتين في المسجد الأقصى .

أفضلُ من صلاةٍ في مسجدي هذا بمائة ألف صلاةٍ)

وروى الجماعة أن النبي ﷺ قال : (لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد :

المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) .

فليكنُ هذا أخا الإسلام في موضع الاعتبار حتى لا تضيع الفرصة التي قد تُمكنك من زيارة المساجد الثلاثة التي ينبغي أن تُشدَّ الرحال إليها حتى تفوز بالصلاة فيها أكبر عدد ممكن من الصلوات المفروضة والمسنونة.. مع حرصك الشديد عندما ستشدد رحالك إلى مسجد الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: أن تزوره وتسلم عليه وعلى صاحبيه - أبي بكر وعمر - عليهما رضوان الله .. مع الحرص الشديد كذلك على أن تصلي أكبر عدد ممكن من الصلوات في الروضة الشريفة.

هذا، وإذا كان النبي ﷺ قد قال بعد الإجابة التي وقفنا عليها: (أيضا أدركتكم الصلاة فصلٌّ فهو مسجد) أو كما جاء في الرواية الأخرى : (فكلها مسجد): فإن هذا معناه أن الله تعالى قد اختصَّ هذه الأمة المحمدية بأن جعل لها الأرض مسجداً وطهوراً .. وأن هذا معناه كذلك أنه ينبغي أن نُكثر من بناء بيوت الله تعالى في كل مكان فوق هذه الأرض حتى لا يكون هناك عُذر لأحد في التخلف عن صلاة الجماعة التي هي من السنن المؤكدة - عند أكثر الفقهاء - وقد ورد أنه لا يتخلف عنها من الذكور المكلفين - لغير عذر قاهر - إلا منافق ، بين النفاق ، أو ضعيف الإيمان :

فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود، رضى الله عنه قال : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث يُنادى بهنَّ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى^(٨٥٢)، وإنهنَّ من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم - كما يُصلى هذا المتخلف في بيته - لتركتم سننَ نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر، فيحسن الطهور^(٨٥٣)، ثم يعمد إلى

(٨٥٢) قال النووي: روى بضم السين وفتحها، وهو بمعنى متقارب، أى طرائق الهدى جـ ٥ ص ١٦٦

صحيح مسلم .

(٨٥٣) الطهور بضم الطاء: القيام بالتطهر، أما الطهور بفتح الطاء فهو ما يُتطهر به من ماء أو تراب .

مسجد من هذه المساجد إلا كَتَبَ اللهُ له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يهادى^(٨٥٤) بين الرجلين حتى يُقام فى الصلوة.

(وقى رواية لمسلم أيضاً) : (لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق، قد علم نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشى بين رجلين، حتى يأتى الصلاة).

وعن جابر بن عبد الله قال: أتى ابن أم مكتوم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن منزلى شاسع^(٨٥٥)، وأنا مكفوف البصر، وأنا أسمع الأذان، قال: (فإن سمعت الأذان فاجب، ولو حبواً، أو زحفاً). [رواه أحمد والطبرانى]

فلاحظ كل هذا أخوا الإسلام حتى تحافظ على صلاة الجماعة، وتكون من عمّارى المساجد، وحسبك حتى تفوز بهذا الخير أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة:

عن ابن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد^(٨٥٦) بسبع وعشرين درجة). [رواه البخارى ومسلم]

وعن أبى هريرة بن عبد الله قال: (من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئته، والأخرى ترفع درجته). [رواه مسلم]

وعن جابر بن عبد الله بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويكفر به الذنوب؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: (إسباغ^(٨٥٧) الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط^(٨٥٨)). [رواه مسلم]

(٨٥٤) أى: يمشى بين رجلين يستدانه .

(٨٥٥) أى: بعيد عن المسجد .

(٨٥٧) أى: إتمام الوضوء عند البرد والألم والمرض ونحو ذلك .

(٨٥٨) أى: الوقوف على الحدود لحماية بلاد المسلمين من الغزاة والمعتدين . وقد شبه النبي ﷺ المنتظر للصلاة بالرباط لأنه يجاهد نفسه، وجهاد النفس أكبر من جهاد العدو .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ ^(٨٥٩) وَرَاحَ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ نَزْلًا ^(٨٦٠) . كلما غدا وراح) . [رواه أحمد والشيخان]
والله ولى التوفيق،،

(٦٣) يَا رَسُولَ اللَّهِ .. إِنْ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي

وَبَيْنَ صَلَاتِي وَبَيْنَ قِرَاءَتِي يُلْبِسُنِي عَلَيَّ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

عن عثمان بن أبي العاص، قال : قلتُ : يا رسول الله إن الشيطانَ قد حال
بيني وبين صَلَاتِي وَبَيْنَ قِرَاءَتِي يُلْبِسُنِي عَلَيَّ ^(٨٦١) عليٌّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (ذَاكَ شَيْطَانٌ
يَقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ^(٨٦٢)، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَانْقُلْ عَنْ يَسَارِكَ
ثَلَاثًا) قال: ففعلت، فأذهب الله عني . [رواه مسلم]

ولكى نفهم المراد من هذه الفتوى .. فإنه ينبغي علينا أولاً أن نهد لها بتوجيه
لابد أن نفهمه حتى ننفذه.. (وهو) أنه لا بد قبل أن نقف بين يدي الله تعالى فى
الصلاة أن نُفْرِغَ القلب من جميع الشواغل الدنيوية.. ولا بد ونحن نُكَبِّرُ تكبيرة
الإحرام أن نطرح الدنيا خلف ظهورنا .. (وذلك) حتى يتحقق الخشوع المشار
إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ لِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ﴾ ^(٨٦٣) .

وهذا الخشوع كما قال فى (الدين الخالص) ^(٨٦٤) : ينقسم إلى قسمين:
ظاهرى، وباطنى .

(٨٥٩) من غدا إلى المسجد وراح : أى ذهب ورجع .

(٨٦٠) والنزل : ما يُعَدُّ للضيف .

(٨٦١) يُلْبِسُنِي، يفتح فسكون : أى يخلطها عليٌّ ويُسككني .

(٨٦٢) خَنْزَبٌ بثلاث الخاء وسكون النون وفتح الزاى : لقب الشيطان . واختزب فى الأصل قطعة لحم
مُتَّئِنَةٌ .

(٨٦٤) ج ٤ ص ٢٦٨ .

(٨٦٣) المؤمنون : ١ ، ٢ .

فالظاهرى: سكون الجوارح عن العبث وجعل بصره موضع سجوده.

والباطنى : خوف القلب وخضوعه ورقته وسكونه وحفظه عن الاشتغال
بغير ما هو فيه من التأمل فى معانى القرآن، فينشأ عن سكون الجوارح، لقوله
ﷺ فى العايب بلحيته: (لو خشع قلبُ هذا لخشعتُ جوارحه).

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادره عن أبى هريرة]

(وقد اتفق العلماء) على أنه يُطلب من المصلى أن يكون خاشعاً خاضعاً
مستحضراً عظمة الله وهيبته، وأنه يناجى من لا تخفى عليه خافية. لقوله تعالى:
﴿لَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٨٦٥) أى: خائفون من الله
متذللون له، جاعلون أبصارهم إلى موضع سجودهم. (وقد عدَّ الإمام
الغزالي^(٨٦٦) الخشوع ركناً من أركان الصلاة^(٨٦٧). (وقال بعض السلف:
الخشوع للصلاة كالروح للجسد.

(وقال ابن رجب) الحنبلى فى رسالة الخشوع فى الصلاة: ويتفاوت
الخشوع فى القلب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له^(٨٦٨)، وبحسب تفاوت
مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع: (فمن خاشع): لقوة مطالعته لقرب
الله من عبده واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى
ومراقبته فى الحركات والسكنات (ومن خاشع): لمطالعته لكمالته وجماله
المقتضى للاستغراق فى محبته، والشوق إلى لقائه ورؤيته (ومن خاشع):
لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه سبحانه وتعالى،
جابر المنكسرة قلوبهم من أجله، وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه فى
الصلاة، ويُعفّر وجهه فى التراب بالسجود (وقد روى) أبو نعيم من طريق

(٨٦٥) المؤمنون : ١، ٢ .

(٨٦٦) حجة الإسلام صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) عليه رحمة الله .

(٨٦٧) وهذا معناه أن الصلاة عنده تكون باطلة إذا لم يكن فيها خشوع .

(٨٦٨) وقد ورد توضيحاً لهذا، أن الإمام زين العابدين رضى الله عنه كان إذا توجساً ونهياً للصلاة اصفر
لونه واحمر وأصبح فى حالة يُرى لها . . . فسل عن هذا؟ فقال لسائليه : أما تدرون أمام من
سأف ؟!

حمزة عن ابن شوذب قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : (أتدرى بأى شيء اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ؟ قال: لا يا رب . قال : لأنه لم يتواضع لى أحد قط تواضعك). وتواضعه هذا هو الخشوع، وهو العلم النافع، وهو أول ما يُرفع من العلم .. (فالعلم) النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية، والإخبات ^(٨٦٩) لله والتواضع والانكسار

(ولهذا) فنحن المؤمنون - إن شاء الله - فى أشد الحاجة إلى هذا العلم النافع الذى به ستكون قلوبنا خاشعة لله رب العالمين .. وستكون حياة بتلك الصورة التى ستجعل المصلى كهذا الرجل الصالح وهو حاتم الأصم رضي الله عنه .. (فلقد) مرَّ عليه عصام بن يوسف رحمه الله وهو يتكلم فى مجلسه ^(٨٧٠) فقال له : يا حاتم تُحسِنُ تُصَلِّي ^(٨٧١) ؟ قال : نعم . قال: كيف تصلى؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يُقبل منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت. قال: تكلم فأنت تحسن تصلى . اهـ - كلام ابن رجب باختصار.

(وما) كانت صلواته هكذا إلا بسبب خشوع قلبه.. كما جاء فى قول النبى ﷺ: (لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه) (وذلك) لأن القلب بالنسبة لباقى الجوارح كالملك بالنسبة للرعية.. إذا صلح صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية.. وفى الحديث: (.. ألا وإن فى الجسد مُضغَةً إذا - صَلَحَتْ - صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلبُ). ^(٨٧٢)

(فلتعمل) أخا الإسلام على أن تكون من أصحاب القلوب الصالحة .. حتى

(٨٦٩) أى: الخشوع لله تبارك وتعالى.

(٨٧٠) أى: أنه كان يجلس فى مجلس الدرس ليعلم الناس.

(٨٧١) يريد أن يقول له : تحسن كيف تصلى ؟ .

(٨٧٢) من حديث شريف، رواه البخارى ومسلم .

تكون خاشعاً فى صلاتك، (وحتى) لا تكون فريسة لهذا الشيطان الذى يسمى (خنزب)، والذى يحاول جاهداً أن يلبس قراءتك فى الصلاة عليك .. وذلك بمعنى أنه يُشكك فى معانى الآيات التى تتلوها .. حتى يكون سبباً فى ضلالك وبطلان صلاتك والعياد بالله .. (فإنذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل^(٨٧٣)) عن يسارك (ثلاثاً)، فإنك إذا فعلت ذلك سيذهبه الله عنك .. كما يقول راوى الحديث.

(واعلم)، أن هذا الذى سيحدث لك من جانب هذا الشيطان وغيره من الشياطين الأخرى : إنما هو من باب الوسوسة التى ينبغى أن تستعيز بالله تعالى منها على الدوام - سواء كان هذا فى الصلاة أم فى غيرها - (وذلك) بما هو منصوص عليه فى القرآن والسنة.

ومما يدفع الوسواس، قراءة الموعذتين، فإن لهما تأثيراً عجبياً فى دفع شرّ الشيطان، والتحصن منه، فقد قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت الموعذتان، فأخذ بهما وترك ما سواهما. [أخرجه الترمذى وحسنه]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ به المتعوذون؟ قلت: بلى . قال : قل أعوذ برب الفلق^(٨٧٤))، وقل أعوذ برب (الناس). [أخرجه مسلم]

وعن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى مراراً : (قل. فلم أقل شيئاً ثم قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تُمسى، وحين تُصبح ثلاثاً مرات تكفيك من كل شىء).

[أخرجه الثلاثة، وهم: أبو داود والترمذى، والنسائى. وقال الترمذى: حسن صحيح]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه نفث^(٨٧٥) فى كفيه

(٨٧٣) (التفل) شبيه بالبرق وهو أقل منه. أوله البرق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ. وقد تفل من باب ضرب ونصر.. (مختار الصحاح).

(٨٧٤) أى: السورة رقم ١١٣، ١١٤ من القرآن الكريم. (والفلق) قيل: هو الصبح، وقيل: هو الخلق كله (مختار الصحاح).

(٨٧٥) النفث : قذف النفس مع شىء من الريق، وهو دون التفل.

بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده، فلما اشتكى^(٨٧٦) كان يأمرني أن أفعل ذلك به . [أخرجه الشيخان]

ومما يدفع الوسواس، قراءة آية الكرسي، ففي الحديث : (إِنَّا نُوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا وَلَا يَقْرِبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) الحديث [أخرجه البخاري مطولاً عن أبي هريرة]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من رقية الوسواس قراءة قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٨٧٧) . [أخرجه أبو داود]

وقال النووي: يُسْتَحَبُّ قَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِالْوَسْوَسَةِ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَأَشْبَاهِهِمَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الذِّكْرَ خَسَّ . ١ هـ .

فَكُنْ أَخَا الْإِسْلَامِ مُتَنَفِعًا بِكُلِّ هَذَا حَتَّى يَحْفَظَكَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٨٧٨) . والله خير الحافظين،

(٦٤) أَخْبَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الرُّؤْيَا الَّتِي

رَأَيْتَهَا فِي مَنَامِكَ .. ثُمَّ خَرَجْتَ عَلَى أَصْحَابِكَ

وَهُمْ نِي صُفَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا؟

عن عبد الرحمن بن سمرّة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صُفَّةٍ^(٨٧٩) بالمدينة، فقال: (إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا :

رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ.. فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدِيهِ، فَرَدَّ مَلَكُ الْمَوْتِ عَنْهُ.

(٨٧٦) أى: مرض .

(٨٧٧) الحديد : ٣ .

(٨٧٨) سورة الناس : ١ - ٦ .

(٨٧٩) اسم مكان .

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين.. فجاءه ذكرُ الله فطير
الشياطين عنه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب.. فجاءته صلاته
فاستنقذته من أيديهم.

ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، كلما دنا من حوضٍ منع وطرد ..
فجاءه صيام شهر رمضان .. فأسقاؤه وأرواه.

ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون جلوساً حلقاً حلقاً، كلما دنا منهم طرد ..
فجاءه غُسله من الجنابة، فأخذ بيده وأجلسه إلى جنبى .

ورأيت رجلاً من أمتي .. من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن
يمينه ويساره وفوقه ظلمة، وهو متحير .. فجاءه الحج والعمرة فأخرجاه
من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيت رجلاً من أمتي يتقى وهج النارِ وشررها .. فجاءته صدقته
فصارت سداً بينه وبين النارِ وظلاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه.. فجاءته صلته لرحمه
فقال: يا معشر المؤمنين .. إنه كان وصولاً لرحمه.. فكلموه وصافحوه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الزبانية (٨٨٠).. فجاءه أمره
بالمعروف ونهيه عن المنكر .. فاستنقذه من أيديهم .. وأدخله فى ملائكة
الرحمة.

ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل
حجاب.. فجاء حسناً خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل.

ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهب صحيفته من قبل شماله .. فجاءه خوفه
من الله عز وجل .. فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه.

(٨٨٠) وهم ملائكة جهنم والعياذ بالله من النار .

ورأيت رجلاً من أمتي قد خفَّ ميزانه .. فجاءه أفرأطه (٨٨١) فنقلوا ميزانه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم.. فجاءه رجاؤه في الله عز وجل، فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار .. فجاءته دمعته التي بكاها من خشية الله عز وجل .. فاستنقذته من ذلك .

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعدُّ كما ترعدُّ السَّعْفَةُ (٨٨٢) في يوم ريح عاصف.. فجاءه حُسْنُ ظَنِّهِ بالله عزَّ وجلَّ فسكَّن .

ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلَّقُ أحياناً.. فجاءته صلاتُهُ عَلَيَّ فأقامته على قدميه وأنقذته.

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبوابُ دونه .. فجاءته شهادةٌ أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبوابَ وأدخلته الجنة).

[حديث صحيح، قال عنه الحافظ أبو موسى المدني: إنه حسن جداً.. وقال عنه شيخ الإسلام (٨٨٣) : إنه من أحسن الأحاديث]

ففى هذا الحديث الشريف.. أو فى هذه الرؤيا التى جاءت مثل فلقِ الصُّبح .. يحدثنا الحبيبُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. من خلال إخباره لأصحابه: بأهم فضائل ونتائج الأعمال الصالحة التى ينبغى أن نَسارع بها إلى الله تبارك وتعالى قبل فوات تلك الفرصة التى نعيشها إلى الآن فى دار العمل التى لا بد لها من نهاية .. ولا بد بعدها من الانتقال إلى دار الحساب التى سيكون أولها القبر الذى هو أول منزل من منازل الآخرة .

(لحديث) هانىء مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلُّ لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر

(٨٨١) أى : الذين ماتوا قبله من الأولاد . . إذا كان قد رضى بقضاء الله فيهم .

(٨٨٢) أى : الخوصة .

(٨٨٣) أى : ابن تيمية عليه رحمة الله .

كِتَابِيَّةٌ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ * فَهُوَ لِي عَيْشَةٌ رَاحِيَّةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * فَطُورُهَا دَانِيَةٌ * كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٨٨٥﴾

أى: كُلُّوا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ ثَمَارِهَا، وَاشْرَبُوا مِنْ طَيِّبِ أَشْرِبَتِهَا هَنِيئًا .. بِمَا قَدَّمْتُمْ لِآخِرَتِكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا الَّتِي خَلَّتْ وَوَضَّتْ ..

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِي كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً * وَلَمْ أُدْرَمَ حِسَابِيَّةً * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٨٨٥) * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٨٨٦) * خَذُوهُ فَطُورُهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوَهُ﴾ (٨٨٧) * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٨٨٨) * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٨٨٩) * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْغَاطِقُونَ﴾ (٨٩١) ﴿ (٨٩٢)

وفى يوم القيامة عندما ستدنو الشمس من الرعوس، وسيكون العرق فوق الأذقان.. سيكون أهل الأعمال الصالحة تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة) (٨٩٣) يُظْلَمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ (٨٩٤) يَوْمٌ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ (٨٩٥) ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّبَا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ

(٨٨٥) أى : يَا لَيْتَ الْمَوْتَةَ الَّتِي مَتَّهَا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا بَعَث .

(٨٨٦) أى : ذَهَبَتْ عَنِّي حُجُجِي ، فَلَا حُجَّةَ لِي أَحْتَجُّ بِهَا .

(٨٨٧) أى : ثُمَّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أُورِدُوهُ لِيَصَلِيَ فِيهَا .

(٨٨٨) أى : ثُمَّ ادْخُلُوهُ فِي سِلْسِلَةٍ طَوَّلُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْمَلِكِ .

(٨٨٩) أى : لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ يَدْفَعُ عَنْهُ ، أَوْ يُغَيِّثُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ .

(٨٩٠) وَهُوَ مَاءٌ يَسِيلُ مِنَ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ .

(٨٩١) أى : لَا يَأْكُلُ هَذَا الطَّعَامَ إِلَّا الْمَذْنُوبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ .

(٨٩٢) سُورَةُ الْحَاقَّةِ : مِنَ الْآيَةِ ١٨ - ٣٧ .

(٨٩٣) أى : سَبْعَةٌ أَصْنَافٌ مِنَ النَّاسِ .. مَعَ جَمِيعِ الْأُمَّمِ .. وَبِصِفَةِ خَاصَةٍ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم .

(٨٩٤) أى : فِي ظِلِّ عَرْشِهِ سَبْحَانَهُ .. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا ظِلَّ لَهُ .. فَهُوَ سَبْحَانَهُ مُخَالَفٌ لِلْمُحَادَثِ .

(٨٩٥) أى : أَنَّهُ يَصَلِّيُ الْوَقْتَ فِي الْمَسْجِدِ .. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى عَمَلِهِ .. أَوْ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ

يَعِيشَ إِلَى الْوَقْتِ الْآخِرِ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْمَسْجِدِ .

وتفرقاً عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله^(٨٩٦)، ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه^(٨٩٧)، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه^(٨٩٨). [متفق عليه]

وإن شاء الله تبارك وتعالى .. ستكون الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى.. سبباً في دخولنا الجنة .. كما قال الله تعالى مؤكداً هذا في ختام سورة الكهف:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَغْوَنَ عَنْهَا حَوْلًا ^(٨٩٩) * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا ^(٩٠٠) لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي ^(٩٠١) وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ^(٩٠٢) وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ^(٩٠٣)﴾

كما قال تعالى في ختام سورة البينة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ^(٩٠٤) * جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ^(٩٠٦) ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ^(٩٠٧)﴾ ^(٩٠٨)

(٨٩٦) وقد يكون العكس هو الصحيح من جانب المرأة الصالحة.

(٨٩٧) كناية عن إخفاء الصدقة .. حتى لا يكون من أهل الرياء.

(٨٩٨) أى: بالدموع خوفاً من الله تبارك وتعالى .

(٨٩٩) أى: لا يثين في الجنة أبداً لا يريدون عنها تحولاً .

(٩٠٠) أى: لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذى يكتب به كلمات ربي .

(٩٠١) أى: لنفذ ماء البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثل ما فيه من الماء مدداً .

(٩٠٢) أى: فليخلص له العبادة ولا يجعل له شريكاً في عبادته .

(٩٠٣) الكهف: من الآية ١٠٧ - ١١٠ .

(٩٠٤) أى: أولئك هم خير خلق الله .

(٩٠٥) أى: بساتين إقامة .

(٩٠٦) أى: رضى الله عنهم بطاعتهم، وعملهم للخلاص من عقابه، ورضوا عنه بما أعطاهم من الثواب

وجزاهم من الكرامة .

(٩٠٧) أى: ذلك الخير لمن خاف الله فى الدنيا فى سره وعلنه، فأدى الفرائض، واجتنب المعاصى .

(٩٠٨) البينة: ٧، ٨ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير الذى أرجو أن يكون سبباً فى تقربهم إلى الله تبارك وتعالى بصالح الأعمال الواردة فى نص الرؤيا .. وكذلك فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وقفنا على بعضها.. وهما يذكران قول الله تبارك وتعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أى : فى الدنيا،
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٩٠٩) أى: فى الآخرة .. تفضلاً منه
ورحمة. والله ولى التوفيق..

(٦٥) يا رسول الله إن أخى يشتكى بطنه .. فماذا أداويه؟

فى الصحيحين - من حديث أبى المتوكل، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه: (أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إن أخى يشتكى بطنه؟ وفى رواية: استطلق بطنه؟ فقال: اسقه عسلاً . فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فلم يُغن عنه شيئاً؟ وفى لفظ: فلم يزدہ إلا استطلاقاً؟ مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول له: اسقه عسلاً. فقال له الرسول ﷺ فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك)^(٩١٠) . وفى صحيح مسلم، وفى لفظ له: (إن أخى عرب بطنه) أى: فسد هضمه، واعتلت معدته. والاسم: (العرب) بفتح الراء، و(الذرب) أيضاً .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح : يشير النبى ﷺ إلى فوائد العسل النحل.. الذى ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٩١١) كما قال الله تبارك وتعالى فى قرآنه.

وقد جاء فى (الطب النبوى) تعليقا على هذا الحديث:

(٩٠٩) سورة النحل : ٩٧ .

(٩١٠) وأخرجه أيضاً : أحمد والترمذى والنسائى . (والاستطلاق) فى الحديث هو الإسهال، ومثله:

(العرب) و (الذرب) فى الحديث الذى بعده .. وقد قال النبى ﷺ فى ختام الحديث : (..

وكذب بطن أخيك) ولم يقل : (وكذبت) : لأن غير العاقل يذكر ويؤنث .

(٩١١) النحل من الآية رقم ٦٩ .

والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي فى العروق والأمعاء وغيرها، مُحلِّلٌ للرطوبات أكلاً وطلاءً، نافع للمشايخ^(٩١٢) وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً، وهو مُغَدِّ، مُلِينٌ للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه، مُذْهِبٌ لكيفيات الأدوية الكريهة مُنَقِّ للكَبِدِ والصَدْرِ، مُدْرِ للَبُولِ، موافق للسعال الكائن عن البلغم. وإذا شُرِبَ حاراً بدهن الورد : نفع من نهش الهوام وشُرِبَ الأفيون. وإن شُرِبَ وحده ممزوجاً بماء: نفع من عضه الكلب الكلب، وأكل الفُطْرَ القتال. وإذا جُعِلَ فيه اللحم الطَرِيُّ: حفظ طراوته ثلاثة أشهر. وكذلك إن جُعِلَ فيه القَتَاءُ والخيار والقرع والبادنجان. ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر ويحفظ جُثَّتِ الموتى. ويُسمَّى الحافظ الأمين. وإذا لطح به البدن المُقْمَلُ والشَّعْرُ: قتل قُمَّلُهُ وصَبَّأَنَهُ^(٩١٣)، وطَوَّلَ الشَّعْرَ وحَسَّنَهُ ونَعَّمَهُ. وإن اكتُحِلَ به: جلا ظلمة البصر. وإن استُنَّ به^(٩١٤): يَبِيضُ الأسنانَ وصَقَلَهَا، وحفظ صحتها وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويُدِرُّ الطَّمْثَ. ولَعَقَهُ على الريق : يُذْهِبُ البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويُسَخِّنُها تسخيناً معتدلاً، ويفتح سدها، ويفعل ذلك بالكَبِدِ والكُلَى والمثانة. وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو.

وهو - مع هذا كله - مأمون الغائلة، قليل المضار، مُضِرٌّ بالعرض للصفراويين ودفعها: بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعاً له جداً.

وهو: غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحلُّو مع الحلو، وطلاء مع الأطلية، ومُفَرِّحٌ مع المُفَرِّحات. فما خُلِقَ لنا شىء فى معناه: أفضل منه ولا مثله، ولا قريب منه، ولم يكن مُعَوَّلُ القدماء إلا عليه.

وكان النبى ﷺ يشربه بالماء على الريق. وفى ذلك سرٌّ بديع فى حفظ الصحة، لا يُدْرِكُهُ إلا الفطنُ الفاضل.. وفى سنن ابن ماجه مرفوعاً، من حديث

(٩١٢) أى: كبار السن .

(٩١٣) (الصوابة) بالهمز: بيضة التملة، وجمعها (صواب) و (صبيان) .

(٩١٤) أى: استعمله فى جلاء أسنانه .

أبى هريرة : (من لَعِقَ ثَلَاثَ عَدَوَاتٍ كُلَّ شَهْرٍ : لَمْ يُصِبْهُ عَظِيمُ الْبَلَاءِ) . وفى أثر آخر (٩١٥) : (عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ : الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ) .

وقد اختلف الناس فى قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ (٥) ، هل الضمير فى (فيه) راجع إلى الشراب؟ أو راجع إلى القرآن؟ على قولين، الصحيح منهما. رجوعه إلى الشراب. وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأكثرين. فإنه هو المذكور، والكلام سيق لأجله، ولا ذكر للقرآن فى الآية. وهذا الحديث الصحيح الذى ندور حوله، وهو قوله ﷺ : (صدق الله ..) - كالصريح فيه. والله تعالى أعلم.

هذا وإذا كان النبى ﷺ قد قال للرجل.. فى ختام الحديث : (صدق الله وكذب بطن أخيك)، فإن هذا النص.. يشير إلى أن هذا الأخ - وهو المريض - لم يشرب العسل وهو يؤمن إيمانًا جازمًا بأن العسل فيه شفاء للناس.. ولو كان هذا على أساس من الإيمان لأذهب الله ما فى بطنه من الاستطلاق.. وعلى هذا فإن العيب لم يكن فى العسل .. وإنما كان فى البطن التى لم تصدق فى تقبُّل الدواء الربانى الذى فيه خير كثير .. ومثل هذا .. كمثل هذا الذى لم يصدق فى صلاته .. فلم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر .. ولهذا، فنحن نقول عن هذا الذى لم يصدق فى صلاته: صدق الله وكذبت صلاته .. لأنه لو صحت صلاته وكان صادقًا فى أدائها .. لنته عن الفحشاء والمنكر .. كما قال تعالى مؤكدًا لهذا: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٩١٦) ، وقس على هذا جميع العبادات ..

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذا المراد منه، والله ولى التوفيق..

(٩١٥) أخرجه ابن ماجه والحاكم فى صحيحه - وقال : على شرط الشيخين . وأقره الذهبي - عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه - مرفوعاً .

(٥) النحل : ٦٩

(٩١٦) العنكبوت : من الآية ٤٥ .

(٦٦) أَخْبَرْنَا بِشَرَارِ النَّاسِ .. وَأَشَدَّهُمْ شَرًّا .. يَا رَسُولَ اللَّهِ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟) قالوا: بلى إن شئتَ يا رسولَ الله. قال: (إن شَرَارِكُمْ الَّذِي يَنْزِلُ وَحَدَهُ، وَيَجْلُدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ.. أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟) قالوا: بلى إن شئتَ يا رسولَ الله. قال: (مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُوهُ) قال: (أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟) قالوا: بلى إن شئتَ يا رسولَ الله. قال: (الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ عَثْرَةً، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْذِرَةً، وَلَا يَعْتَفِرُونَ ذُنُوبًا). قَالَ: (أَفَلَا أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟) قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: (مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ). [رواه الطبراني وغيره]

فى هذا الحديث الشريف يخبرنا النبى ﷺ بشرار الناس، وهو:

(الذى ينزل وحده)، أى: إذا كان مع رفقة فى سفر فنزلوا منزلاً لم يشاركهم فيه، ونزل فى مكان وحده.. وهذا معناه.. أن فلاناً هذا قد عزل نفسه عن إخوانه.. الذين كان ينبغى عليه أن يظل مرتبطاً بهم فى هذا السفر الذى لا بد فيه من الصحبة الصالحة.. (اللهم) إلا إذا كانت هذه الصحبة غير صالحة.. فإنه يتحتم عليه حينئذ أن يعتزلهم حتى لا يكون شريكاً لهم فيما يفعلونه من الآثام.. وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

وَحَدَهُ الْإِنْسَانُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ عِنْدَهُ
وَجَلِيسُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ جُلُوسِ الْمَرْءِ وَحَدَهُ

● (والذى يجلد عبده) ، أى: يضربه ويؤذيه ولا يغفر له هفواته.. مجرد أنه عبد حكمت عليه الأيام ^(٩١٧) بهذا المصير الذى جعله مملوكاً لهذا السيد الظالم.. الذى كان لابد أن يفهم أن هذا العبد إنسان مثله.. له مشاعره.. وأن الله تعالى خلق الناس سواسية كأسنان المشط.. لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى..

(٩١٧) بسبب الحروب.. أو ما شابه هذا.. بأن يكون مملوكاً بعد أن كان سيداً.. أو صاحب جاه دنيوى.

فهو القائل سبحانه: ﴿إِنْ أٰكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللّٰهِ أَتَقٰكُمْ﴾ (٩١٨).

(وقد) ورد أن النبي ﷺ كان يُرَغِّبُ فِي عِتْقِ رِقَابِ ٱلْأَرْقَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ:

فَعَن أَبِي نَجِيحِ ٱلسُّلَمِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَاصِرُنَا مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ ٱلطَّائِفِ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (أَيُّمَا رَجُلٍ مُّسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُّسْلِمًا، فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ وَقَاءً (٩١٩) كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عَظَامِ مُحَرَّرِهِ (٩٢٠)، وَأَيُّمَا أَمْرَأَةٍ مُّسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ أَمْرَأَةً مُّسْلِمَةً، فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ وَقَاءً كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عَظَامِ مُحَرَّرَتِهَا مِنَ ٱلنَّارِ).

[رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه]

وفى رواية لأبي داود والنسائي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُّؤْمِنَةً كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ ٱلنَّارِ).

• (وهو الذي يمنع رِفْدَهُ): أى: عطاءه ونواله.. وهذا معناه أن فلانًا هذا قد حرم نفسه من ثواب كان ينبغي عليه أن يحرص على تحصيله حتى يكون ثقلًا فى ميزانه: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ (٩٢١).

وقد ورد فى السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: (لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ، وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا (٩٢٢)، وَلَا يَجْتَمِعُ شَحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا (٩٢٣)).

[رواه النسائي وابن حبان فى صحيحه والحاكم واللفظ له.

ورواه أطول منه بإسناد على شرط مسلم]

(٩١٨) الحجرات: من الآية ١٣.

(٩١٩) هو بكسر الواو كل ما جعلته وقاية لشيء، ويقال: وقاه الله السوء أى: حفظه.

(٩٢٠) هو بفتح الراء الأولى مشددة أى: معتقه.

(٩٢١) النبأ: من الآية ٤٠.

(٩٢٢) المراد أن من شهد غبار المعركة مع الكفار لا يدخل النار.

(٩٢٣) وذلك لأن الشح إيثار للعمال وعبادة له وليس ذلك من شأن المؤمن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً (٩٢٤) مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا (٩٢٥)، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ (٩٢٦) فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (٩٢٧) وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ (٩٢٨) مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ (٩٢٩)).

[رواه مسلم وأبو داود والترمذي واللفظ له، والنسائي،

وابن ماجه والحاكم ، وقال: صحيح على شرطهما]

ثم بعد ذلك يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم شرُّ من ذلك ، فيقول:

(مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ) ، أى: الذى لا يألف أحداً من الناس ولا يألفه أحد منهم.. (بل) يتفرون منه لسوء خلقه.. (والعياذ بالله).. وهذا معناه أن فلاناً هذا.. لا خير فيه.. لأنه لو كان فيه خير.. أو كان الخير: يجرى على يديه.. لكان قريباً من إخوانه المؤمنين.. الذين سيكونون تبعاً لهذا السلوك الأخلاقى على صلة به.. وكان حبه مُترَبِّعاً على قلوبهم.. وقد ورد فى الحديث: (المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

• (وهم الذين لا يُقْبَلون عثرةً) ، أى: لا يصفحون عن زلّة ، ولا يغفرون هفوة، بل يتعننون ويتشدّدون.. وهذا معناه أن المتخلّقين بهذا الخلق البغيض ليسوا من هؤلاء المؤمنين الحقيقيين الذين من أهم أخلاقهم أنهم يُقْبَلون لذوى العثرات عثراتهم.. التى قلَّ أن ينجو منها أحد.. والتى نسال الله تعالى أن يعافينا جميعاً منها .

• (وهم الذين لا يقبلون معذرة) ، أى: يرفضون عذر من اعتذر إليهم

(٩٢٤) الكُرْبَةُ بضم الكاف: الغم والشدة.

(٩٢٥) يعنى: أهوالها وشدائدها .

(٩٢٦) بأن أنظره حتى يزول إعساره أو تجاوز له عن بعض الدّين أو كله .

(٩٢٧) يعنى: جعل أموره سهلة ميسرة لا عناء فيها ولا تعقيد .

(٩٢٨) ومن أعانه الله فهو المعاق ومن خذله فهو المخذول.

(٩٢٩) أى: مدة عون العبد فى عون أخيه وفى حاجته.. فلما) مصدرية ظرفية.

وَيُصْرُونَ عَلَى مَوَازِينِهِمْ.. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنْ هَؤُلَاءِ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِمَّنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُعْرَضٌ لِلْخَطَا.. (فَقِيَ) الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ) وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّغِرُ لَهُ زَلَّتُهُ، وَسَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ الَّتِي سَيُعْلَنُ فِيهَا أَوْ بِهَا تَوْبَتَهُ.. فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُتَخَلِّقًا بِهَذَا الْخَلْقِ الْإِلَهِيِّ الْكَرِيمِ.. حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى بِالْتَعَالَى أَوْ عَدَمِ الصَّفْحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.. وَهَذَا بِالطَّبَعِ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْخَيْرِ.

● (وَلَا يَغْتَفِرُونَ ذُنُوبًا) ، أَيْ: لَا يَسْتَرُونَ خَطِيئًا وَلَا يَعْفُونَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ.. وَهَذَا كَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.. لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ.

(وَفِي) الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا). [رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ]

(فَمَعْنَى) ، (مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا): أَيْ: إِذَا عَفَا عَنْ ظَالِمٍ وَلَمْ يَنْتَقِمْ مِنْهُ زَادَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْعَفْوِ عِزًّا وَشَرَفًا.

(وَعَنْ) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ارْحَمُوا، تُرْحَمُوا. وَاعْفُوا يُعْفَرُ لَكُمْ). [رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ]

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ) . وَعَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ.. أَنْ يَكُونَ مُتَخَلِّقًا بِهَذَا الْخَلْقِ الْكَرِيمِ الْوَارِدِ فِي الْحَدِيثَيْنِ الْآخِرَيْنِ.

● (وَهُمُ الَّذِينَ لَا يُرْجَى خَيْرُهُمْ ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُمْ): أَيْ: لَا يُتَوَقَّعُ الْخَيْرُ مِنْهُمْ.. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.. وَإِنَّمَا هُمْ عَلَى عَكْسِ هَذَا.. يُتَوَقَّعُ الشَّرُّ مِنْهُمْ..

فَلْنَحْذَرُ جَمِيعًا أَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي دُرِّنَا حَوْلَهُ ^(٩٣٠) (وَلَنْكُنْ) عَلَى عَكْسِ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ.. فَفِي الْحَدِيثِ (طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ نَفْسُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ، وَعُزِّلَ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ..).

(٩٣٠) بتصرف يسير في توضيح بعض ألفاظه لتناسب السياق.

والله نسأل أن يجعلنا جميعاً من المشار إليهم فى قول الرسول ﷺ: (طوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر) ، وعلى عكس هذا: والويل كُلُّ الويل لمن جعله مفتاحاً للشر مغلقاً للخير - كما ورد أيضاً فى الحديث - والله نسأل فى الختام أن يحفظنا ويحفظ أهلنا.. بل ويحفظ وطننا وأمتنا من الشر وأهله.. اللهم آمين ،،

(٦٧) هل سورة الفاتحة رقيةٌ ..

يا رسول الله؟

عن أبى سعيد الخدرىؓ، قال: (انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافروها، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يُضيّفُوهم . فلدغ سيّد ذلك الحى، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرّهط (٩٣١) الذين نزلوا، لعلهم أن يكون عند بعضهم شىء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرّهط ، إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم من شىء؟ فقال بعضهم: نعم ، والله إني لأرقى، ولكن استضفناكم فلم تُضيّفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين، فكأنا نَشط من عقال. فانطلق يمشى وما به قلبه . قال: فأوفوهم جُعْلهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا. فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك. فقال:

(وما يُدريك أنها رقية. ثم قال: قد أصبّتم، اقتسموا واضربوا لى معكم سهماً) (رواه البخارى ومسلم) (٩٣٢)

(٩٣١) الرّهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة (مختار الصحاح) ص ٢٥٩ .

(٩٣٢) وأخرجه أيضاً الترمذى وابن ماجه وأحمد .

وقد روى ابن ماجه فى سننه، من حديث على قال: قال رسول الله ﷺ:
(خيرُ الدواءِ القرآنُ)

يقول فى (الطب النبوى) (٩٣٣)، بعد ذكر هذين الحديثين الشريفين: ومن
المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين:
الذى فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذى هو الشفاء النافع.. والنور
الهادى، والرحمة العامة، الذى لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته .
قال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٣٤). (ومن) ههنا
ليبان الجنس، لا للتبعيض. هذا أصح القولين. كقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩٣٥). وكلهم من الذين آمنوا وعملوا
الصالحات، فما الظن بفاتحة الكتاب التى لم يُنزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا
فى الإنجيل ولا فى الزبور مثلها، المتضمنة لجميع معانى كتب الله ، المشتملة
على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها، وهى: الله والرب والرحمن والرحيم،
وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية، وذكر
الافتقار إلى الرب سبحانه وتعالى فى طلب الإعانة، وطلب الهداية، وتخصيصه
سبحانه بذلك ، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد
أحوج شئ إليه، وهو: الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته
وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى
الممات. ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُنعم عليه بمعرفته الحق
والعمل به ومحبته وإيثاره.. ومغضوب عليه: بعدوله عن الحق بعد معرفته له،
وضالاً: بعدم معرفته له . وهؤلاء أقسام الخليفة. مع تضمُّنها لإثبات القدر
والشرع ، والأسماء والصفات، والمعاد والنبوات، وتزكية النفوس، وإصلاح
القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والردُّ على جميع أهل البدع والباطل.

(٩٣٣) ص ١٣٨ ، وما بعدها.

(٩٣٤) الإسراء: من الآية ٨٢ .

(٩٣٥) سورة الفتح: من الآية ٢٩ .

(وبالجملَة): فما تضمنته الفاتحة - من إخلاص العبودية ، والثناء على الله ، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها ، وهى: الهداية التى تجلب النعم، وتدفع النقم . - من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى ينتفعا بسورة الفاتحة التى قرأتُ أن جميع معانى القرآن جُمعت فيها ، وأن جميع معانيها جُمعت فى البسملَة (٩٣٦)، وأن معانى البسملَة جُمعت فى الباء التى فى أولها، وأن معانى الباء جُمعت فى النُقطة التى تحتها، لأنها تدل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.. والله ولى التوفيق ،،

٦٨) يا رسول الله، من أين أتصدق وليس لنا أموال ؟

عن أبى ذر رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسول الله من أين أتصدقُ، وليس لنا أموال؟ قال: (لأنَّ من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، وأستغفر الله ، وتأمُر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكَ عن طريق الناس، والعظمَ والحجرَ، وتهدى الأعمى ، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتَدُلُّ المسْتَدِلَّ على حاجة له قد علمتَ مكانها، وتسعى بشِدَّةٍ سَاقِيكَ إلى اللَّهْفَانِ المسْتَفِيثِ، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف: كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك، ولك فى جماع زوجتك أجر).

[الحديث رواه أحمد ومسلم]

وعند مسلم: قال: يا رسول الله، أياأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها فى حرام، أكان عليه فيها وِزْرٌ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر).

(٩٣٦) أى: بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى نص آخر رواه البخارى وغيره ، قال رسول الله ﷺ: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ،
وَيَتَصَدَّقُ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ (٩٣٧). قَالُوا:
فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فليعمل بالمعروف وليُمسك عن الشر، فإنها له صدقة).

وروى أحمد وغيره، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كُلُّ نَفْسٍ كُتِبَ عَلَيْهَا
الصَّدَقَةُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ، فَمَنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْدَلَ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ (٩٣٨)
صَدَقَةٌ، وَأَنْ يُعِينَ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلَهُ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَيَرْفَعَ مَتَاعَهُ
عَلَيْهَا صَدَقَةٌ، وَيَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ
خُطْوَةٍ يَمْشِي إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ).

فمن كل تلك الأحاديث الشريفة الصحيحة يتضح للأخ المسلم كما يتأكد له
أن كل معروف صدقة.. وأن أعمال البر ليست قاصرة على نوع معين.. وإنما كل
خير سيُجزيه الله تعالى على يد هذا الإنسان - ذكراً كان أم أنثى - سيكون
معروفاً وصدقة بالنسبة له.. ففى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وصححه
يقول صلوات الله وسلامه عليه:

(كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ الْمَعْرُوفُ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرَغَ
مِنْ دَلُوكَ فِي إِنْأَتِهِ).

وفى رواية للبخارى يقول صلوات الله وسلامه عليه: (لا يغرس مسلم
غرساً ، ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شيء إلا كانت له
صدقة).

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذه حتى يفوزا بهذا
الخير البشراً به فى هذا الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى فى الأوسط
والذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه:

(٩٣٧) الملهوف: أى المظلوم يستغيث (مختار الصحاح) ص ٦٠٦.

(٩٣٨) أى: المستغيث سواء أكان مظلوماً أم عاجزاً .

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا (٩٣٩) تطفئ غضب الرب، وصلّة الرحم تزيد في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف).
والله ولي التوفيق،

(٦٩) يا رسول الله.. إنا قومٌ من أهل البادية.. فعلّمنا شيئاً ينفعنا الله به؟

عن أبي جريّ الهجيميّ رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله: فقلتُ: يا رسول الله، إنا قومٌ من أهل البادية (٩٤٠)، فعلّمنا شيئاً ينفعنا الله به (٩٤١)؟ فقال: (لا تحقرن من المعروف شيئاً (٩٤٢)، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقى (٩٤٣)، ولو أن تُكلم أخاك، ووجهك إليه مُنبسط (٩٤٤)، وإياك وإسبال الإزار (٩٤٥) فإنه من المخيلة (٩٤٦)، ولا يُحبّها الله، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك (٩٤٧) فلا تشتمه بما تعلم فيه (٩٤٨)، فإن أجره لك ووباله (٩٤٩) على من قاله) [رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي مُفرّقًا، وابن حبان في صحيحه واللفظ له]

(٩٣٩) أى: فى السر بعيداً عن المن والأذى .

(٩٤٠) أى: من سكانها .

(٩٤١) أى: فى دنيانا وأخرانا .

(٩٤٢) أى: لا تستصغرنّ ما تقدمه لغيرك من بر ومعروف مهما صغُر .

(٩٤٣) أى: الذى يطلب منك السُّقيا .

(٩٤٤) أى: متهلّل .

(٩٤٥) أى: إطالته حتى يجبر على الأرض .

(٩٤٦) بفتح وكسر أى الاختيال والتكبر .

(٩٤٧) أى: هجاك وسبك بالذى يعلمه فيك من نقص أو عيب .

(٩٤٨) أى: فلا تقابله بمثل فعله .

(٩٤٩) أى: ضرره وعقابه .

وفى رواية للنسائي، فقال: (لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً أن تأتيه (٩٥٠)،
ولو أن تهبَّ صلّة الحَبْلِ (٩٥١)، ولو أن تُفْرِغَ من دلوك في إناء المُسْتَسْقَى،
ولو أن تَلْقَى أَخَاكَ المُسَلِّمَ ووجْهَكَ بِسِطِّ إِلَيْهِ، ولو أن تُؤْنِسَ الوَحْشَانَ (٩٥٢)
بِنَفْسِكَ، ولو أن تَهَبَّ الشَّعْصَعُ (٩٥٣).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً،
ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق (٩٥٤)). [رواه مسلم]

ففى كل هذه الأحاديث الشريفة يعلمنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه..
أهم أسباب المودة والرحمة بيننا وبين إخواننا المؤمنين.. الذين ينبغي أن يكون
الاتصال بيننا وبينهم مستمرًا.

وذلك حتى يتحقق المشار إليه فى قول الرسول ﷺ: (المؤمنُ للمؤمنِ
كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً). [رواه مسلم] (٩٥٥)

(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى
مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى (٩٥٦) لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى) [رواه مسلم] (٩٥٧).
كما ورد أيضاً عنه صلوات الله وسلامه عليه فى رواية مسلم (٩٥٨):
(المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه
اشتكى كله).

ولهذا، فقد قال الرسول ﷺ للرجل الذى طلب منه - بلسان قومه - أن
يُعَلِّمَهُمْ شيئاً يَنْفَعُهُمُ اللهُ بِهِ.

(٩٥٠) أى: لا تحقرن فعل شيء من المعروف مهما قل . وجملة (أن تأتيه) بدل من شيئاً .

(٩٥١) أى: ولو أن تعطى لغريك قطعة من الخبل ليطول بها حبله .

(٩٥٢) أى: تزيل وحشته وتطمئن خاطره .

(٩٥٣) الشَّعْصَعُ: أحد سيور النعل .

(٩٥٤) بوجه طليق: أى مشرق بالابتنامة التى تشير إلى صفاء القلب .

(٩٥٥) عن أبى موسى رضى الله عنه .

(٩٥٦) كأن بعضهم دعا بعضاً فى الأساس، تداعت عليهم الخيطان تهدمت ، وتداعت إبل فلان: أى

هزلت أو هلكت . فيظهر أن ما فى الحديث من هذا القبيل .

(٩٥٧ - ٩٥٨) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

(لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستسقى): أى: لا تستصغرنَّ ما تقدمه لغيرك من المحتاجين إلى برِّكَ ومعروفك.. مهما صغر حجمه أو قلَّت قيمته.. لأن أى شىء من هذا القبيل سيكون له ثقله وقدره عند الله تبارك وتعالى الذى يقول:

﴿ لِمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾^(٩٥٩)، ويقول: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٩٦٠) حتى ولو كان هذا الشىء.. قليلاً من الماء تُفرغه من دلوك فى دلو المستسقى الذى طلب منك هذا..

(ولو أن تُكَلِّم أخاك، ووجهك إليه مُنْبسط) لأن فعلاً كهذا سيكون معناه، أنك قد فتحت قلبك له.. وأنت قد أدركت أهمية هذا الفعل الذى هو من المعروف.. كما ورد فى رواية جابر رضي الله عنه التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه: (.. وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق..)^(٩٦١) أى: ومن جملة المعروف أن تبشَّ فى وجه أخيك إذا لقيته - حتى ولو لم تُعطه شيئاً - لأن هذا أيضاً من الصدقة.. كما ورد فى رواية أبى ذر رضي الله عنه التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه: (تَبَسُّمَكَ فى وجه أخيك صدقة..)^(٩٦٢) أى: إن إظهارك له البشارة والبشر إذا لقيته تُؤجِر عليه كما تُؤجِر على الصدقة.. مع ملاحظة أن المراد بالتبسم: أن تظهر الأسنان بدون صوت، فإن كان بصوت لطيف يسمعه من يقرب منه كان ضاحكاً، فإن كان قوياً يسمعه البعيد سُمى قهقهة.. والممدوح الأول .

(وإياك وإسبَاب الإِزَار فإنه من المخيلة ، ولا يُحِبُّهَا اللهُ): وهذا تحذير هام لا بد أن يلاحظه الأخ المسلم، والمؤمن بصفة خاصة.. لأنه يتنافى مع أخلاق

(٩٥٩) الزلزلة: ٧ .

(٩٦٠) المزمل: من الآية ٢٠ .

(٩٦١) والحديث بتمامه رواه أحمد والترمذى وقال: حديث حسن صحيح ، وصدوره فى الصحيحين من حديث جابر (انظر الترغيب والترهيب) ج ٣ ص ٦٦٨ .

(٩٦٢) والحديث بتمامه رواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه . (الترغيب والترهيب) ج ٣ ص

المؤمنين الذين من أهم صفاتهم أن يكونوا من المتواضعين تنفيذاً لوحى الله تبارك وتعالى:

(فعن) عياض بن حمّار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد) [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه]: (وذلك) حتى لا يتعظم أحد على أحد ويفخر عليه بما أعطى من زيادة فى مال أو جاه.. الخ من حطام الدنيا الزائل.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصتُ صدقةً من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [رواه مسلم والترمذى]؛ لأنه لما تواضع لله عز وجل وخفض جناحه للخلق وألان جانبه لهم: جازاه الله على ذلك بالشرف وعلو الدرجة.

(وعلى عكس هذا) ، فقد حذّر الرسول ﷺ من الكبر الذى هو المنهى عنه فى الحديث:

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة مَنْ كان فى قلبه مثقال ذرّة (٩٦٣) من كبر) فقال رجل: إن الرجل يُحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: (إن الله جميل (٩٦٤) يُحبُّ الجمال. الكبر بَطْرُ الحق، وغمطُ الناس) [رواه مسلم والترمذى]: (وبَطْرُ الحق) بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة جميعاً: هو دَفْعُهُ ورُدُّهُ. (وغمطُ الناس) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة: هو احتقارهم وازدراؤهم.. وكذلك غمصهم بالصاد المهملة، وقد رواه الحاكم فقال: (ولكن الكبر مَنْ بَطَرَ الحق، وازدرى الناس) وقال: احتجاً بروايته .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يجرُّ إزارَهُ من الخِيَلَاءِ خُسْفًا به، فهو يَتَجَلَّجَلُ فى الأرض إلى يوم القيامة)

(٩٦٣) هى النملة الصغيرة ، أو هى الهباءة التى تُرى فى ضوء الشمس من كوة.

(٩٦٤) قال فى النهاية: (أى: حسن الأفعال كامل الأوصاف).

[رواه البخارى والنسائى وغيرهما] . و(الخِيلاء) بضم الخاء المعجمة وتكسر بفتح الياء ممدودًا: وهو الكبر والعُجب. وَ(يَتَجَلَّجُلُ) بجيمين، أى: يغوص وينزل فيها .
وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رَجُلٌ يمشى فى حَلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مَرْجَلٌ رَأْسُهُ) ^(٩٦٥) ، يَخْتَالُ فى مِشْيَتِهِ ^(٩٦٦) ، إِذْ حَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجُلُ فى الأَرْضِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ) . [رواه البخارى ومسلم]

(وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فإن أجره لك، ووباله على مَنْ قاله) أى: إن تناول عليك أحد السفهاء من الناس.. فقال كلامًا بذيئًا بقصد إثارتك، أو إخراجك عن طبيعتك الأخلاقية التى لم تعتد التعامل بغيرها مع الناس.. (وإلا) فإنك ستكون مثله.. وستكون أيضًا قد مكنته من نفسك.. وحسبك قول النبى صلى الله عليه وسلم الذى ختم به توجيهه هذا، وهو: (فإن أجره لك، ووباله على من قاله) (بل) وحسبك فى النهاية أن تحقق كذلك المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرَةٍ) ^(٩٦٧) ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ^(٩٦٨) . [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه]

(وعلى) الأخت المسلمة.. أن تلاحظ كل هذا كذلك حتى لا تكون من أهل الكبر.. بل وحتى تكون كذلك إن شاء الله من أهل الجنة..
والله ولى التوفيق ،،

(٧٠) ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء فى موعظته لهنّ.. يَوْمَ اجْتَمَعْنَ لِكى يُعَلِّمُنَّ؟

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

(٩٦٥) أى: سَرَّحَ شعر رأسه .

(٩٦٦) هى بكسر الميم: الهيئة من المشى .

(٩٦٧) أى: بنصف تمرَةٍ وهو بكسر الشين .

(٩٦٨) يعنى: فمن لم يجد ما يتصدق به فليصدق بكلمة نافعة .

يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتك فيه نُعلمنا
مما علمك الله. قال: (اجتمعن يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا) فاجتمعن،
فاتاهنَّ النبي ﷺ فعلمهنَّ مما علمه الله ، ثم قال: (ما منكنَّ من امرأة تُقدمُ ثلاثة
من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار) فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله
ﷺ: (واثنين). [رواه البخارى ومسلم وغيرهما]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبي ﷺ فى قوله للمرأة مبعوثة النساء:
(اجتمعن يوم كذا وكذا..) إلى ضرورة أن تتعلم المرأة المسلمة أمور دينها..
وكذلك لا بد أن تُزوِّد مع أخواتها المسلمات بالمواعظ النافعة.. حتى تنتفع بها كما
ينتفع الرجال الذين كثيراً ما يستأثرون بمجالس العلم النافع.. مع أنه لا مانع
شرعاً.. من أن تذهب المرأة المسلمة - المحتشمة والغير متعطرة - بإذن زوجها أو
ولى أمرها إلى المسجد.. لكى تصلى وقتاً من أوقات الصلاة مع الجماعة، ولكى
تسمع إلى درس علم نافع مع إخوانها المسلمين.. ما دام هناك مكان مهياً لها فى
مؤخرة المسجد.. فقد كانت النساء على عهد رسول الله ﷺ يحضرنَّ الجماعات،
ويُصلين خلف الرجال.. ولكن صلاتها فى بيتها أولى من صلاتها فى المسجد،
حتى أن الله عز وجل لم يفرض عليها الجمعة، مثل الرجال.

(فعن) عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: (لا تمنعوا النساء أن يخرجنَّ إلى
المساجد، وبيوتهنَّ خيرٌ لهنَّ). [رواه أحمد]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله،
وليخرجنَّ تفلات) (٩٦٩) [رواه أبو داود]

(وهذا) معناه أن طلب الخير.. الذى من أهمه طلب العلم النافع ليس قاصراً
على الرجال فحسب.. (بل) إنه ينبغى على الرجال أن يُعلموا زوجاتهنَّ،
وبناتهنَّ، وأخواتهنَّ.. وقد وردت الإشارة إلى هذا فى الحديث الشريف الذى
يقول فيه الرسول ﷺ: (طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ..) (٩٧٠) ، فقد قال

(٩٦٩) أى: غير متعطرات .

(٩٧٠) جزء من حديث رواه ابن ماجه وغيره.

العلماء: أى: ومسلمة.. تبعاً للرجل.. لأن الرجل الذى هو الزوج أو الأب أو الأخ أو الابن.. عندما يتعلم علماً نافعاً.. فإنه يتعلم لنفسه ولكل أفراد أسرته من النساء.. وإلاً فإنه سيُسأل عن تقصيره فى هذا يوم القيامة.. ولاسيما إذا كان هذا العلم النافع يتعلق بالأحكام الفقهية المتعلقة بالطهارة والصلاة.. وجميع أركان الإسلام.. ففى الحديث الشريف: (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)^(٩٧١) الذى هو جميع تعاليم الإسلام وأحكامه.. على أساس من الإيمان والإسلام والإحسان .

(هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد قال فى موعظته للنساء: (ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد، إلا كانوا لها حجاباً من النار)، فإن المعنى هو: أن المرأة المسلمة التى يموت لها ثلاثة من الأولاد - فى حياتها - فاحتسبتهم عند الله.. وكانت صابرة على وفاتهم.. وراضية بقضاء الله تعالى فيهم.. ولم تفعل ما يفعله الأخرى من لطم الخدود، وشقّ الجيوب.. بالإضافة إلى (دعوى الجاهلية): (كانوا لها حجاباً من النار) أى: سترًا واقياً.. (وإذا) كانت المرأة الأخرى قد قالت: (واثنين؟) فقال لها رسول الله ﷺ: (واثنين)، فإن هذا معناه كذلك أن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالبشريات العظيمة للصابرين والصابرات: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٩٧٢﴾ مع ملاحظة كذلك أن الرجل مشارك للمرأة فى هذا الخير: (فعن) عبد الرحمن ابن بشير الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ لَمْ يَرِدِ النَّارَ إِلَّا عَابِرَ سَبِيلٍ)^(٩٧٣) ، يعنى: الجواز على الصراط^(٩٧٤) . [رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به، وله شواهد كثيرة]

(٩٧١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه.. وغيرهم .

(٩٧٢) البقرة: ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٩٧٣) أى: مجتازاً لطريق .

(٩٧٤) فإنه ممدود على متن جهنم ، فمن جازه فقد ورد النار عبوراً لا دخولا .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى يكونا إن شاء الله من أهل الجنة لا من أهل النار.. ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٩٧٥).

مع ضرورة الحرص من جانب الأخت المسلمة بصفة خاصة على طلب العلم النافع.. ولو عن طريق القراءة التي ينبغي عليها أن تتعلمها.. (وعلى) الأخ الزوج، أو الأخ، أو الابن^(٩٧٦).. أن يعينها على تحقيق هذا الخير.. الذي ينبغي عليه أن يكون قدوة لها فيه. والله ولى التوفيق ..

(٧١) حَدَّثَنَا عَنْ مَادِبَةِ اللَّهِ . . يَا رَسُولَ اللَّهِ

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(إن هذا القرآن مادبةُ الله ، فتعلموا من مادبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبلُ الله، والنورُ المبين، والشفاءُ النافعُ، عصمةٌ لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن اتبعه، لا يعوجُّ فيقومُ، ولا يزيغُ فيستعتبُ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلقُ عن كثرة الردِّ، فاتلوه فإن الله يأجرُكم على تلاوته بكلِّ حرفٍ عشرَ حسناتٍ، أما إنى لا أقول: (ألم) حرف، ولكن: ألف ولام وميم، ولا أُلْفِينَّ أحدكم وأضعاً إحدى رجلَيْه يدعُ أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطانَ يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت لجوف «أصفر من كتاب الله») [أخرجه ابن أبي شيبة، ومحمد بن نصر - وابن الأنباري في كتاب المصاحف، والطبراني في الكبير، وأبو داود، والبيهقي في شعب الإيمان. عن ابن مسعود المادبة بفتح الدال من الأدب، وبالرفع هو الطعام الذي يدعى إليه، وقوله: لا يزيغُ: أى لا يميل. وقوله: فيستعتبُ: أى يدخل عليه العتب] (٩٧٧).

(٩٧٥) الحشر: ٢٠ .

(٩٧٦) بل وينبغي على الوالد أن يكون مهتماً بتعليم جميع أولاده القراءة والكتابة.. والعلوم النافعة.. ولا سيما الدراسية منذ الصغر.. لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.. بعكس التعليم في الكبر.. فإنه كالنقش على الماء .

(٩٧٧) والحديث في جمع الجوامع رقم ٢٩٨٧ - ٧٣٨٣ .

وما بين القوسين من هامش مرتضى وأورده الصغير من رواية الحاكم فى المستدرک فى «فضائل القرآن» عن ابن مسعود برقم ٢٥١٣ ورمز له بالضعف (إن هذا القرآن مآدبة الله ، فاقبلوا من مآدبته ما استطعتم) فقط، وساق المناوى الحديث كله وقال: قال الحاكم: تفرد به صالح بن عمر عنه وهو صحيح، وتعقبه الذهبى، بأن صالحاً ثقة خرج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف . ومعنى: (يخلق): يبلى، ومعنى (الْفَيْنَ): أجدن من ألفى بمعنى وجد، ومعنى: (يدع أن يقرأ سورة البقرة) أى: يترك قراءتها. ومعنى (أصفرَ): أخلى، والمراد: الخلو من الخير والبركة. وأصفر الثانى فعل ماضٍ معناه: افتقر وخلى، والحديث فى مجمع الزوائد جـ٧ ص ١٦٤ باب منه فى فضل القرآن ومن قرأه بروايات متكاملة. وقال الهيثمى فى أحد طرق الحديث: رواه الطبرانى بأسانيد.. ورجال هذا الطريق رجال الصحيح. ولفظ (الرفع) من كلام مرتضى.

(ففى) هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى (مآدبة الله) بفتح الدال، أى القرآن الذى ينبغى على الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يجدا فيه ضالتهما من الأدب الرفيع الذى فيه كل ما تحتاج إليه الروح الطيبة من مقومات وتبصير بكل ما يجعل هذه الروح مُحصَّنة بكل خير.. (وهو) أيضاً (مآدبةُ الله) بضم الدال.. أى الطعام الحقيقى الذى يُدعى إليه.. لغذاء الأرواح والأجساد.. (بمجرد) أن يعيش الأخ المسلم مع القرآن بكل مشاعره.. متدبراً فى فهم كلماته والمواعظ المنصوص عليها فيه.. (ولاسيما) إذا كان هذا التدبر فى معرفة الأوامر والنواهى.. (وما) كان من أمر السابقين من الأمم وما حدث لهم من العقاب بسبب عدم إيمانهم برسولهم .

(وذلك) حتى نتعظ بكل هذا ونأخذ منه العبرة المشار إليها فى قول الله تعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٧٨).

(٩٧٨) سورة هود: ١٢٠ .

(هذا) بالإضافة إلى ثواب التلاوة المشار إليه فى نص الحديث.. وهو: عشر حسنات بكل حرف.. (وقد) وضع النبى ﷺ هذا بقوله: لا أقول (ألم) حرف ولكن: ألف ولام وميم.. أى: القارئ للقرآن^(٩٧٩) سيأخذ عشر حسنات عن كل حرف من تلك الحروف.. (أما) إذا كان لا يحسن القراءة.. فإنه ينبغي أن يكون محسناً للاستماع.. كما يأمرنا بهذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٩٨٠)، وحذار أن يكون من هؤلاء المهرجين فى مجالس القرآن بتلك الصورة التى لا يمكن أبداً أن تكون من أفعال العقلاء الذين يعرفون حرمة القرآن.

(وقد) ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يحب الصمتَ عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند تشييع الجنازة، وعند الزحف). وهو حديث صحيح. (مع) ضرورة الإكثار من تلاوة القرآن فى بيوتنا.. (ولاسيما) سورة البقرة حتى تفر الشياطين من بيوتنا.. (وحتى) لا يكون بيت أى واحد منا أصفر من كتاب الله.. أى: لا خير فيه ولا بركة - والعياذ بالله - .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم به) . [أخرجه ابن منيع]

(والمراد) من هذا التنبيه أن يكون المسلم أهلاً للعمل بما جاء فى هذا القرآن من أحكام.. حتى لا يضلَّ أو يزلَّ.. (وحسبه) أن يفهم المراد من قول الرسول ﷺ فى أول الحديث: (إن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم)، أى: أنه عهد بينك وبين الله تبارك وتعالى.. (وأنه) قد يكون حجة لك أو عليك.. (فكنْ) أهلاً لهذا العهد الذى بينك وبين الله.

(وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ

(٩٧٩) الذى ينبغي عليه أن يكون متوضئاً.. (أما) إذا كان جليلاً.. فإنه يحرم عليه أن يقرأ القرآن . أو أن يمس مصحفاً.. وكذلك بالنسبة للأخت الخائض والنفساء .

(٩٨٠) سورة الأعراف: ٢٠٤ .

وماحلُّ مُصَدِّقٌ ، من شفع له القرآن نجا، ومَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ) [أخرجه محمد بن نصر] (٩٨١)

(والماحل): أى الخصم المجادل، وقيل: ساع، من قولهم: محل يفلان إذا سعى
به إلى السلطان، يعنى: أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافع مقبول الشفاعة
ومُصَدِّقٌ عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به اهـ نهاية.

(وعلى هذا) فإنه ينبغي على الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يحرصا كل
الحرص على أن يكون القرآن شفيحاً لهما بين يدي الله تبارك وتعالى..

(وليحذرا) أن تكون هناك خصومة بينهما وبين القرآن أمام الله تبارك
وتعالى.. بسبب هجره، وعدم العمل بما فيه.. (مع) ملاحظة ما أشار إليه النبي
ﷺ فى نص الحديث، وهو أن القرآن (ماحلُّ مُصَدِّقٌ)، وأن (من محل به القرآن
يوم القيامة كَبَّهُ اللهُ فى النار على وجهه) والعياذ بالله.

(وعن) الحكم بن عمير الثمالى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا القرآن
صعب مُسْتَضْعَبٌ لمن كرهه، مُيسَّرٌ لمن تبعه، وإن حديثي صعبٌ مُسْتَضْعَبٌ
لمن كرهه، مُيسَّرٌ لمن تبعه، مَنْ سمع حديثي فحفظه، وعمل به جاء يوم
القيامة مع القرآن، ومَنْ تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن، ومَنْ تهاون
بالقرآن خسر الدنيا والآخرة). [أخرجه الخطيب فى التاريخ]

(ففى) هذا الحديث يشير النبي ﷺ إلى ملاحظة هامة، وهى أن القرآن
مرتبط بالسنة، وأن السنة مرتبطة بالقرآن.. (وأنه) لن ينفصل أحدهما عن
الأخر.. إلا فى نظر هؤلاء الضالين المضلين الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين..
وهم الذين يشككون فى السنة.. ويطالبون بالعمل بالقرآن فقط.. (مع) أنهم لو
كانوا من أولى الألباب.. لعلموا أنهم لن يفهموا القرآن إلا عن طريق السنة.

ففى القرآن - مثلاً - يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة.. ولكنه لم يبين فى
آية من آياته كيف نصلى.. وكم عدد ركعات كل صلاة من الصلوات الخمس..

(٩٨١) والحديث فى جمع الجوامع رقم ٢٩٠٤ - ٧٣٩٠.

(وإنما) الذى أخبرنا بهذا، وعلما إياه هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، وفى القرآن أيضاً يأمرنا سبحانه وتعالى بأداء فريضة الحج إن استطعنا إلى ذلك سبيلاً.. ولكنه لم يعلمنا كيف تُؤدَّى المناسك.. (وإنما) الذى علما هذا هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قال لأصحابه، وهو يحج بهم أو معهم: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُمْ).

(فليعلم) الاخ المسلم هذا.. حتى يكون مرتبطاً بالقرآن والسنة معاً.. (وحتى) لا يكون والعياذ بالله من المشار إليهم فى ختام الحديث فى قول النبى ﷺ: (وَمَنْ تَهَاوَنَ بِحَدِيثِي فَقَدْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ).

(وعن) أبى جهيم الأنصارى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فيه ، فإن المراء فيه كفر).

[أخرجه البغوى، والبيهقى فى شعب الإيمان]

(وهذا) معناه أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن (على سبعة أحرف)، أى بجميع لهجات العرب حتى يفهموا المراد منه.. (والإ) فإن النبى ﷺ لن يستطيع أن يُبلِّغ قرآن الله إلى جميعهم.. (ولهذا) فقد ثبت أن النبى ﷺ كان إذا ذهب إلى أية قبيلة.. كان يخاطبها بالقرآن بنفس اللهجة التى كانوا يتحادثون بها فيما بينهم.. (وهذا) هو الإعجاز الذى مَيَّزَ الله به حَبِيْبَهُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على العالمين.. (فلا) تختلفوا فى هذا ولا تماروا فيه (فإن المراء فيه كفر) .

(مع) ملاحظة أن هناك علماً من العلوم القرآنية يسمى بعلم القرآن.. فاعقل هذا أخوا الإسلام.. وكُنْ من الدارسين لهذا العلم ^(٩٨٢).. بدل أن تجادل مع المجادلين.. والله ولى التوفيق ،،

(٩٨٢) وهناك معهد فى مصر تابع للأزهر الشريف يسمى (معهد القراءات).. ويتخرج منه أكثر قراء القرآن الكريم .

(٧٢) ما هي كَفَّارَةُ المجلس . . يا رسول الله ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من جلس مجلساً كَثُرَ فيه لَعَطُهُ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك ^(٩٨٣): سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك: إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك).

[رواه أبو داود والترمذي واللفظ له، والنسائي، وابن حبان في صحيحه،

والحاكم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلساً يقول بآخره ^(٩٨٤) إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضى ^(٩٨٥)؟ فقال: ذلك كَفَّارَةٌ لما يكون في المجلس ^(٩٨٦).

[رواه أبو داود، ورواه الحاكم أبو عبدالله في المستدرک

من رواية عائشة رضي الله عنها وقال: صحيح الإسناد]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً، أو صَلَّى تكلم بكلمات، فسألتُه عائشة عن الكلمات، فقال: (إن تكلم بخير كان طابِعاً ^(٩٨٧) عليهنَّ إلى يوم القيامة، وإن تكلم بِشَرٍّ كان كَفَّارَةً له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

[رواه ابن أبي الدنيا والنسائي، واللفظ لهما، والحاكم والبيهقي]

(٩٨٣) يعنى: قالها عند قيامه من المجلس فجعلها خاتمة كلامه .

(٩٨٤) يعنى: فى ختامه .

(٩٨٥) أى: لم نكن نسمعك تقوله قبل ذلك .

(٩٨٦) أى: هو كفارة لما وقع فى المجلس من سقط الكلام ولغوهِ ويحوه ويزيله أو يغطيه ويستره فلا

يعاقب الله عليه .

(٩٨٧) أى: كالخاتمة الذى يطبع به الكتاب .

ففى هذه الأحاديث الثلاثة.. يُشير النبى ﷺ إلى أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه جميعاً - مسلمين ومسلمات - ألا وهو كفارة المجلس (وذلك) حتى نكون إن شاء الله تعالى من الذين يحرصون عليه فى ختام كلِّ مجلس.. لأن من قال هذه الكلمات مع الفهم والاعتقاد بمضمونها كانت توبةً صحيحةً له، وكان حرياً بأن يغفر الله له ما فرط منه فى مجلسه.. (فقد) بدأ الدعاء أولاً بتسبيح الله عز وجل وهو تنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة من نقص وعيب، ثم ثنى ذلك بالحمد والثناء على الله بما له من صفات الكمال ونعوت الجلال. ثم أعقب ذلك بالشهادة له بالتوحيد الخالص من شوائب الشرك فى الإلهية والعبادة، ثم عقب ذلك بطلب المغفرة لذنبه، وإعلان التوبة والرجوع إلى الله.

(ولا شك) أن كل هذا الخير الخالص.. سيكون أعظم ختام للمجلس.. حتى ولو لم يكن فيه لغط.. فإنه سيكون له كالكاتم الذى يُطبع به الكتاب فيُنقذ ويُعمل بمضمونه.. وإذا كان العكس هو الصحيح فإنه سيكون كفارة له^(٩٨٨)

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه فى ختام كل مجلس.. حتى يتحقق ما وقفنا عليه فى الحالتين المشار إليهما فى الأحاديث.. والله ولى التوفيق،،

(٧٢) ماذا أقول إذا أصابتنى مصيبة ..

يا رسول الله؟

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبد تُصيبه مصيبة^(٩٨٩)، فيقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون** ^(٩٩٠): اللهم آجرنى فى

(٩٨٨) انظر ص ٦٨٥ وما بعدها مع الهامش (من الترغيب والترهيب) ج ٢ بتصرف وإضافات موضوعية.

(٩٨٩) يعنى: أى مصيبة مهما خفت. فقد ورد أن سراج رسول الله ﷺ طغى فاسترجع، فقالت له عائشة: أو تلك مصيبة يا رسول الله؟ قال: (نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة).

(٩٩٠) يعنى: لله مُلكاً وخُلُقاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء وإنا إليه راجعون فى الآخرة فيجزينا على صبرنا.

مُصِيبَتِي (٩٩١) وَأَخْلَفُ لِي خَيْرًا مِنْهَا (٩٩٢): إِلَّا أَجْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا). قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قَلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَوَّلُ بَيْتِ هَاجِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قَلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٩٩٣). [رواه مسلم، وأبو داود والنسائي والترمذي]، وَلَفْظُهُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أُحْتَسِبُ (٩٩٤) مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي بِهَا وَأَبْدَانِي خَيْرًا مِنْهَا) فَلَمَّا احْتَضَرَ أَبُو سَلَمَةَ (٩٩٥) قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلَفْنِي فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنِّي (٩٩٦) فَلَمَّا قُبِضَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، عِنْدَ اللَّهِ أُحْتَسَبُ مُصِيبَتِي (٩٩٧) فَأَجْرُنِي فِيهَا (٩٩٨).

قال ابن ماجه: (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عبد الملك بن قدامة الجُمحى عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أم سلمة أن أبا سلمة حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمر به من قوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم عندك أحتسبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي فِيهَا وَعَوِّضْنِي خَيْرًا مِنْهَا: إِلَّا أَجْرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَاضَهُ خَيْرًا مِنْهَا). قَالَتْ: فَلَمَّا تُوَفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ ذَكَرْتُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أُحْتَسَبُ مُصِيبَتِي هَذِهِ فَأَجْرُنِي عَلَيْهَا.. فَإِذَا أُرِدْتُ أَنْ أَقُولَ: وَعَوِّضْنِي خَيْرًا مِنْهَا.. قَلْتُ فِي نَفْسِي: أَعَاضُ خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ ثُمَّ قَلْتُهَا فَعَاضَنِي اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي).

(٩٩١) يعنى: اكتب لى بها أجرًا .

(٩٩٢) يعنى: وعوِّضْنِي خَيْرًا مِمَّا فَقَدْتَهُ.

(٩٩٣) بالنصب بدل من (خيرًا)..

(٩٩٤) أى: أَدخِرْ وَأَعْتَدْ .

(٩٩٥) أى: نزل به الموت.. فهو محضور ومُحْتَضِر .

(٩٩٦) أى: اجعل لهم خليفة عنى يكون خيرًا مِنِّي .

(٩٩٧) أى: عند الله لا عند غيره أَدخِرْ ثَوَابَ مُصِيبَتِي وَأَطْلُبْ أَجْرَهَا مِنْهُ .

(٩٩٨) أى: فأكتب لى أجرها .

هذا، وإذا كان لِي أَنْ أُعَلِّقَ عَلَى مَا جَاءَ فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ الْمَتَلَقَّةِ بِأَمِّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تِلْكَ الَّتِي أَخْلَفَهَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا أَبِي سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. فَإِنَّ هَذَا مَعْنَادُ.. أَنْ هَذَا مَا كَانَ إِلَّا لِأَنَّ أَبَا سَلْمَةَ كَانَ مُخْلِصًا فِي دَعَائِهِ.. كَمَا كَانَتْ أُمُّ سَلْمَةَ كَذَلِكَ أَهْلًا لِهَذَا الشَّرْفِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَعَلْنَا جَمِيعًا أَهْلًا لِلانْتِسَابِ - كَمُؤْمِنِينَ - إِلَى بُنُوتِهِنَّ .. (وَمَا كَانَ) كُلُّ هَذَا كَذَلِكَ إِلَّا بِبِرْكَةِ الْاسْتِرْجَاعِ الَّذِي رَغَّبَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَتَبْلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ أَيْ: وَلنَخْتَبِرَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ يِنَالِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَبِشَيْءٍ مِنَ الْجُوعِ - بِسَبَبِ الْقَحْطِ - يِنَالِكُمْ فِيهِ مَجَاعَةٌ وَشِدَّةٌ ﴿وَنَقْصِرَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ أَيْ: وَبِشَيْءٍ مِنْ نَقْصِ الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالثَّمَارِ، كُلُّ ذَلِكَ لِلْمَتَحَانَ وَالْإِخْتِبَارِ، لِتَبْيِينِ الصَّادِقِ فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْمُنَافِقِ ﴿وَيَبْشِرُ الصَّابِرِينَ﴾ أَيْ: وَيَشْرِي يَا مُحَمَّدُ الصَّابِرِينَ عَلَى بِلَائِي، الْمُسْتَسْلِمِينَ لِقَضَائِي، بِمَا يَسْرُهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أَيْ الْقَائِلِينَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ: إِنَّا عِبِيدُ اللَّهِ فِي حَيَاتِنَا، وَصَائِرُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِنَا ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أَيْ: هُوَ لِأَنَّ الصَّابِرِينَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ لِذُنُوبِهِمْ، وَلَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَافَةٌ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٩٩٩) الْمُصِيبُونَ لَطَرِيقِ الْحَقِّ، الْمُهْتَدُونَ لِلرُّشْدِ وَالصَّوَابِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ * (١٠٠٠) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ (١٠٠١) قَالَ: أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَلَّمَ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَرَجَعَ

(٩٩٩) الْآيَاتِ ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.. وَالتفسير من مختصر تفسير الطبري.. بتصرف

يسير .

(١٠٠٠) قيل: معناه ثناء من الله عليهم .

(١٠٠١) أَيْ: لَطَرِيقِ السَّدَادِ حَيْثُ اسْتَرْجَعُوا وَأَذَعَتُوا لِأَمْرِ اللَّهِ.. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نَعِمَ الْعِدْلَانُ وَنَعِمَتِ الْعِلَاوَةُ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فَهَذَا الْعِدْلَانُ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (الْبَقَرَةُ: ١٥٧) فَهَذِهِ الْعِلَاوَةُ وَهِيَ مَا تَوْضَعُ بَيْنَ الْعِدْلَيْنِ زِيَادَةً فِي الْحِمْلِ .

فاسترجع عند المصيبة كُتِبَ له ثلاثُ خصالٍ من الخير: الصلاةُ من الله والرحمةُ، وتحقيقُ سبيلِ الهدى (١٠٠٢).

وقال رسول الله ﷺ: (من استرجع عند المصيبة ، جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ) (١٠٠٣)، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ (١٠٠٤)، وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا (١٠٠٥) (يرضاه)

[رواه الطبراني في الكبير]

وفى رواية له: قال رسول الله ﷺ: (أَعْطَيْتُ أُمَّتِي شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

يعنى أن الاسترجاع عند المصيبة من خصائص هذه الأمة بدليل أن يعقوب عليه السلام حين أُصِيبَ بفقد يوسف عليه السلام قال: (فصبر جميل) ولم يسترجع.. أى: لم يقل: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وعن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ، فَيَقُولُ: قَبِضْتُمْ ثَمْرَةَ فَوَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمَدَكَ وَاسْتَرْجَع، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ).

[رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. عند المصيبة.. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من المبشرين فى قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (●) بل وحتى يُبْنَى لكل واحد منهما بيتٌ فى الجنة يُسَمَّى ببيت الحمد.. أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً أهلاً لهذا الخير.. اللهم آمين ،،

(١٠٠٢) أى: التوفيق لسلوك طريق الهدى .

(١٠٠٣) أى: عوضه عما فقدته بتلك المصيبة .

(١٠٠٤) أى: جعل عاقبته حميدة .

(١٠٠٥) أى: جعل له عوضاً وبدلاً عما فاته ورزقه رزقاً وفيراً .

(●) البقرة: ١٥٥ .

(٧٤) وما هو الحسد المذموم المحذر منه..

يا رسول الله؟

عن أبي هريرة رضي أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب).

[رواه أبو داود والبيهقي]

ورواه ابن ماجه، والبيهقي أيضاً وغيرهما من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة من النار).

ففي هذا الحديث الشريف - بروايته - يشير النبي ﷺ إلى ملاحظة واحدة.. (وهي) التحذير من الحسد المذموم - الذي معناه أن يتمنى الحاسد زوال النعمة الدينية أو الدنيوية عن المحسود شفاء لحقد نفسه وغيظ قلبه - (ولهذا) فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

(وهذا) الحسد المذموم هو المشار إليه في قول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

أى: تمنى كثير من اليهود والنصارى لو ردوكم كُفَّارًا بعد إيمانكم.. حسداً منهم لكم على ما أعطاكم الله من التوفيق، ووهب لكم من الرشاد.. من بعد ما وضع لهم الحق في أمر محمد وأمر رسالته.. فكفرهم بالله ورسوله عناداً، وعلى علم منهم ومعرفة.

﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أى: قل يا محمد لهم: موتوا كمدًا وغيظًا ، وهو دعاء عليهم بالهلاك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[آل عمران: ١١٩]

﴿وَلَا تَمَنُّوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (١٠٠٦) أى: ولا تتمنوا الذى فضل الله به بعضكم على بعض، من منازل الفضل ودرجات الخير، وليرض أحدكم بما قسم الله له ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أى: للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه، مما اكتسبوه من خير أو شر، وللنساء نصيب مثل ذلك ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أى: واسألوا الله توفيقه ومعونته على ما يرضيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أى: أم يحسد هؤلاء اليهود النبى ﷺ على النبوة التى فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب؟ ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أى: فقد أعطينا أهل إبراهيم الصحف، وسائر ما آتيناهم من الكتب ﴿وآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

ففى تلك الآيات البينات يشير الله تبارك وتعالى إلى ضرورة أن تكون هناك القناعة المتربعة على قلب كل مسلم ومسلمة.. حتى لا يكون هناك فى قلوبهم ما يسمى بالحقد أو الحسد.. (لأنه) يوم أن يكون هذا المرض الخطير متربعا على القلوب.. فإن هذا سيكون معناه انفراط عقد المسلمين وعدم التألف بينهم.. (وهذا) وحده يُعتبر جرماً كبيراً فى حق عامة المسلمين وخاصتهم.. (لأن) تألف المسلمين وتربطهم من أهم أهداف الإسلام.. (ولهذا) فقد نهى رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه عن التقاطع، والتدابير، والتباغض، والتحاسد.. حتى لا يكون هناك هجر أو تخاصم بين المسلمين.

(فعن) أنس رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَقَاطَعُوا) (١٠٠٧)، ولا تدابروا (١٠٠٨)، ولا تَبَاغُضُوا (١٠٠٩)، ولا تحاسدوا (١٠١٠)، وكونوا عباداً

(١٠٠٦) قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا يغزو، وإنما لنا نصف الميراث.. فنزلت الآية.

(١٠٠٧) من القطيعة والهجر، وأصله تقاطعوا فحذفت إحدى التاءين للتخفيف.

(١٠٠٨) التدابير: المعادة والمقاطعة لأن كل واحد منهما يولى صاحبه ذبوره.

(١٠٠٩) أى: لا يبغض بعضكم بعضاً بل تحابوا وتآلفوا، وهو نهى عن الأسباب الموجبة للتباغض.

(١٠١٠) أى: لا يحسد أحدكم أخاه على ما أولاه الله من نعمة فيتمنى زوالها عنه.

الله إخواناً^(١٠١١)، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث^(١٠١٢) [رواه مالك والبخارى ، وأبو داود ، والترمذى، والنسائى، ورواه مسلم أخصر منه، والطبرانى]، وزاد فيه: يلتقيان: فيعرض هذا^(١٠١٣) ويُعرض هذا، وخيرهم^(١٠١٤) الذى يبدأ بالسلام، والذى يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة).

قال مالك: ولا أحسب التدابير إلا الإعراضَ عن المسلم يُدبرُ عنه بوجهه.

(وعن) أبى أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان ، فيعرض هذا، ويُعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) . [رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى وأبو داود]

(ولقد) كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه - وهو طبيب القلوب - يعالج الداء الدفين بصورة عملية.. تجعل القلب بعد ذلك فى تمام السلامة والعافية من كل أمراض القلوب.

(عن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا مع رسول الله ﷺ، فقال: (يطلع الآن عليكم^(١٠١٥) رجلٌ من أهل الجنة) ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه^(١٠١٦) قد علَّق نَعْلَيْهِ بيده الشِّمال، فلما كان الغد^(١٠١٧)، قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو^(١٠١٨)، فقال: إنى لاحتُ أبى^(١٠١٩) ، فأقسمتُ

(١٠١١) أى: أنصاراً متحابين وأعداء متعاطفين.

(١٠١٢) وهذا معناه تحريم أن يهجر المسلم أخاه المسلم أكثر من ثلاث ليالٍ وإباحتها فى الثلاث.

(١٠١٣) أى: يولى كل منهما صاحبه عرضه وهو جانبه .

(١٠١٤) وفى رواية (وخيرهما) بالثنية ولعلها أصح أى: أفضلهما . (وهذا) معناه كذلك أن السلام يقطع الهجرة ويرفع الإثم فيها .

(١٠١٥) أى: يدخل عليكم .

(١٠١٦) يعنى: يقطر منها الماء .

(١٠١٧) يعنى: اليوم التالى .

(١٠١٨) أى: تبع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه الرجل الذى قال عنه الرسول ﷺ ما قال .

(١٠١٩) أى: خاصمته ونازعه .

إِنِّي لَا أُدْخِلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ (١٠٢٠) فَعَلْتَ .
 قَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلَاثَ اللَّيَالِي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ
 اللَّيْلِ شَيْئًا (١٠٢١) ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى (١٠٢٢) تَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ،
 وَكَبَّرَ حَتَّى لَصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمِعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا
 مَضَتِ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي ، وَكَدْتُ أَنْ أُحْتَقِرَ عَمَلُهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ
 أَبِي غَضَبٍ وَلَا هُجْرَةٍ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ (١٠٢٣) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ :
 يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَّعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَوِيَّ
 إِلَيْكَ فَأَنْظَرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدَى بِكَ ، فَلَمْ أُرْكَ عَمَلْتُ كَبِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي (١٠٢٤) ، فَقَالَ :
 مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أُجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا (١٠٢٥)
 وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ
 بِكَ (١٠٢٦) .

[رواه أحمد بإسناد على شرط البخارى ومسلم والنسائى ، ورواه احتجاجا بهم أيضا إلا
 شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنحوه، وسمى الرجل المبهمة سعدا]
 وقال فى آخره: فقال سعد: ما هو إلا ما رأيت يا بن أخى إلا أنى لا أبيت
 ضاغتا (١٠٢٧) على مسلم، أو كلمة نحوها. (زاد) النسائى فى رواية له والبيهقى
 والأصبهاني، فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا تُطبق (١٠٢٨) .
 ورواه البيهقى أيضا عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ

(١٠٢٠) يعنى: تضمينى إليك وتنزلى عندك الليالى الثلاث .

(١٠٢١) يعنى: للتهجد قبل الفجر .

(١٠٢٢) أى: استيقظ من الفجر .

(١٠٢٣) أى: قال عنك .

(١٠٢٤) أى: نادانى .

(١٠٢٥) أى: أضمر لأحد خديعة ولا مكرا .

(١٠٢٦) أى: أوصلتك إلى الجنة .

(١٠٢٧) يعنى: حاقدا على أحد .

(١٠٢٨) أى: لا نقدر عليه .

رسول الله ﷺ، فقال: (لِيَطَّلَعَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فجاء سعد بن مالك (١٠٢٩) فدخل منه . قال البيهقي: فذكر الحديث قال: فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ما أنا بالذي أنتهي (١٠٣٠) حتى أبيات هذا الرجل (١٠٣١)، فأنظر عمله، قال: فذكر الحديث في دخوله عليه، قال: فناولني عباءة، فاضطجعتُ عليها قريباً منه ، وجعلتُ أرمقه (١٠٣٢) بعيني ليله (١٠٣٣) ، كلما تعار (١٠٣٤) سبح (١٠٣٥) ، وكبّر (١٠٣٦) ، وهلل (١٠٣٧) ، وحمد الله (١٠٣٨) ، حتى إذا كان في وجه السحر قام فتوضأ ، ثم دخل المسجد (١٠٣٩) فصلى ثنتي عشرة ركعة باثنتي عشرة سورة من المفصل (١٠٤٠) ليس من طوالة، ولا من قصاره، يدعو في كل ركعتين بعد التشهد بثلاث دعوات يقول: (اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة، ووقنا عذاب النار) (١٠٤١) . (اللهم اكفنا ما أهمنا من أمر آخرتنا ودنيانا). (اللهم إنا نسالك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله). حتى إذا فرغ.. فذكر الحديث في استقلاله عمله (١٠٤٢) ، وعوده إليه ثلاثاً إلى أن قال: آخذ مضجعي، وليس في قلبي غمٌّ على أحد (١٠٤٣) .

(فهذا) القول الأخير الوارد في ختام الروایتين - وهو أنه لا يجد في نفسه لأحد من المسلمين غشاً، ولا يحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، وأنه لم يبت

(١٠٢٩) وهو سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(١٠٣١) يعنى: آيت معه .

(١٠٣٠) أى: أسكت .

(١٠٣٣) أى: طول ليله .

(١٠٣٢) يعنى: أنظر إليه .

(١٠٣٥) أى: قال سبحان الله .

(١٠٣٤) أى: استيقظ وانته .

(١٠٣٦) أى: قال: الله أكبر .

(١٠٣٧) أى: قال: لا إله إلا الله .

(١٠٣٨) أى: قال: الحمد لله .

(١٠٣٩) أى: المكان الذى يصلى فيه داخل بيته تهجلاً .

(١٠٤٠) أى: من أول سورة (ق) الخ المصحف .

(١٠٤١) وهى دعوة جامعة لكل خير فى الدنيا والآخرة .

(١٠٤٢) أى: عدّه إياه قليلاً .

(١٠٤٣) أى: ليس فى قلبى حقد على أحد.. (لأن) كلمة غمّر: بكر فكون ، أى حقد .

ضاغناً على مسلم ، وأنه ليس فى قلبه غمراً على أحد - هو: الخلاصة التى لا بد أن نتفق عليها ، وهى أنه لا بد أن يكون القلب خالياً من الغل والحقد والحسد: إذا أردنا أن يكون هناك عمار بين الناس.

(وذلك) لأن القلب - كما قال الرسول ﷺ: (.. ألا وإن فى الجسد مضعَةً إذا صلحت صلحَ الجسدِ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسدَ الجسدِ كُلُّهُ، ألا وهى القلب) [الحديث بتمامه رواه البخارى ومسلم]

(وعن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أى الناس أفضل ؟ قال: (كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ^(١٠٤٤)، صَدُوقِ اللِّسَانِ^(١٠٤٥)) قالوا: صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إثمُ فِيهِ وَلَا بَغْيٌ، وَلَا غِلٌّ، وَلَا حَسَدٌ). [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقى وغيره أطول منه]

(فلتكنْ) أخوا الإسلام (مخموم) القلب بهذا المعنى الذى وقفت عليه - فى الحديث الأخير - حتى لا تكون حقوداً أو حسوداً.. (بل) وحتى تكون أهلاً لدخول الجنة - كسعد بن مالك رضي الله عنه - إن شاء الله.. (ولتكن) غير متطلع إلى ما فى أيدي الناس.. حتى لا تكون فى غم بسبب هذا التطلع الذى لا فائدة منه.. (وإنما) حسبك أن تسأل الله من فضله.. فهو سبحانه ذو الفضل العظيم.. (وإذا) أردت أن تفوز ببركات السماء والأرض.. (فإنه) حسبك كذلك أن تستعمل هذين المفتاحين المشار إليهما فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٠٤٦).

(واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)^(١٠٤٧)، وعلى الأخت المسلمة أن تنتفع كذلك بكل هذا التذكير النافع.. والله ولى التوفيق ،

(١٠٤٤) قال السيوطى: بالخاء المعجمة قال فى النهاية: (هو من خممت البيت إذا كنته ونظفته) .

(١٠٤٥) صدوق ، أى: مبالغ فى الصدق لا يكذب أبداً .

(١٠٤٦) الأعراف: من الآية ٩٦ .

(١٠٤٧) والحديث فى الأربعين النووية رقم ١٩ وهو حديث صحيح .

(١٠٥٠) ما هو الحسد المحمود .. وقى أى شيء يكون ..

وما المراد به .. يا رسول الله؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي قَتْلَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ (١٠٤٨) فِي الْحَقِّ (١٠٤٩)، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ (١٠٥٠) فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعْطَاهَا). [رواه البخارى ومسلم]

فى هذا الحديث الشريف الصحيح المتفق عليه .. يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. إلى شيئين اثنين - فقط - يتبغى علينا نحن المؤمنين - بصفة خاصة - إن شاء الله .. أن نغبط إخواننا عليهما .. بمعنى أن نتسابق معهم فى الحرص على تحقيقهما والفوز بثوابهما .. (ألا وهما): إنفاق المال الحلال فى وجوه البر.. التى أمر الله بالإنفاق فيها .. (وتانيهما): طلب العلم النافع والحكم به بين الناس وتعليمه إياهم .. طلباً للثواب الذى لا بد أن نسارع فى طلبه .. لأنه كما يقول الشاعر:

ليس المصابُ من فارق الأحابِثَ إن المصابَ من فقد الثوابَ

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم الهام أن أدور حول هذين الشيئين المحمودين.. اللذين هما (الحسد المحمود) الذى نسال الله تعالى أن يجعلنا من أهله .. لا من أهل الحسد المذموم الذى هو تمنى زوال النعمة عن المحسود (وهو حرام) .. فإننى أرى أن أبدأ الآن فى الترغيب فى الأولى .. منهما، فأقول:

الإنفاق فى سبيل الله .. أى: فى أبواب الخير المشروعة التى فى مقدمتها .. البر بالوالدين وتأكيد صلتها وطاعتها ، والإحسان إليهما ، وبر أصدقائهما من بعدهما.

(فعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحبُّ

(١٠٤٨) يعنى: على إهلاكه وإنفاقه.

(١٠٤٩) أى: فى وجوه الخير والبر التى أمر الله بالإنفاق فيها .

(١٠٥٠) وهى العلم النافع والفقه فى الدين.

إلى الله (١٠٥١)؟ قال: (الصلاة على وقتها) (١٠٥٢). قلت: ثم أى؟ قال: (برُّ
 الوالدين). قلت: ثم أى؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) [رواه البخارى ومسلم]
 (وعن) أبى أسيد مالك بن ربيعة السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه قال: بينا نحنُ جلوسٌ عند
 رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقى من أمر
 أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: (نعم، الصلاة عليهما) (١٠٥٣)،
 والاستغفار لهما (١٠٥٤)، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما (١٠٥٥)، وصلَّةُ الرحمِ
 التى لا تُوصلُ إلا بهما (١٠٥٦)، وإكرامُ صديقَيْهما (١٠٥٧) [رواه ابن ماجه، وابن
 حبان فى صحيحه، وزاد فى آخره: قال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله
 وأطيبه، قال: (فاعمل به)].

وعن أبى بُردة (١٠٥٨) رضي الله عنه قال: قدمتُ المدينةَ فأتانى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
 فقال: أتدرى لم أتيتك؟ قال: قلتُ: لا. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من
 أحبَّ أن يصلَّ أباه فى قبره) (١٠٥٩)، فليصل إخوانَ أبيه بعده (١٠٦٠) وإنه
 كان بين أبى عمر (١٠٦١) وبين أبيك إخاءٌ وودٌّ، فأحببتُ أن أصل ذاك).

[رواه ابن حبان فى صحيحه]

ومن البر كذلك أن تصل ذوى قرابتك .. فتعطى محتاجهم، وتزور مريضهم،
 وتواسى منكوبيهم .. الخ.

-
- (١٠٥١) أى: أكثر محبوبة إلى الله من غيره .
 (١٠٥٢) يعنى: فى أول وقتها .
 (١٠٥٣) والمراد بالصلاة هنا ، أى: الدعاء لهما بالرحمة .
 (١٠٥٤) أى: طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل .
 (١٠٥٥) يعنى: بإيجازه والوفاء به .
 (١٠٥٦) أى: ومودة القرابة التى له بسببهما ومن جهتهما .
 (١٠٥٧) أى: أن يحب من كانا يحبانه من الناس ، ويقوم لهما بمثل ما كانا يقومان به من الإكرام .
 (١٠٥٨) وهو ابن أبى موسى الأشعري - رضى الله عنه - واسمه عامر بن عبد الله وتوفى سنة ثلاث
 ومائة . هـ .
 (١٠٥٩) أى: يدوم بره بعد موته .
 (١٠٦٠) وهم الذين كان يحبهم ويقربهم .
 (١٠٦١) قوله (عمر) بدل من (أبى) .

(فعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْنَمْتْ).

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ^(١٠٦٢)، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ^(١٠٦٣)، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ).

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ، الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ).

[رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(ومعنى) الكاشح: أنه الذي يُضمر عداوته في كشحه وهو خصره، يعنى: أن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم المضمرة العداوة فى باطنه، وهو فى معنى قوله ﷺ: (وَتَصِلْ مِنْ قِطْعِكَ) ^(١٠٦٤).

ومن البرِّ المرغَّب فيه: كفالة اليتيم ورحمته، والنفقة عليه، والسَّعْيُ على الأرملة والمسكين..

(فعن) سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ ^(١٠٦٥) فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا)

[رواه البخارى وأبو داود والترمذى]

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ

(١٠٦٢) أى: يوسع ويؤخر.

(١٠٦٣) أى: يؤخر له فى أجله، وسُمى أثراً لأنه يتبع العمر. (وهذه الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك .

(١٠٦٤) وهذا جزء من حديث شريف، رواه البزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

(١٠٦٥) أى: القيم عليه المدير لمصلحة المعهد لشتونه .. (واليتيم): هو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال.

لغيره^(١٠٦٦)، وأنا وهو كهاتين في الجنة، وأشار ملكٌ بالسَّلبَةِ
[رواه مسلم، ورواه مالك عن صفوان بن سليم مرسلًا]

(ورواه) البزار متصلًا ولفظه قال: (مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ ذَا قَرَابَةٍ^(١٠٦٧)، أَوْ
لَا قَرَابَةَ لَهُ، فَأَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كِهَاتَيْنِ، وَضَمَّ أُصْبُعَيْهِ^(١٠٦٨)، وَمَنْ سَعَى
عَلَى ثَلَاثِ بَنَاتٍ^(١٠٦٩)، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ^(١٠٧٠)، وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمَجَاهِدِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ صَائِمًا قَائِمًا^(١٠٧١)).

ومن البر - أيضًا - أن تُحَسِّنَ إلى جارك بكل أنواع الإحسان، فتعطيه إذا
احتاج، وتُعِينَهُ إذا استعان بك، وتُشَاطِرُهُ أفراحه وأحزانه.. (بمعنى) أن تقف
بجواره في السراء والضراء.

(فعن) أَبِي شُرَيْحِ الخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَتُ).

[رواه مسلم، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان]
ومن البر كذلك أن تسافر لزيارة أخ لك في الله حتى تصله ببرك، ولا سيما
إذا كان قريبًا لك؛ لأن هذا سيكون من باب صلة الرحم المرغَّب فيها.

(فعن) أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ، فَأَرَصَدَ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا^(١٠٧٢)، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ^(١٠٧٣)، قَالَ: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ:

(١٠٦٦) قال في الفتح: (بأن يكون جدًّا أو عمًّا أو أخًا أو نحو ذلك من الأقارب، أو يكون أبو اللولود
قد مات، فتقوم أمه مقامه، أو ماتت أمه فيقوم أبوه في التربة مقامها).

(١٠٦٧) أي: صاحب قرابة وهو بالنصب صفة ليتيم.

(١٠٦٨) يعني: السبابة والوسطى.

(١٠٦٩) أي عمل لكسب قوتهم وما يلزم لهم من نفقة وكسوة.

(١٠٧٠) أي: إذا احتسب ذلك وابتغى به الأجر من الله.

(١٠٧١) حالان من المجاهد، أي: حال كونه صائمًا نهارًا وقائمًا ليله.

(١٠٧٢) يعني: أُنْعِدْ لَهُ مَلَكًا عَلَى طَرِيقِهِ يَرْقُبُهُ وَيَنْتَظِرُهُ.

(١٠٧٣) أي: مرًا.

أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ^(١٠٧٤)؟ . قَالَ: لَا ،
غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ . قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ ^(١٠٧٥)
كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ ^(١٠٧٦). [رواه مسلم]

(وعن) أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا ^(١٠٧٧)،
أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادُ بَانَ طَبْتِ ^(١٠٧٨)، وَطَابَ مَمْشَاكَ ^(١٠٧٩)،
وَتَبَوَّأَتْ ^(١٠٨٠) مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا ^(١٠٨١)). [رواه ابن ماجه، والترمذى، واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن حبان فى
صحيحه، كلهم من طريق أبى سنان عن عثمان بن أبى سودة عنه]

(وعن) معاذ بن جبل رضي عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: (وَجَبَّتْ مَحَبَّتِي ^(١٠٨٢) لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ^(١٠٨٣)، وَلِلْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ،
وَلِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَلِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ). [رواه مالك بإسناد صحيح]

وقد قرأت فى (فقه السنة) ج ٣ ص ١٢٥ ، ١٢٦ كلاماً هاماً جاء فيه تحت
عنوان:

استحباب الصدقة للصالحين

الزكاة تُعْطَى لِلْمُسْلِمِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّهَامِ ^(١٠٨٤) وَذَوَى الْاِسْتِحْقَاقِ

-
- (١٠٧٤) أى: تحفظها وتراعيها وتربيها .
(١٠٧٥) ومجبة الله لعبده صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به سبحانه . . ويلزم منها إرادة الخير
والرضا لهذا العبد .
(١٠٧٦) أى: جزاء لحبك أخاك فى الله عز وجل .
(١٠٧٧) يعنى: زاره أثناء مرضه .
(١٠٧٨) أى: فعلت طيباً حسناً . . وقال الطيبى: هو دعاء له بأن يطيب عيشه فى الدنيا .
(١٠٧٩) يعنى: طاب سعيك وكان صالحاً .
(١٠٨٠) أى: سكنت ونزلت .
(١٠٨١) وهو دعاء له بطيب العيش فى الآخرة وإظهار الدعاء بصيغة الإخبار لإظهار احرص على وقوعه .
(١٠٨٢) أى: حقت وثبتت .
(١٠٨٣) أى: للذين يحب بعضهم بعضاً من أجلى .
(١٠٨٤) وهم المذكورون فى آية «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ» إلى قوله تعالى: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» التوبة: ٦٠ .

سواء أكان صالحًا أم فاسقًا (١٠٨٥) إلا إذا علم أنه سيستعين بها على ارتكاب ما حرم الله (١٠٨٦) فإنه يُمنعُ منها سدًا للذريعة، فإذا لم يعلم عنه شيئًا، أو علم أنه سينتفع بها فإنه يُعطيه منها .. ثم يقول:

(وينبغي) أن يُخصَّ المُزكِّيَ بركاته أهلَ الصلاح والعلم وأرباب المروءات والخير:

(فعن) أبي سعيد الخدريُّ رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ ، وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ) (١٠٨٧). وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان، فاطعموا طعامكم الاتقياء، وألوا معروفكم المؤمنين).

وقال ابن تيمية: فمن لا يُصَلِّيَ من أهل الحاجات لا يُعطى شيئًا حتى يتوب، ويلتزم أداء الصلاة .. ثم يقول في فقه السنة: وهذا حق فإن ترك الصلاة إثم كبير لا يصح أن يُعانَ مقترفه حتى يُحدثَ لله توبةً. (ويلحق) بتارك الصلاة العابثون والمستهترون الذين لا يتورعون عن منكر، ولا ينتهون عن عُيٍّ، والذين فسدت ضمائرهم، وانطمست فطرتهم وتعطلت حاسة الخير فيهم .. (فهؤلاء) لا يُعطون من الزكاة إلا إذا كان العطاء يوجِّههم الوجهة الصالحة، ويعينهم على صلاح أنفسهم بإيقاظ باعث الخير واستثارة عاطفة التدين.

كما يقول في (فقه السنة) ، تحت عنوان:

استحباب إعطاء الزكاة للزوج والأقارب

إذا كان للزوجة مال تجب فيه الزكاة ، فلها أن تُعطىَ لزوجها المستحق من زكاتها إذا كان من أهل الاستحقاق ، لأنه لا يجب عليها الإنفاق عليه (١٠٨٨) ،

(١٠٨٥) الفاسق: أي المرتكب للكبيرة أو المُصر على الصغيرة - والعياذ بالله - .

(١٠٨٦) كالزنى ، وشرب الخمر والقتل .. (والعياذ بالله) .

(١٠٨٧) عروة أو عود يغرز في الحائط لربط الدواب . يعنى: أن العبد يبعد بترك بعض أعمال الإيمان ثم يعود إلى الإيمان الثابت نادمًا على تركه متداركًا ما فاته كالفرس يبعد عن آخيته ثم يعود إليها .

(١٠٨٨) يعكسه هو بالنسبة لها فـ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ .. (النساء: ٣٤) .

وثوابها فى إعطائه أفضل من ثوابها إذا أعطت الأجنبى (فعن) أبى سعيد الخدرى أن زينب امرأة ابن مسعود، قالت: يا نبى الله، إنك أمرت اليوم بالصدقة، وكان عندي حُلِيٌّ فأردتُ أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبى ﷺ: (صدق ابنُ مسعود، زوجكِ وولدكِ أحقُّ من تصدقتِ به عليهم). [رواه البخارى]

(وهذا) مذهب الشافعى وابن المنذر وأبى يوسف ومحمد وأهل الظاهر، ورواية عن أحمد ، (وذهب) أبو حنيفة وغيره إلى أنه لا يجوز لها أن تدفع له من زكاتها، وقالوا: إن حديث زينب ورد فى صدقة التطوع لا الفرض. (وقال مالك): إن كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز. وإن كان يصرفه فى غير نفقتها جاز. وأما سائر الأقارب كالإخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات: فإنه يجوز دفع الزكاة إليهم إذا كانوا مستحقين ، فى قول أكثر أهل العلم لقول الرسول ﷺ: (الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ ^(١٠٨٩)، وعلى ذى القرباة اثنتان: صلةٌ وصدقةٌ ^(١٠٩٠)).

[رواه أحمد والنسائى والترمذى وحسنه]

(هذا) مع ملاحظة هامة لا بد أن يضعها الأخ المنفق أو المزكى نُصب عينيه ، وهى أن يكون بعيداً عن المنِّ والأذى .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْرَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١٠٩١) ، وقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ ^(١٠٩٢)

(وعن) جندب بن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: (مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ ، وَمَنْ

(١٠٨٩) أى: فيها أجر الصدقة .

(١٠٩٠) أى: فيها أجران: أجر صلة الرحم ، وأجر الصدقة .

(١٠٩١) البقرة: ٢٦٤ .

(١٠٩٢) البقرة: من الآية ٢٦٣ .

يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ (١٠٩٣). [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: قال الله عز وجل: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى، فأنا منه برىء وهو للذى أشرك (١٠٩٤)). [رواه ابن ماجه ورواته ثقات]

(وأما) عن الخصلة الثانية التى ينبغى علينا أن نتنافس مع إخواننا المؤمنين فى تحصيلها والفوز بثمارها .. (فهى) الحكمة التى هى العلم النافع، والفقہ فى الدين (١٠٩٥) .. وحسب الذى سيفوز بها أن يكون من المشار إليهم فى قول الله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى: يُعْطَى الفهم والإصابة فى القول والفعل، مَنْ يَشَاءُ من عباده ﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أى: ومن يُعْطَى الفهم وإصابة الصواب، فقد أُعْطِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبَاءِ﴾ (١٠٩٦) أى: وما يتعظ ويتذكّر إلا أصحاب العقول .

(والحكمة) أيضاً هى السنة .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى: لقد امتنَّ الله على المؤمنين ، حين أرسل فيهم رسولاً من جنسهم، ومن أهل لسانهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أى: يقرأ عليهم آيات القرآن، ويطهرهم من دنس الذنوب والآثام ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أى: ويُعَلِّمُهُم كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١٠٩٧) أى: وإن كانوا من قبل بعثته لفى جهالة جهلاء وضلالة عمياء.

(هذا)، وإذا كنا قد عرفنا أولاً أن المراد بالحكمة - فى الحديث الذى ندور

(١٠٩٣) سَمِعَ ورأى به ، أى: فضحه .

(١٠٩٤) أى: أن عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برىء منه .

(١٠٩٥) قال ابن عباس: (الحكمة): القرآن، والفقہ فى القرآن، بمعرفة حلاله وحرامه، وأحكامه وأمثاله .

(١٠٩٦) البقرة: ٢٦٩ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف .

(١٠٩٧) آل عمران: ١٦٤ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

حواله - العلم النافع ، والفقہ فی الدین .. وإذا كان كل هذا لن يتحقق إلا بمدارسة العلم النافع، والحرص على حضور مجالسه .. فإننى أرى أن أقف مع الأخ المسلم - وباختصار - على بعض الأحاديث الشريفة المرغبة في هذا:

(فعن) أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ (١٠٩٨) ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ (١٠٩٩) قَبِلَتْ الْمَاءَ ، وَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، فَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ (١١٠٠) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ (١١٠١) فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهَا، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ (١١٠٢) لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِيَ (١١٠٣) فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا (١١٠٤) وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) . [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علّمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مُصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته) . [رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقى ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه مثله إلا أنه قال: (أو نهراً كراه) وقال: يعنى حفره ولم يذكر المصحف]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع

(١٠٩٨) الهدى مصدر بمعنى الدلالة والبيان . والعلم هو اعتقاد الشيء اعتقاداً جازماً عن دليل .

(١٠٩٩) أى: خصبة صالحة للنبات.

(١١٠٠) جمع أجذب وهو المكان الذى اجتبس عنه المطر فيبت أرضه وأمحلت.

(١١٠١) يعنى: حبسته من التسرب والضياع .

(١١٠٢) جمع قاع وهى الأرض المستوية التى لا نبات فيها .

(١١٠٣) يقال (فُقِيَ) بضم الفاق فهو فقيه إذا صار الفقه له ملكة راسخة، ويقال: فقه المسألة بالفتح يعنى فهمها.

(١١٠٤) كناية عن التكبر والإعراض وعدم المبالاة.

عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له
[رواه مسلم وغيره]

لأن هذه الثلاث هي من كسبه، فالصدقة الجارية هو الذى وقفها من ماله فى
حال حياته ، والعلم الذى تركه هو كذلك من عمله قبل موته فيجربى عليه ثوابه
ما دام ينتفع به، وولده أيضاً من كسبه .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (...) **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ..** [رواه مسلم وغيره] (١١٠٥)

(وعن) زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادى رضي الله عنه قال: ما جاء بك؟ (١١٠٦) قلت: أنبئ العلم (١١٠٧). قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضى بما يصنع).

[رواه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ له،

وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد]

(فعلى) الأخ المسلم - أن يلاحظ كل هذا ويُتَقَدَّ المراد منه .. (بمعنى) أنه إذا رأى مؤمناً من الله عليه بالمال الحلال .. ورآه ينفق منه فى أبواب الخير المشروعة .. أن يتنافس معه فى هذا الخير وهو يسأل الله تعالى أن يجعله مثله .. حتى يكون من المنفقين فى أبواب الخير المشروعة مثله .. إن شاء الله.

(وكذلك) إذا رأى مؤمناً من الله عليه بالعلم النافع .. ورآه يقضى بين الناس بهذا العلم .. كما رآه يُعَلِّمه للناس .. (فإنه) ينبغي عليه أن يطلب العلم النافع مثله .. وهو يسأل الله تعالى أن يجعله أهلاً له .. حتى يقضى بين الناس بهذا العلم النافع ويُعَلِّمه إياهم .. (وهو) يعلم يقيناً أنه عندما سيفعل هذا وبإخلاص .. سيكون قد حسد أخاه المؤمن حسداً محموداً سيُثاب عليه إن شاء الله .. (وعلى) الأخت المسلمة أن تعينه على تحقيق هذا الخير حتى تكون شريكة له فى هذا الثواب .. إن شاء الله .. والله ولى التوفيق،،

(١١٠٥) الحديث بتمامه فى الأربعين النووية رقم ٣٦ .

(١١٠٦) استفهام عن الغرض الذى جاء من أجله .

(١١٠٧) أى: أطلبه وأستخرجه .

(٧٦) مَا الْعَصَبِيَّةُ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن بنت وائلة بن الأسقع عن أبيها قال: قلتُ: يا رسول الله ما العصبية؟ قال: (أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ) [أخرجه أبو داود^(١١٠٨)]، وقد أورد الحديث بلفظه، وذكر شارحه أن ابن حبان وثَّق وائلة بن الأسقع، وفي الشرح: قال المنذرى: وأخرجه ابن ماجه]

وهذا الحديث الشريف وإن كان موجزاً في نصّه .. إلا أن مضمونه يشير إلى قضية هامة لا بد أن تكون موضع دراسة وتركيز .. (ألا) وهي قضية العصبية التي لا تزال مُسيطرَة على عقول الكثيرين من الناس على المستوى العام والخاص .. (وهذا) معناه أن الجاهلية الأولى لم تَزَلْ بعد .. (وأعني) بهذا .. أن هذا المفهوم من التراث الجاهلي الذي أنكره الإسلام وحاربه .. حتى لا يكون هناك ظلم لأحد تحت مظلة الإسلام الذي نادى بأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .. ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(١١٠٩)، وأن الناس سواسية كأسنان المشط .. (بل) وجعل رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه سلمان الفارسي من آل البيت ، فقال: (سلمان منا آل البيت).

(وذات) يوم قال أبو ذر رضي الله عنه لبلال عليه رضوان الله: (يا ابن السوداء) ، فلما علم النبي ﷺ بهذا حزن وتألّم، ثم قال لأبي ذر: (أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ .. إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) أى: لا زالت فيك رواسب الجاهلية .. (فما) كان من أبي ذر إلا أن وضع خدّه على الأرض ثم طلب من بلال أن يبطأ وجهه بقدمه - عقاباً له ، أو تأديباً له - ولكن بلالاً أبى وعفا عن صاحبه .. وهذا خلق القرآن الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿وَالْعَالِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١١٠).

(١١٠٨) ج ٥ ص ٣٠٥ .

(١١٠٩) الحجرات: من الآية ١٣ .

(١١١٠) آل عمران: من الآية ١٣٤ .

(وهذا) معناه كذلك أن النبي ﷺ بهذا يُذِيبُ الفوارق .. حتى لا يكون هناك تعالٍ من أحدٍ على أحدٍ باسمِ العصبية ، أو لجرد أنه من وجهاء الناس ، أو من هؤلاء المغرورين بما هم فيه من العزِّ الدنيوي الذي هو حتماً إلى زوال .. (وتستطيع) أن تقول عنه بكل تركيز أنه نوع من الكبر الذي نهى عنه القرآن، والنبي صلوات الله وسلامه عليه .. ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى ناهياً عنه:

﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١١١١)، (ومعنى) تُصَعِّرُ خَدَّكَ للناسِ أى تُمِيلُهُ وتُعْرَضُ به عن الناسِ تَكْبَرًا عليهم، والمرحُ: التَّبَخُّرُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (١١١٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس) [رواه مسلم]، ومعنى (بطر الحق): أى: رده على قائله، و(غمط الناس) أى: احتقارهم . والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَسْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١١١٣).

(فليحذر) الأخ المسلم أن يكون - والعياذ بالله - من هؤلاء المتكبرين .. وليحذر كذلك أن يكون متعصباً لهم ، إذا ما أرادوا ظلم أحد أو الاعتداء عليه أو على أى أحد من أولاده أو قرابته، أو الاستيلاء على أمواله .. ظلماً وعدواناً .. لأن هذا سيكون معناه المشاركة فى هذا الظلم الذى حرّمه الله تعالى على نفسه وجعله بيننا محرماً .. فقال رب العزة سبحانه فى الحديث القدسى: (يا عبادى، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) (١١١٤)،

(١١١١) لقمان: ١٨ .

(١١١٢) سورة القصص: ٧٦ - ٨١ .

(١١١٣) النحل: من الآية ٢٩ .

(١١١٤) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

وقال تعالى فى قرآنه: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١١١٥) ، وقال
﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١١٦) .

(وعن) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلُماتٌ
يومَ القيامة، واتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن
سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم) . [رواه مسلم]

(وعلى) الأخ المسلم أن يكون عكس هذا، بمعنى أن يوقف الظالم هذا عند حده
- إن استطاع - بأى أسلوب من الأساليب حتى لا يكون شريكًا له فى الإثم ..
فقد ورد فى الحديث الشريف:

(عن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنصر أخاك ظالمًا أو
مظلومًا) (١١١٧) ، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا ، أفرأيت إن
كان ظالمًا كيف أنصره (١١١٨)؟ قال: (تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك
نُصره) (١١١٩) رواه البخارى . ورواه مسلم فى حديث عن جابر عن النبى ﷺ
قال: (ولينصر الرجلُ أخاهُ ظالمًا أو مظلومًا، وإن كان ظالمًا فلينبههُ فإنَّه لهُ
نُصرةٌ ، وإن كان مظلومًا فليُنصرهُ) .

وفى رواية البخارى: (قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف
ننصره ظالمًا؟) فقال: (تأخذ فوق يديه) قال فى الفتح: (كُنِيَ بِهِ عَنْ كَفِّهِ عَنِ
الظلم بالفعل إن لم يكن بالقول ، وعبرَ بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء
والقوة) .

وقال ابن بطال: (النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه
من الظلم من تسمية الشىء بما يتول إليه، وهو من وجيز البلاغة) .

(١١١٥) غافر: من الآية ١٨ .

(١١١٦) الشورى: من الآية ٨ .

(١١١٧) يعنى: أنصره فى كل واحدة من الحالتين، فقوله (ظالمًا) حال من أخاك (ومظلومًا) معطوف عليه .

(١١١٨) يعنى: أخبرنى إذا كان هو الظالم كيف أنصره ، مع أن فى ذلك إعانة على الظلم .

(١١١٩) أى: فإن ذلك هو معنى نصرك إياه إذا كان ظالمًا .

وقال ابن المنير: (فيه إشارة إلى أن الترك كالفعل فى باب الضمان).

وقال الحافظ فى الفتح فى باب نصر المظلوم: (هو فرض كفاية ، وهو عام فى المظلومين، وكذلك فى الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع .. وشرط الناصر أن يكون عالماً بكون الفعل ظلماً، ويقع النصر مع وقوع الظلم، وهو حينئذ حقيقة، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنساناً من يد إنسان طالبه بمال ظلماً وهُدِّه إن لم يبيدْهُ وقد يقع بعد).

وعلى الأخ المسلم أن يذكر الظالم ببعض الأحاديث الشريفة التى قد تكون رادعة له، والتى منها ما ورد:

(عن) أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يُملي للظالم (١١٢٠) فإذا أخذه لم يُفلته) (١١٢١)، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١١٢٢) [رواه البخارى ومسلم والترمذى]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (من كانت عنده مظلمة لأخيه (١١٢٣) من عرض أو من شىء (١١٢٤)، فليتحلله منه اليوم (١١٢٥) من قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهماً (١١٢٦)، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته (١١٢٧)، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (١١٢٨)) [رواه البخارى والترمذى]، وقال فى أوله: (رحم الله عبداً كانت له عند أخيه مظلمة فى عرض أو مال ..) الحديث.

(١١٢٠) أى: يمهله ويؤخره .

(١١٢١) يعنى: فإذا عاقبه على ظلمه لم يستطع أن يتخلص من يأسه وعذابه .

(١١٢٢) هود: ١٠٢ .

(١١٢٣) المظلمة ما احتملته أنت من الظلم أو ما أخذ منك ظلماً .

(١١٢٤) وأتى بلفظ شىء لإفادة العموم .. فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة وغيرها .

(١١٢٥) وذلك بأن يعفو عنه ويسقط حقه فيه .

(١١٢٦) أى: من قبل أن لا يمكن دفع الحقوق بالأموال من الدراهم والدنانير .

(١١٢٧) أى: ووضع فى حسنات غريمه .

(١١٢٨) أى: فطرح عليه فتغلب سيئاته فيدخل النار .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أندرون من المفلس؟) قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع (١١٢٩) ، فقال: (إن المفلس من أمتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ) (١١٣٠) ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا (١١٣١) ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته، فإن فُتيتُ حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرح في النار (١١٣٢) .

[رواه مسلم والترمذى]

وعلى الأخ المسلم فى البداية والنهاية ، أن يكون فى جانب الحق .. وليكن شعاره هو قول أحد أهل الحق: (أنت صديقى والحق صديقى، فإن تعارضا فالحق أولى بالصداقة) و (إن الله تعالى هو الحق فمن كره الحق فقد كره الله) ، والله المستعان على نُصرة الحق وأهله،،

(٧٧) ما هى السورة القرآنية التى ملأت عظمئها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك .. يا رسول الله؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

(ألا أُخبركم بسورة ملأت عظمئها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة عُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ الخمسَ الأواخرَ منها عند نومه بعثه الله أى الليل شاء؟ سورة أصحاب الكهف) [أخرجه ابن مردويه والديلمى]

(١١٢٩) وهذا هو مدلول الكلمة لغة أن المفلس هو من لا فلوس له .

(١١٣٠) يعنى: يأتي بحسنات كثيرة من جميع الأنواع .

(١١٣١) يعنى: قلدح فى عرضه واتهمه بالزنا .

(١١٣٢) وذلك بسبب فناء حسناته وكثرة سيئاته .

وقد ورد أيضاً من حديث عائشة بلفظ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة عُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أى الليل شاء).

[أخرجه ابن مردويه فى تفسيره بسند ضعيف]

وقد صح الحديث فى العصمة من الدجال بحفظ بعض سورة الكهف من غير تقييد بيوم الجمعة. رواه مسلم من حديث أبى الدرداء .. انظر تنزيه الشريعة المرفوعة ج ١ ص ٣٠٢ نشر مكتبة القاهرة، هذا والحديث فى الجامع الصغير برقم ٢٧٦٢ برواية ابن مردويه عن عائشة - قال المناوى: ابن مردويه فى التفسير عن عائشة، ورواه عنها أيضاً أبو الشيخ وابن جرير وأبو نعيم والديلمى وغيرهم باللفظ المذكور، ورؤى من طرق أخرى عن ابن الضريس وغيره لكن بعضها كما قال الحافظ ابن حجر فى أماليه معضل وبعضها مرسل.

وعن ابن الضريس عن إسماعيل بن رافع مرسلأ، أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض ، شيعها سبعون ألف ملك؟ سورة الكهف . من قرأها يوم الجمعة عُفِرَ له بها إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام من بعدها، وأعطى نوراً يبلغ السماء، ووَقِيَ من فتنة الدجال، ومن قرأ الخمس آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه حَفِظَ وَبُعِثَ من أى الليل شاء) .

فمن خلال هاتين الروايتين بالإضافة إلى ما بينهما من إضافات موضوعية .. نستطيع أن نقف على عظمة سورة الكهف وما فيها من إشارات وبركات.

ففيها: قصة أهل الكهف ، من أول قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إلى قوله تعالى:
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِغُوا لَهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (١١٣٣).

(١١٣٣) سورة الكهف من الآية ٩ - ٢٦ .

وفيها: قصة الرجلين اللذين جعل الله تعالى لأحدهما جنتين من أعناب ..
وما دار بينه وبين أخيه المؤمن من حوار .. وذلك من أول قوله تعالى:

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحدهمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰئِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (١١٣٤)

وفيها: مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، من أول قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١١٣٥)

وفيها: قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام ..
من أول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَكَّرْتُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (١١٣٦)

وفيها: قصة ذى القرنين .. وما كان من أمره مع يأجوج ومأجوج الذين كانوا قد أفسدوا فى الأرض .. فطلبَ منه أن يبني بينهم وبين قوم سدَّا .. وذلك من أول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (١١٣٧)

هذا بالإضافة إلى تلك الآيات التى فى أول السورة والتى قبل تلك القصص وبعدها .. والتى تتعلق ببعض الأمور الدنيوية والأخروية التى ينبغى أن لا يغفل المؤمن عنها .. حتى لا يضل أو يزل . (وأما) عن الآيات الأخيرة من سورة الكهف (١١٣٨) ، وهى التى من قرأها حين يأخذ مضجعه من فراشه حُفِظَ وَبُعِثَ

(١١٣٤) من الآية ٣٢ - ٤٤ .

(١١٣٥) من الآية ٤٥ - ٤٦ .

(١١٣٦) من الآية ٦٠ - ٨٢ .

(١١٣٧) من الآية ٨٣ - ٩٨ .

(١١٣٨) من الآية ١٠٧ - ١١٠ .

من أى الليل شاء ، فهى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمُرُّونَ فِيهَا حَوْلًا * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٍ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

(إننى) أحبُّ أن أطمئن الأخ القارئ بأن هذا المشار إليه فى الحديث بالنسبة لهذا البعث من النوم من أى الليل شاء .. (قد) حدث كثيراً لكثير من الإخوة الذين جربوه .. (وأنا) شخصياً كنتُ أُجربُ هذا .. فى صباى .. أيام كنت طالباً للعلم .. لقد كنتُ أقرأ تلك الآيات .. ثم أسأل الله تعالى .. أن يوقظنى فى الوقت الذى أُحدده فى أى وقت من أوقات الليل .. أو عندما يحين وقت صلاة الفجر .. فكنتُ أستيقظ فعلاً فى الوقت الذى أشاء .. بقدره الله تعالى .. (فليجرب) الأخ القارئ هذا الذى أكدته بتلك النية .. والله المستعان .. وهو سبحانه على كل شىء قدير .

(هذا) ، وإذا كان لى بعد ذلك أن أركِّزَ على أمر هام يتعلق بقراءة سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة بصوت مرتفع .. (فقد) جاء فى كتاب «الإبداع فى مضار الابتداء»^(١١٣٩)، ما نصه^(١١٤٠): (ومن البدع): قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع كترجيع الغناء ، والناس ما بين راع وساجد وذاكر وقارئ ومتفكّر .. وناهيك ما يكون من العوام من رفع أصواتهم استحساناً لألحان القارئ من غير مبالاة بحرمة المكان والقرآن ، وهذا كلُّه مذموم لا يحل لوجوه:

أولاً: أن فيه تشويشاً على المتعبدين وهو حرام بالإجماع.

ثانياً: فيه رفع أصوات فى المسجد لغير حاجة شرعية - وقد ورد النهى عنه،

(١١٣٩) لفضيلة الشيخ على محفوظ عليه رحمة الله .. وقد كان من كبار العلماء .. وقد كان كتابه هذا مقرواً فى السنة الأولى والثانية لقسم الوعظ والخطابة بالأزهر الشريف .

(١١٤٠) ص ٧٩ وما بعدها .

قال ﷺ: (لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن) وقال عليه الصلاة والسلام للإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه: (يا على، لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يُصلى الناس، فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم) . وفى الدر المختار: يحرم رفع الصوت فى المسجد إلا للمتفقهة ^(١١٤١) . وقال ابن العماد الشافعى رحمه الله: تحرم القراءة جهراً على وجه يُشوّش على نحو مُصلٍّ .

ثالثاً: كونه مخالفاً لما كان فى زمن النبى ﷺ وزمن أصحابه فمن بعدهم، وصحّ أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن لاسيما فى المساجد .. فإذا كان معه تشويش لا يُشك فى التحريم .

فعلى الأخ المسلم .. إذا أراد أن يقرأ سورة الكهف ^(١١٤٢) يوم الجمعة أو غيره .. فى المسجد أن يلاحظ كل هذه الأحكام .. حتى تكون قراءته سراً .. وبدون تشويش على نحو مُصلٍّ .. حتى لا يرتكب محرماً .. وعليه أيضاً أن يقرأ سورة الكهف ويدرس كل ما فيها من القصص الذى أشرت إليه .. حتى ينتفع بكل ما فى تلك السورة من إشارات وبركات .. والله ولى التوفيق،،

(٧٨) ما هو جزاء من يُصلى عليه أمة من المسلمين .. يا رسول الله؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من ميت ^(١١٤٣) يُصلى عليه أمة ^(١١٤٤) من المسلمين يبلغون مائة ^(١١٤٥) كلهم يشفعون له ^(١١٤٦))

(١١٤١) أى: الذين يجلسون فى المساجد لإلقاء دروس وعظية أو فقهية .

(١١٤٢) أو غيرها من سور القرآن الكريم .

(١١٤٣) يعنى: من المسلمين رجلاً كان أو امرأة .

(١١٤٤) أمة ، أى جماعة ، قال تعالى: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ .

(١١٤٥) أى: يكمل عددهم مائة حتى ولو كان بعضهم صبياناً ونساءً .

(١١٤٦) أى: يدعون لهم بالمغفرة والرحمة .

إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ (١١٤٧).

[رواه مسلم والنسائي والترمذي، وعنده: مائة فصا فوقها (١١٤٨)]

وعز كُرَيْب (١١٤٩): أن ابن عباس رضي الله عنهما مات له ابن بقديد أو بعسفان (١١٥٠) فقال: يا كُرَيْب انظر ما اجتمع له من الناس (١١٥١)؟ قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا، فأخبرته، فقال: تقول هم أربعون (١١٥٢)؟ قال: قلت: نعم، قال: أخرجوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته (١١٥٣) أربعون رجلاً لا يشركون بالله (١١٥٤) شيئاً إلا شَفَعَهُمُ اللهُ فيه).. [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه]

فهي هذين الحديثين الشريفين يجيب النبي ﷺ على هذا الاستفسار التوجه إليه .. فيبشرنا بأن الميت الذي يصلى على جنازته أمة من المسلمين يبلغون مائة .. أو أربعين - كما في الحديث الثاني - لا يشركون بالله شيئاً إلا شَفَعَهُمُ اللهُ فيه أى: يوم القيامة.

وعن مالك بن هُبَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف (١١٥٥) من المسلمين إلا أوجب (١١٥٦) وكان مالك إذا استقل أهل الجنازة (١١٥٧) جرّاهم (١١٥٨) ثلاثة صفوف لهذا الحديث . [رواه أبو داود واللفظ له، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن]

(١١٤٧) بالبناء تلمجول ، أى: إلا قبل الله شفاعتهم واستجاب دعاءهم له .

(١١٤٨) أى: فما أزيد منها .

(١١٤٩) هو يضم الكاف وفتح الراء على التصغير مولى لابن عباس .

(١١٥٠) وهما موضعان بين مكة والمدينة .

(١١٥١) أى: انظر عدد المجتمعين من الناس لتشيع الجنازة .

(١١٥٢) يعنى: أتظن أنهم بلغوا أربعين .

(١١٥٣) أى: يُصلى عليها .

(١١٥٤) أى: كلهم على التوحيد الكامل البريء من كل أعمال الشرك .

(١١٥٥) يعنى: أيّاً كان عدد الصف .. فلو كانوا ستة مثلاً جعل كل صف اثنين .. وهكذا .

(١١٥٦) أوجب .. أى: استحق دخول الجنة بصلاتهم عليه .

(١١٥٧) يقال: استقله إذا وجده قليلاً أو اعتبره قليلاً .

(١١٥٨) أى: فرّقهم .

وعلى هذا .. فإنه من الخير لنا أن نحصر على حضور صلاة الجنازة.. وأن نكون أيضاً فى نفس الوقت من الحريصين على تحقيق السنة فيها .. (وقد قرأت فى (فقه السنة) أنه من السنة: أن يقوم الإمام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة.. وأنه إذا اجتمع أكثر من ميت وكانوا ذكوراً أو إناثاً صُفُّوا واحداً بعد واحد بين الإمام والقبلة ليكونوا جميعاً بين يدى الإمام ، ووضع الأفضل مما يلي الإمام ، وصلى عليهم جميعاً صلاة واحدة .. وإن كانوا رجالاً ونساءً جاز أن يصلى على الرجال وحدهم والنساء وحدهم، وجاز أن يصلى عليهم جميعاً، وصُفَّ الرجال أمام الإمام ، وجُعِلت النساء مما يلي القبلة .. وأن الصبى إذا صلَّى عليه مع امرأة كان الصبى مما يلي الإمام ، والمرأة مما يلي القبلة .. وإن كان فيه رجال ونساء وصبيان .. كان الصبيان مما يلي الرجال .. ومن سبق فى صلاة الجنازة بشيء من التكبير استحَب له أن يقضيه متتابعاً .. فإن لم يقض فلا بأس .. مع ملاحظة أن:

كيفية صلاة الجنازة

أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناوياً الصلاة على مَنْ حضر من الموتى رافعاً يديه مع تكبيرة الإحرام، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع فى قراءة الفاتحة، ثم يُكَبِّرُ ويُصَلِّي على النبى ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم.

هذا مع ملاحظة:

أن النية ركن .. وأن محلها القلب ، وأن التلفظ بها غير مشروع .

وأن القيام للقادر عليه - فى صلاة الجنازة - ركن عند جمهور العلماء .. فلا

تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه ركباً أو قاعداً من غير عذر ..

وكذلك من أركانها: التكبيرات الأربع .. وأنه من السنة عدم رفع اليدين فى

صلاة الجنازة ، إلا فى أول تكبيرة فقط، لأنه لم يأت عن النبى ﷺ أنه رفع فى

شئ من تكبيرات الجنازة إلا فى أول تكبيرة فقط - كما قال الإمام الشوكانى.

ومن أركانها: قراءة الفاتحة ، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ سرّاً - ومذهب أبي حنيفة ومالك أنهما ليسا ركنين - ورأى الجمهور أن القراءة والصلاة على النبي والدعاء والسلام: يُسن الإسرار بها إلا بالنسبة للإمام فإنه يُسن له الجهر بالتكبير والتسليم: للإعلام .. (ومن) حُجج القائلين بفرضية القراءة: أن الرسول ﷺ سماها صلاة بقوله: (صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ) وقال: (لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ) . (وتُؤدَّى) الصلاة والسلام على رسول الله بأى صيغة ، ولو قال: اللهم صلّ على محمد، لكفى - واتباع المأثور أفضل ، مثل: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد) ويؤتى بها بعد التكبيرة الثانية كما هو الظاهر ، وإن لم يرد ما يدل على تعيين موضعها.

ومن أركانها المتفق عليها: الدعاء للميت لقوله ﷺ: (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلَصُوا لَهُ الدَّعَاءَ) (١١٥٩) ، ويتحقق بأى دعاء مهما قلّ ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعوة من الدعوات المأثورة التى منها: (اللهم اغفر له وارحمه ، واعف عنه وعافه ، وأكرم نُزله، ووسّع مُدخله ، واغسله بماءٍ وتلج وبرّد ، ونقّه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدُّنس ، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجته، وقه فتنة القبر وعذاب النار) (١١٦٠) ، فإذا كان المُصلّى عليه طفلاً استحَب أن يقول المُصلّى: (اللهم اجعله لنا سلفاً وقرطاً ودُخْرًا) (١١٦١).

قال النووي: وإن كان صبياً أو صبياً اقتصر على ما فى حديث: (اللهم اجعله فرطاً لأبويه، وسلفاً ودُخْرًا ، وعظة واعتباراً وشفيعاً ، وثقل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلوبهما ، ولا تفتنهما بعده ، ولا تحرمهما أجره)

(١١٥٩) رواه أبو داود والبيهقى وابن حبان وصححه .

(١١٦٠) رواه مسلم .

(١١٦١) رواه البخارى والبيهقى من كلام الحسن . (فقه السنة) ج ٤ .

قال الشوكاني: واعلم أنه لم يرد تعيين موضع هذه الأدعية .. فإذا شاء المصلى جاء بما يختار منها دفعة ، إما بعد فراغه من التكبير أو بعد التكبير الأولى أو الثانية أو الثالثة ، أو يفرقه بين كل تكبيرتين، أو يدعو بين كل تكبيرتين بواحد من هذه الأدعية ، ليكون مؤدياً لجميع ما روى عنه ﷺ . قال: والظاهر أنه يدعو بهذه الألفاظ الواردة في هذه الأحاديث، سواء كان الميت ذكراً أو أنثى ، ولا يُحوّل الضمائر المُذَكَّرَة إلى صيغة التأنيث، إذا كان الميت أنثى ، لأن مرجعها الميت . وهو يُقال عن الذكر والأنثى .

ويُستحب الدعاء بعد التكبير الرابعة ، وإن كان المصلى دعا بعد التكبير الثالثة. قال الشافعي: يقول بعدها: (اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتننا بعده) وقال ابن أبي هريرة: كان المتقدمون يقولون بعد الرابعة: (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

والسلام متفق على فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة القائل بأن التسليمتين يميناً وشمالاً واجبتان وليستا ركنين: واستدلوا على الفرضية بأن صلاة الجنازة صلاة ، وتحليل الصلاة التسليم . وقال ابن مسعود: التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة . (وأقله): السلام عليكم ، أو: سلام عليكم (وذهب) أحمد إلى أن التسليم الواحدة هي السنة، يسلمها عن يمينه، ولا بأس إن سلم تلقاء وجهه، استدلالاً بفعل رسول الله ﷺ ، وبفعل الأصحاب الذين كانوا يُسلمون تسليمية واحدة، ولم يُعرف لهم مخالف في عصرهم. (واستحب) الشافعي تسليمتين، يبدأ الأولى مُلتفتاً إلى يمينه ، ويختم بالآخرى ملتفتاً إلى يساره . قال ابن حزم: والتسليمية الثانية ذكر وفعل خير (١١٦٢) .

فعلى الأخ المسلم .. أن يلاحظ كل هذا .. وينفذه على أساس من هذا الفقه الذي كان لا بد أن يقف عليه حتى يكون من الذين أراد الله بهم خيراً .. وحسبه كذلك أن يكون حريصاً على حضور مثل هذا الخير الذي ينبغي أن يكون موعظة

(١١٦٢) ارجع: إلى تفصيل كل هذا في (فقه السنة) ج ٤ . وكذلك في (الدين الخالص) ج ٧ ص ٢٨٦ وما بعدها .

له .. (بمعنى) أن يتصور نفسه مكان هذا المُصَلَّى عليه .. والذي كان قبل موته مثله يغدو ويروح.. وله آمال عراض .. وربما كان فى غفلة عن هذا الموت الذى طرق بابه دون موعد سابق.. لأن الموت يأتى بغتة.. وهو من الغيبات التى لا بد أن نؤمن بها دون أن نسأل عن موعتها .. وحسبنا أن نفهم المراد من قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١١٦٣) مع ملاحظة كذلك أننا جميعاً وبدون استثناء فى الطريق إلى الله تعالى - لا أقول من الآن - ولكن من يوم أن وُلدنا .. كما يقول لقمان الحكيم لولده: (يا بنى، إنك مُنذُ نزلت إلى الدنيا استُدبرْتها واستقبلت الآخرة .. فدار أنت إليها تسيرُ أقرب من دار أنت عنها ترحل) .

ولله دَرٌّ مَنْ قال:

كل ابنِ أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة (١١٦٤) حدياءَ محمولٍ
نسأل الله تعالى أن يختم لنا جميعاً بالإيمان .. اللهم آمين،،

(٧٩) مَنْ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

.. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ، ورواه أبو يعلى وزاد فيه: (وَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ لَمْ يُبَالِ) (١١٦٥) به .

ورواه الطبرانى فى الكبير ، ولفظه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناسُ، إنما العلمُ بالتَّعَلُّمِ، والفقهُ بالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١١٦٦) [وفى إسناده رأو لم يُسَمِّ]

(١١٦٣) النحل: من الآية ٦١ .

(١١٦٤) والآلة هى النعش الذى يُحمل الميت عليه .. أو فيه .

(١١٦٥) يعنى: لم يكثرث به ، وكان عند ربه حقيراً صغيراً كالشئ الذى لا يعاب به .

(١١٦٦) كما قال تعالى فى نص الآية رقم ٢٨ من سورة فاطر .

وعن عبد الله ، يعنى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله **يعبد خيراً ففقهه في الدين، واللهه رُشدَه**) .

[رواه البزار والطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به]

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضلُ العبادةِ الفقهُ، وأفضلُ الدينِ الورعُ^(١١٦٧)).

[رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة ، وفي إسناده محمد بن أبي ليلى]

وعن سعيد بن عفير ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:

(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي ، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ) [أخرجه البخاري في باب من يرد الله به خيراً يفقهه]

ففي كل هذه الأحاديث الشريفة ، والصحيحة منها بصفة خاصة .. يشير النبي ﷺ إلى فضيلة الفقه في الدين وأهميته .. (وذلك) لأنه بدون الفقه في الدين لن تكون العبادة صحيحة .. لأن الفقه هو نظام العبادة وأساسها .. (وأيضاً) لأن الفقه في الدين هو البصر النافذ، وحسن الفهم لمقاصد الشريعة ، وجودة استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فبيِّن الحلال منها والحرام، والمفروض والمسنون ، والمستحب والمكروه، ويبين الشروط التي يجب توفرها في صحة العبادات والمعاملات ، والأمور التي تؤدي إلى إفسادها ، وغير ذلك ..

(ويكشف) من وراء ذلك كلُّه عن حقيقة الإسلام وسماحته ويُسرهِ، ومرونته، ويُقيم الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان ، وأنه الدين الذي لا تستقر الحياة إلا به ، ولا تستقيم الأمور بدونهُ مهما حاول المغرضون الملحدون أن يحطوا من شأنه ، ويُشكِّكوا في تعاليمه .. كما يقول صاحب كتاب (الفقه الواضح) أكرمه الله في الجزء الأول.

(١١٦٧) وهو البعد عن الشبهات والاعتصار على الحلال الطيب .

ثم يقول: فدين الله حق وقوله فصل، وحكمه عدل، والحق أحق أن يتَّبَع ، قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٦٨).

فعلم الفقه يُرينا كيف يَسْمُو الإسلام بأتباعه، بل وبغير أتباعه إن هم طبَّقوا تعاليمه ، وأفادوا من نُظمه وسُنَّته فى شَتَّى نواحي الحياة .
وبالجملة فإن علم الفقه هو علم الحياة .

وإن حاجة الناس إلى علم الفقه كحاجتهم إلى الحياة نفسها .. ثم يقول: من هنا ، كان طلبه من أوجب الواجبات .. (ولهذا) فقد دعا النبى ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بدعوة كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها ، فقال: (اللهم فَفِّهه فى الدينِ، وَعَلِّمه التَّأويلَ)، أى: علِّمه أحكام الدين وحُكمه ، وتفسير القرآن الكريم ، وبيان معانيه وعبره.

وقد أشار صاحب (الدين الخالص) عليه رحمة الله ، فى الجزء الأول .. إلى ملاحظات هامة تتعلق بعلم الفقه ، فقال تحت عنوان:

علم الفقه

وهو (لغة): الفهم . و(اصطلاحاً): العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية (وموضوعه): فعل المكلف من حيث إنه مكلف. وخطاب صاحب البهيمه بما أتلفته لتفريطه، وأمر الصبى بالصلاة ليعتادها ، وثوابه على الطاعة لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (١١٦٩) وفى حديث ابن عباس: ففرغت امرأة فأخذت بعضد صبى، فقالت: يا رسول الله هل لهذا حج؟ قال: (نعم ولك أجر) (١١٧٠).

[أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى]

(١١٦٩) الكهف: ٣٠ .

(١١٦٨) المائدة: ٥٠ .

(١١٧٠) (نعم) أى: للصبى ثواب الحج (ولك أجر) أى: حملها الصبى وتحملها المشاق من أجله . وهذا كالصلاة والصوم يؤمر بهما إذا أطافهما ويكتب له الأجر تفضلاً . ويكتب لمن يأمره بالطاعة ويرشده إليها أجر .. انظر: ص ٢٧٧ ج ١٠ المنهل العذب المورود.

وعدم مؤاخذة الصبي بالمعصية لعدم تكليفه .. روى على ﷺ أن النبي ﷺ قال: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ) .

[أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه]

(وثمرته): الفوز بسعادة الدارين لمن تعلمه وعمل به (وواضعه): الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، فإنه أول من دَوَّنَ الفقه ورَتَّبَ أبوابه، وتبعه الإمام مالك رضي الله عنه في موطنه.

(ولهذا) كان لا بد أن يدرس علم الفقه بصفة خاصة .. ولا سيما بالنسبة لما تدعو الحاجة إليه من المباحث المتعلقة بالعبادات ، التي هي: الصلاة ، والزكاة ، والصيام، والحج .. مع ضرورة دراسة كل ما يتعلق بتلك الأركان من أحكام .. ولا سيما بالنسبة للصلاة التي هي ثانياً أركان الإسلام الخمسة ، وأفضل العبادات .. (ولها) شروط صحة لا تُقبل إلا بها ، وأولاًها بالتقديم: الطهارة.. وهي بفتح الطاء لغة النظافة والتنزه عن الأذناس ولو معنوية كالعيوب والذنوب، وبالكسر: ما يتطهر به من الماء ونحوه ، وبالضَّمِّ: اسم لما بقى من الماء بعد التطهر . (وشرعاً): النظافة من النجاسة حقيقية كالخبث، وحكمية وهي الحدث، أو يقال: هي صفة حكمية يستباحُ بها ما منعه الحدث أو حكم الخبث.

(هذا) بالإضافة إلى كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات .. والعبادات .. من أحكام لا بد أن يكون الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. على علم بها .. وذلك لأن الجهل بها ليس عذراً مقبولاً عند الله تبارك وتعالى.

(ولهذا) فقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**طَلِبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** ^(١١٧١)) ، **وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَقْلَدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالذَّهَبِ**) [رواه ابن ماجه وغيره]

(١١٧١) قال العلماء: ومسلمة .. تبعاً للمسلم الذي هو ولي أمرها الطالب بأن يُعلمها أمور دينها، وإلا فإنه سيُسأل عن كل هذا يوم القيامة .. عندما ستعلق برقبه وهي تقول: يا رب خذ لي حقي منه لأنه لم يعلمني .

وعن أبي هريرة رضي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها) ^(١١٧٢) إلا ذكرُ الله، وما والاه ^(١١٧٣)، وعالمًا ومتعلمًا) .

[رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والبيهقى ، وقال الترمذى: حديث حسن]

(وعلى هذا) ، فإنه من الخير للأخ المسلم .. أن يكون طالبًا للعلم النافع،
(فعن) جابر رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (العلمُ علمان: علمٌ فى القلب ^(١١٧٤): فذاك العلمُ النافعُ، وعلمٌ على اللسان ^(١١٧٥): فذاك حجةُ الله على ابن آدم ^(١١٧٦)).

[رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن

عبد البر النمري فى كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح]

(وعن) أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة ..) [الحديث رواه مسلم وغيره]
(وعن) زرّ بن حبّيش قال: أتيتُ صفوانَ بن عَسَّالِ المرادى رضي عنه قال: ما جاء بك؟ قلت: أنبِط العلم ^(١١٧٧) . قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: (ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلمِ إلا وضعتُ له الملائكةُ أجنحتها رِضًا بما يصنع)

[رواه الترمذى وصححه، وابن ماجه واللفظ له ،

وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال : صحيح الإسناد]

(وروى) عن أنس بن مالك رضي عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخَيْفِ من منى فقال: (نُضِرَّ اللهُ امرأً سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وبلغها من لم

(١١٧٢) أى: بما يلهى ويبعد عن ذكر الله عز وجل من متاعها وزينتها .

(١١٧٣) من الموالاة وهى الموافقة والطاعة .

(١١٧٤) بأن يكون العالم مؤمنًا بما يقول وعاملًا به ، فيكون قلبه كالارض الطيبة قبلت الماء فانبت الكلا والعشب الكثير .

(١١٧٥) وذلك علم النافع الذى لا ينتفع بعلمه، ولكنه يسكه لينتفع به الناس .

(١١٧٦) حيث يسأله عن علمه لماذا لم يعمل به ، وقد كان يعلمه للناس، فأسعد الناس وأشقى نفسه .

(١١٧٧) أى: أطلبه وأستخرجه .

يسمعا ، ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها . ألا فرُبَّ حاملِ فقه لا فقه له ،
ورب حاملِ فقه إلى مَنْ هو أفقه منه) [الحديث رواه الطبراني في الأوسط]
وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ أى:
لا ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله ﷺ وحده (١١٧٨) ﴿قُلْ لَّا
نَفَرْنَا مِنْكُمْ فِرْقَةً مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ أى: فهلاً نفر من كل جماعة كثيرة فئة وطائفة قليلة
﴿لِيَتَّقُوا فِي الدِّينِ﴾ أى: ليتفقه الخارجون للجهاد ، بما يعاينون من نصر الله ،
لأهل دينه وأصحاب رسوله (١١٧٩) ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَحْذَرُونَ﴾ (١١٨٠) أى: وليحذروا قومهم أن ينزل بهم عذاب الله كما نزل
بالمشركين، لعلهم يؤمنون بالله ورسوله.

وعلى هذا ، فإنه على الأخ المسلم .. أن يحرص كل الحرص على أن يكون من
المتفقيين فى دينهم .. إذا أراد أن يكون من الذين يريد الله تعالى بهم خيراً ..
وحسبه أن يذكر بالإضافة إلى ما وقف عليه من الأحاديث الشريفة ، قول
الرسول ﷺ: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) (١١٨١) .

(وقد قرأت توضيحاً لهذا، (عن) مجاهد رضي الله عنه قال: بينا نحن أصحاب ابن
عباس حلقاً فى المسجد (طاووس، وسعيد بن جبير ، وعكرمة) وابن عباس قائم
يصلى ، إذ وقف علينا رجل ، فقال: هل من مُفتٍ ؟ فقلنا: سل . فقال: إني كلما
بُلتُ تبعه الماء الدافق. قلنا: الذى يكون منه الولد؟ قال: نعم. فقلنا: عليك الغسل.
فولَّى الرجل وهو يُرجع، أى يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وعجلَّ ابن عباس فى صلاته ، ثم قال لعكرمة: علىَّ بالرجل.. وأقبل علينا

(١١٧٨) نهى الله المؤمنين أن يخرجوا فى غزو و جهاد ، ويتركوا رسول الله وحيداً لتلاً يطمع فى الاعتداء
عليه أحد من الكفار .. فنزلت الآية .

(١١٧٩) هكذا اختار الطبرى فى تفسير الآية ، واختار غيره أن المعنى: ليتفقه القاعدون من النبى ﷺ
أمور الدين ، ليُعلموا المجاهدين إذا رجعوا إليهم ما تفقهوه من رسول الله ، وهذا اختيار ابن كثير
وجمهور المفسرين وهو الأرجح .

(١١٨٠) التوبة ١٢٢ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

(١١٨١) رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى .

يعنى ابن عباس) فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله؟ قلنا: لا . فعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا . قال: فَعَمَّه (أى فَعَمَّن) ؟ قلنا: عن رأينا . قال: فلذلك ، قال رسول الله ﷺ: (فقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدٍ) .. وجاءه الرجل .. فأقبل عليه ابن عباس ، فقال: أرأيتَ إذا كان ذلك منك، أتجد شهوةً فى قُبُلِكَ؟ قال: لا . قال: فهل تجد خدرًا فى جسدك؟ قال: لا . قال: إنما هذه أبردَةٌ، يجزيك منها الوضوء (١١٨٢) .. اهـ .

فلينتفع الأخ المسلم.. بهذا الخير الذى أرجو أن يكون سببًا فى حرصه على التفقه فى الدين .. والله ولى التوفيق،،

(٨٠) أخبرنى بأحبِّ الكلامِ إلى الله .. يا رسول الله؟

عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أُخْبِرُكَ بأحبِّ الكلامِ إلى الله (١١٨٣)؟) قلت: يا رسول الله أخبرنى بأحبِّ الكلامِ إلى الله (١١٨٤)؟ فقال: (إن أحبَّ الكلامِ إلى الله: سبحان الله وبحمده)

[رواه مسلم والنسائى والترمذى إلا أنه قال: (سبحان ربِّى وبحمده) (١١٨٥)]

وقال: حديث حسن صحيح

وفى رواية مسلم: أن رسول الله ﷺ سئل: أى الكلامِ أفضلُ؟ (١١٨٦) قال: (ما اصطفى الله لملائكته (١١٨٧)، أو لعباده (١١٨٨): سبحان الله

(١١٨٢) أى: رطوبية، يكفيك منها الوضوء .

(١١٨٣) أى: بأقربه إلى نفسه سبحانه وأشدّه إرضاء له .

(١١٨٤) إنه قد أعاد كلمات السؤال إظهاراً لشدة رغبته فى ذلك .

(١١٨٥) والإتيان باسم الرب هنا فى هذه الرواية مشعر باستحقاقه سبحانه الحمد على نعمه التى يربى بها عباده بكل أنواع التربية الروحية والجسمية .

(١١٨٦) أى: أعظم درجة عند الله وأكثر ثواباً لقائله .

(١١٨٧) يعنى: ما اختاره لهم من أنواع الذكر وأمرهم أن يذكروه به .

(١١٨٨) أو شك من الراوى .

وبحمده (١١٨٩)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غُفِرَ له ذنوبه (١١٩٠) ، وإن كانت مثل زبد البحر (١١٩١)). [رواه مسلم والترمذى والنسائى]

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر: أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس (١١٩٢)) [رواه مسلم والترمذى]

وعن سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يَضُرُّكَ بآيَهُنَّ بَدَأَتْ) (١١٩٣) .

[رواه مسلم وابن ماجه والنسائى ، وزاد: (وَهُنَّ مِنَ الْقُرْآنِ) (١١٩٤)]

ورواه النسائى أيضاً ، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من هذه الأحاديث .. حتى يكونا من المكثرين من التسبيح .. والتحميد .. والتلهيل .. والتكبير .

وحسبهما أن يكونا بهذا كله - إن شاء الله - قد فازا بمغفرة الله تعالى لهما ذنوبهما (وإن كانت مثل زبد البحر)، وأنهما أيضاً قد فازا بسبب هذا بثواب الذاكرين والذاكرات المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِماً﴾ (١١٩٥) .

(١١٨٩) أخرجه مسلم فى صحيحه (حديث ٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء .

(١١٩٠) وفى رواية (حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ) .

(١١٩١) وهو ما يعلوه عند هياج أمواجه من الرغوة .

(١١٩٢) أى: أحب إلى الدنيا وما فيها .

(١١٩٣) يعنى: لا ينقص شيئاً من أجرهن أن تأتي بهن على غير الترتيب الموجود فى الحديث، وذلك لأن

المقصود هو الإتيان بهن جميعاً على أى وجه فى التقديم والتأخير .

(١١٩٤) يعنى: مذكورات فى القرآن .

(١١٩٥) الأحزاب من الآية ٣٥ .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل هذا الأجر العظيم الذى أعده لهم فى جنته .. اللهم آمين،،

(٨١) هل للموتِ علاماتٌ . . يا رسولَ الله؟

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ارقبوا الميتَ عند وفاته ، فإذا دُرِفَت عيناها ورشح جبينه وانتشر منخراه: فهي رحمة من الله قد نزلت. وإذا غَطَّتْ ^(١١٩٦) غطيط البكر ^(١١٩٧) المخنوق، وكَمَدَ لونه ، وأزُيِدَ شدَقَاهُ: فهو عذاب من الله قد نزل به). [أخرجه الحكيم الترمذى] ^(١١٩٨)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمنُ يموتُ بعرقِ الجبينِ) [أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير نحوه فى حديث طويل رجاله ثقات رجال الصحيح] ^(١١٩٩)

(وهذا) يدل ^(١٢٠٠) على أن عرق الجبين يكون لما يعالج من شدة الموت (وقيل): إنه يكون من الحياء لأن المؤمن إذا جاءته البشرى مع ما كان قد اقترف من الذنوب: حصل له بذلك خجل واستحياء من الله تعالى ، فيعرق بذلك جبينه . فالعرق إنما يكون لمن حَلَّتْ به الرحمة ، فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا برّاً إلاً وهو يستحى من ربه مع البشرى والإكرام (وقيل): إن عرق الجبين علامة لموت المؤمن وإن لم يعقل معناه ^(١٢٠١) .

(١١٩٦) (الغط): ترديد الصوت حيث لا يجد مساعاً (وأزيد الشدق) أى: خرج منه ما يشبه الزبد.

(١١٩٧) البكر بالفتح: القَتِيُّ من الإبل .

(١١٩٨) انظر: ص ٥٩ ج ٧ الفتح الربانى (ما جاء فى المحتضر) ، ص ٢٥٩ ج ١ مجتبى (علامات موت

المؤمن) ، ص ٢٢٩ ج ١ - ابن ماجه (المؤمن يؤجر فى النزاع) ، ص ١٢٨ ج ٢ تحفة الأحوذى .

(١١٩٩) انظر: ص ٣٢٥ ج ٢ مجمع الزوائد (موت المؤمن وغيره) وزيادة الكبير: يبقى عليه البقية من

الذنوب فيجازى بها عند الموت أو يُشدد عليه ليتمحص عنه ذنوبه .

(١٢٠٠) كما جاء فى (الدين الخالص) ج ٧ ص ١٦٧ وما بعدها بتصرف .

(١٢٠١) انظر: ص ٢٥٩ ج ١ زهر الربى للسيوطى .

فعلني الأخ المسلم .. والأخت المسلم .. أن يلاحظ كل هذا .. حتى يتعظا به ..
وحتى يسألوا الله تبارك وتعالى .. حَسُنَ الخاتمة .. اللهم آمين ..

(٨٢) ما هو شرك السرائر .. يا رسول الله ؟

عن محمود بن لبيد رضي عنه ، قال: خرج النبي ﷺ فقال: (يا أيها الناس: إياكم
وشرك السرائر) قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر ^(١٢٠٢)؟ قال: (يقوم
الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً ^(١٢٠٣)) لما يرى من نظر الناس إليه،
فذلك شرك السرائر) .

وعن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري رضي عنه ، عن أبيه عن جده ،
قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال ، فقال:

(ألاً أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال) فقلنا: بلى
يا رسول الله ، فقال: (الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته
لما يرى من نظر رجل) [رواه ابن ماجه والبيهقي]

وكذلك رواه الإمام أحمد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا
كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده
بنحو هذا الحديث، إلا أنه قال: (الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان
الرجل) .

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة ، وكان من الصحابة - رضي الله عنهم - قال:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا جمع الله الأولين والآخرين - ليوم لا ريب
فيه - نادى مُناد: مَنْ كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ،
فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك) .

[رواه الترمذي في التفسير من جامعه ، وابن ماجه]

وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي . وكذلك رواه الإمام أحمد]

(١٢٠٢) السرائر: جمع سريرة وهي السر الذي يكتم . وما يسره الإنسان من أمره والنية، يقال: (هو

طيب السريرة) أى: سليم القلب صافى النية .

(١٢٠٣) أى: مجتهداً في ذلك ومهتمًا به .

فمن خلال كل تلك الأحاديث الشريفة بكل ما تحويه من تحذيرات .. نستطيع أن نتصور جميعاً مدى خطورة هذا الشرك الخفى الذى كان ولا يزال سبباً فى كل ما نعانیه من انحطاطات حسية ومعنوية .. وأعنى بهذا أن أكثر هؤلاء الذين ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بهذا الداء الدفين .. أصبحوا لا همّ لهم إلا أن يرضى الناس عنهم .. أو أن يتحدثوا عنهم بما تطيب به نفوسهم وتتعالى بتلك الصورة التى تؤكد أنهم ليسوا من الطراز الذى تحدّث الله سبحانه وتعالى عنه فى قوله: ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٢٠٤).

وإنما هم من الطراز السفلى الآخر الذى تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (١٢٠٥)، فهم بهذا النفاق الذى كان سبباً فى انحدارهم إلى تلك الهوّة السحيقة: أصبحوا لا همّ لهم إلا أن يرضى الناس عنهم .. مع أنه من المفروض أن يكون العكس هو الصحيح .

(فعن) رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبى إلى كتاباً توصينى فيه ولا تُكثرى على .. فكتبت عائشة إلى معاوية .. سلام عليك ، أما بعد: فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ التمسَ رضاَ اللهِ بسَخَطِ الناسِ كفاه) (١٢٠٦) الله مؤنة الناس ، ومن التمسَ رضاَ الناسِ بسَخَطِ الله وكلّه اللهُ إلى الناسِ) والسلام عليك . [رواه الترمذى ولم يُسمِّ الرجل]

(١٢٠٤) النور: ٣٧ ، ٣٨ .

(١٢٠٥) البقرة: ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(١٢٠٦) أى: عصمه الله منهم وحفظه .. (وقوله) ووكله الله إلى الناس ، وكف عنه معونته وكفاه بذلك عقاباً .. والسخط: الغضب وهو ضد الرضا .

(وعن) جابر بن عبد الله رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا
بِمَا يُسَخِّطُ بِهِ رَبَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ اللَّهِ) (رواه الحاكم)

(وعن) ابن عباس رضي عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَسَخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا
النَّاسِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ، وَمَنْ أَرْضَى
اللَّهُ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسَخَطَهُ فِي رِضَاهُ
حَتَّى يُزِينَهُ وَيُزِينِ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ) [رواه الطبراني بإسناد جيد قوى]
وقد قال الله تعالى مشيراً إلى كل هذا في قرآنه:

﴿أَتَخَشَوْنَهُمْ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠٧)

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوهُمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (١٢٠٨)

﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (١٢٠٩)

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (١٢١٠)

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يكونا إن شاء
الله تعالى من أهل الإخلاص .. بل وحتى لا يكونا من أهل الشرك الأصغر - أو
الخفي - ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٢١١). وليكن شعارهما دائماً
وأبداً هو قول الله تعالى: ﴿.. إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسِيتُ وَمَحَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •
لَا شَرِيكَ لَهُ ..﴾ (١٢١٢). والله ولي التوفيق ..

(١٢٠٧) التوبة: من الآية ١٣ .

(١٢٠٨) المائدة: من الآية ٤٤ .

(١٢٠٩) الأحزاب: من الآية ٣٧ .

(١٢١٠) النساء: ١٠٨ .

(١٢١١) النساء: من الآية ١٤٢ .

(١٢١٢) الأنعام: من الآية ١٦٢ - ١٦٣ .

(٨٢) هَدَانَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . . . عَنِ الرَّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتَ فِيهَا بَعْضَ أَهْلِ النَّارِ . . . وَبَعْضَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هِيَ حَقٌّ فاعقلوها: أتاني رَجُلٌ، فأخذ بيدي، فاستتبعني حتى أتى بي جبلاً طويلاً وَعَرَا، فقال لي: ارقه. فقلتُ: لا أستطيع، فقال: إِنِّي سَأَسْهَلُهُ لَكَ، فجعلتُ كُلَّمَا رَقَيْتُ قَدَمِي وضعتها على درجة حتى استَوَيْتَنَا على سواءِ الجبلِ، فانطلقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُشَقَّقةٍ أشداقُهُم، فقلتُ: مَنْ هؤُلاءِ؟ فقال: هؤُلاءِ الذين يقولون ما لا يفعلون، ثُمَّ انطلقنا. فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُسَمَّرةٍ أعينُهُم وآذانُهُم، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ الذين يُروون أعينُهُم ما لا يروون، وَيُسمعونَ آذانَهُم ما لا يسمعونَ، ثُمَّ انطلقنا، وإذا نحنُ بنساءٍ مُعلقاتُ بَعْرَاقِيهِنَّ مُصَوِّبَةً رءُوسُهُنَّ، تَنهَشُ نُدْيَهُنَّ الحَيَّاتُ، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ الذين يَمْنَعُونَ أولادَهُنَّ من اللَّبانِ، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُعلقاتُ بَعْرَاقِيهِنَّ، مُصَوِّبَةً رءُوسُهُنَّ، يَلْحَسْنَ مِنْ ماءٍ قليلٍ وَحَمَاءً، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ الذين يصومون وَيُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِم، ثُمَّ انطلقنا وإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ أقبحَ شيءٍ مَنظَرًا، وَأَقْبَحَهُ لُبُوسًا، وَأَنْتَنَهُ رِيحًا، كأنما رِيحُهُم المَراحِيضُ، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ الرَّاؤُونَ والرَّانَاةُ، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ بموتى أشدَّ شيءٍ انتفاخًا، وَأَنْتَنَهُ رِيحًا، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ مَوْتَى الكُفَّارِ، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ نَرَى دُخَانًا وَنَسْمَعُ عَوَاءً، قلتُ: ما هذا؟ قال: هذه جَهَنَّمُ فَدَعُهَا، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ برجالٍ نِيَامُ تحتَ ظلالِ الشَّجَرِ، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: هؤُلاءِ مَوْتَى المُسلمينَ، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ بَعْلَمَانَ وَجَوَارٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ، قلتُ: ما هؤُلاءِ؟ قال: نُورِيَّةُ المُؤمنينَ، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحنُ برجالٍ أَحْسَنَ شيءٍ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ لُبُوسًا، وَأَطْيَبَهُ رِيحًا كَأَنَّ وَجُوهَهُم القَرَّاطِيسُ^(١٢١٣)، قلتُ:

(١٢١٣) (الفرطاس) بكسر القاف وضما الذي يكتب فيه .

مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الصَّدِيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَشْرَبُونَ خَمْرًا وَيُغْنُونَ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: ذَاكَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَجَعْفَرُ، وَابْنُ رَوَاحَةَ، فَمَلْتُ قَبْلَهُمْ، فَقَالُوا: قُدْنَا لَكَ قُدْنَا لَكَ (١٢١٤)، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: ذَاكَ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ).

[أخرجه الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرک، والبيهقي في السنن في عذاب القبر، والضياء المقدسي في المختارة. (والحديث) في مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٦ باب الإسراء... كتاب الإسراء، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح] (١٢١٥)

(هذا) وإذا كان لنا أن ندور حول هذا الحديث الشريف .. أو تلك الرؤيا .. فإن الذي يعنيننا منه ، أو منها .. هو تلك المشاهد التي رآها النبي ﷺ حتى نتعظ بها .. ونحرص على أن نكون كأهل المشاهد الحسنة التي رآها النبي ﷺ في الجنة .. (بعكس) الآخرين الذين يُعَذَّبُونَ في نار جهنم - والعياذ بالله - بتلك الصورة المخيفة التي شاهدها النبي ﷺ .. ونقلها إلينا .. (حتى) لا تكون من صفات أى فرد من أفراد أمته .. (الذين) ينبغي عليهم أن يكونوا أهلاً للخيرية المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، أى: - كنتم يا أتباع محمد - خير الأمم وأكرمها على الله .. قال عمر: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا .. وهو المشار إليه بعد ذلك في نص الآية: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١٢١٦).

(ولكن) يبدو أن الشيطان قد استطاع بمكره وخداعه.. أن يلعب بهم .. وأن يجعل بعضهم من المتعاونين معه على إفساد الكثيرين من الناس حتى يكونوا معه: ﴿مِنْ أَصْحَابِ السُّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦) كما حدث بالنسبة لهؤلاء المشار إليهم في نص الحديث .. والذين منهم، بالترتيب الوارد في النص:

(١٢١٤) أى: قربنا إليك .

(١٢١٥) وهو في جمع الجوامع (العدد الرابع والعشرون) من الجزء الأول . رقم ٣٧٥٤ - ٨٢٤٢ .

(١٢١٦) آل عمران: من الآية ١١٠ .

١- (الذين يقولون ما لا يفعلون): وهم المشار إليهم فى قول الله تبارك

وتعالى:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢١٧)، (وحسب) الأخ المسلم .. أن

يقف على المعنى المراد من كلمة: (مقتًا) حتى لا يكون من هؤلاء المشار إليهم فى الآية .. وهو : أن (المقت) ، أى : أشد البغض وأفحشه .. (فالمعنى) إجمالاً : عَظُمُ بُغْضًا وَقَوْلًا عِنْدَ رَبِّكُمْ قَوْلَكُمْ مَا لَا تَفْعَلُونَ .. (ولهذا) فإن المؤمن الصادق لا يقبل أبدًا أن يكون من أهل هذا المقت الإلهى .. الذى معناه - كذلك - أن المحكوم عليه بهذا المقت .. سيكون مطرودًا من رحمة الله - والعياذ بالله.

(وقد) ورد فى الحديث الشريف(عن) الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: (إن ناسًا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار) (١٢١٨)، فيقولون: بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ (١٢١٩)؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم (١٢٢٠)، فيقولون: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ).

[رواه الطبرانى فى الكبير]

(فعلى) الأخ العالم .. أن يلاحظ هذا .. حتى لا يكون - أيضًا - كهؤلاء المشار

إليهم فى نص الحديث الأخير .. (وأعنى) حتى لا يكون - كذلك - كمثل (الفتيلة تُضِيءُ عَلَى النَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا) [الحديث أخرجه البزار]

(بل) وحسبه أن يعلم أنه إذا لم يكن عاملاً بما علم، فإن هذا العلم سيكون

حُجَّةً عَلَيْهِ لَا لَهُ .. (فعليه) إذَنْ أن يكون عاملاً .. مع ملاحظته لقول الله تبارك

وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (١٢٢١).

٢ - (ومنهم) : (الذين يُرَوْنَ أعينهم ما لا يروْنَ ، وَيُسْمِعُونَ آذانهم ما

(١٢١٧) الصف: ٣ .

(١٢١٨) أى: ينادى بعضهم بعضاً من وراء حجاب .

(١٢١٩) أى: ما السبب الذى أوجب دخولكم النار؟

(١٢٢٠) لأننا عملنا به حين سمعناه ، فكان سبباً فى دخول الجنة .

(١٢٢١) سورة التحريم: من الآية ٦ .

لا يَسْمَعُونَ)، أى: أَنَّهُمْ يَتَلَصَّصُونَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَرَوْا مِنْهُمْ مَا يَحْرِصُونَ عَلَى سِتْرِهِ مِنْ حُرْمَاتٍ وَعُورَاتٍ .. (وأيضاً) عَلَى تَسْمَعِ أَخْبَارِهِمُ الَّتِي يَحْرِصُونَ كَذَلِكَ عَلَى التَّكْتُمِ عَلَيْهَا .. لَأَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِأَسْرَارِهِمُ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا يُحِبُّونَ اسْتِمَاعَ الْغَيْرِ إِلَى تَفَاصِيلِهَا .. (وهذا) أَمْرٌ مَشْرُوعٌ يَجِبُ عَلَيْنَا كَمُؤْمِنِينَ صَادِقِينَ أَنْ نَعِينَهُمْ عَلَى تَحْقِيقِهِ .

(فعن) رجاء بن حيوة قال: سمعتُ مسلمةَ بنَ مخلدٍ رضي الله عنه يقول: بينا أنا على مصر^(١٢٢٢) فأتى الجواب فقال: إن أعرابياً على الباب يستأذن فقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا جابر بن عبد الله . قال : فأشرفتُ عليه ^(١٢٢٣)، فقلت : أنزل إليك أو تصعد؟ قال: لا تنزل ولا أصعد، حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن، جئتُ أسمعهُ. قلتُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً^(١٢٢٤) فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْءُودَةً) فَضْرَبَ بَعِيرَهُ رَاجِعًا.

[رواه الطبراني في الأوسط]

(وعن) ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَ بِهَا فِي بَيْتِهِ).

(وعن) ابن عمر رضي الله عنه قال: صعدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ فنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ^(١٢٢٥)) وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكَ! وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ:

(١٢٢٢) أى: أميراً عليها .

(١٢٢٣) يعنى: اطلعت عليه من فوق .

(١٢٢٤) أى: عيباً أو ذنباً ، وإنما سماه عورة لأن ظهوره يسوء فاعله .

(١٢٢٥) يعنى: فى عقر داره .

(يا معشر مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبُهُ^(١٢٢٦))، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ^(١٢٢٧)، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ^(١٢٢٨)، وَلَا تَطْلُبُوا عَثْرَاتِهِمْ^(١٢٢٩)) الحديث .
(وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدَتَ تَفْسِدُهُمْ).)

[رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه]

(فعلى) الأخ المسلم .. أن يلاحظ كل هذا.. حتى لا يكون من هؤلاء المنافقين الذين يتبعون عورات المسلمين .. ويتسمعون أخبارهم.. لا لشيء إلا لكي يصلوا عن طريقهم .. أو على حسابهم إلى تحقيق مآربهم الدنيوية .. التي لا تمتُ إلى الفضيلة بصلة.

٣- (ومنهم): (هؤلاء الذين يمنعون أولادهم من ألبانهم)^(١٢٣٠) (فقد) يكون المعنى أنهم لم يُنفذَنَ أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، أى: النساء اللواتي طُلقنَ من أزواجهنَّ ولهنَّ أولاد، يُرْضِعْنَ أولادهن سنتين كاملتين، ومعنى: (يُرْضِعْنَ) أنهم أحقُّ برضاعهم من غيرهنَّ ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَّ الرُّضَاعَةَ﴾ أى: لمن أراد من الآباء والأمهات، أن يُتمَّ رضاع ولده .. وليس ذلك بإيجاب رضاعهم عليهنَّ إذا كان الوالد موسراً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾^(٥)، وإنما هو لبيان المدة التي تستحق عليها المطلقة أجره الرضاع، فلا تستحق أجره على الرضاع أكثر من سنتين - ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أى: وعلى آباء الصبيان، رزق المرضعات

(١٢٢٦) يعنى: يا جماعة المنافقين الذين أظهروا الإسلام على أطراف ألسنتهم وقلوبهم خالية من الإيمان.

(١٢٢٧) بأى نوع من أنواع الأذى حسياً كان أو معنوياً .

(١٢٢٨) يقال: عير فلان فلاناً نسبة إلى العار وقبح عليه فعله.

(١٢٢٩) أى: لا تتبعوا زلاتهم وهفواتهم بقصد التشهير بهم.

(١٢٣٠) وفى رواية ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما: (ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهنَّ

الحيات . قلت: ما بال هؤلاء ؟ قيل: يمتعن أولادهنَّ ألبانهم) ، أى: يمتعن من إرضاع أولادهنَّ

حتى لا تهتدأ ألدأوهنَّ .. خوفاً على جمالهنَّ .. وحسن منظرهنَّ .

(٥) الطلاق: ٦ .

وكسوتهن، على قدر الميسرة ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا﴾، أى: لا تُحْمَلُ نفس شيئاً يُضَيِّقُ عليها ويُجهدُها ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةَ بِوَلَدِهَا﴾ أى: ليس للوالد أن يُضارها، فينتزع الولد منها إذا رضيت بإرضاعه ﴿وَلَا مَوْلُودَ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، أى: وليس لها أن تُضارَّ الأب، فتقذف الولد إلى أبيه ضراراً.. نهى تعالى كل واحد من أبوى المولود بمضارة صاحبه، فإن ذلك حرام عليهما .. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أى: وعلى وارث الصبى إذا كان أبوه ميتاً، مثل الذى كان على أبيه فى حياته من أجر رضاعه ونفقته، إذا لم يكن للمولود مال ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أى: فإن أراد والد المولود ووالدته ، فطام ولدهما من اللبن فى الحولين، عن تشاورٍ وتراضٍ فيما فيه مصلحة المولود ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أى: فلا حرج عليهما ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أى: أردتم أيها الآباء أن تطلبوا مُرضعةً لولدكم غير أمهاتهم ، إذا أبين من رضاعهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى: فلا حرج عليكم فى ذلك ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى: إذا أعطيتم إلى أمهاتهم وإلى المرضعة ، حقوقهن التى أوجبها الله لهنَّ عليكم فى ذلك ، دون بخس ولا ظلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أى: خافوا الله ، واحذروا أن تُخالفوا حدوده، فتستوجبوا عقوبته ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٢٣١)

فعلى الأب والأم.. أن يلاحظا كل هذا .. حتى لا يضيع المولود بينهما .. وذلك بحرمانه من حقه المشروع فى الرضاعة .. تحت رعايتهما معاً .. وفى ظلال الأمن والأمان والاستقرار .. (مع) ملاحظة أن الأم أحقُّ برضاع ولدها فى الحولين ، وليس للأب أن يسترضع له غيرها إذا رضيت أن ترضعه بأجرة المثل، لأن لبن الأم أصلح، وشفقتها على ولدها أكمل، ولا ينبغي للأم أن تمتنع عن إرضاعه إضراراً للأب، فإن ذلك حرام، لأن الطفل البريء سيكون هو الضحية (١٢٣٢).

(١٢٣١) البقرة: ٢٣٣ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى - بصرف .

(١٢٣٢) هامش (مختصر تفسير الطبرى) ص ٧٤ .

(هذا) وإذا كُنَّا - فى هذا العنصر - قد تعرضنا لموضوع الرضاعة.. (فإننى) أحب كذلك من خلاله .. أن أذكرَّ الوالدَيْن بموضوع من أخطر المواضيع .. حتى يلاحظاه .. ويتحاشيا الوقوع فيه .. (ألا) وهو:

الرضاع المحرَّم للزواج

فقد قرأت تحت هذا العنوان فى (كتاب الفتاوى) للشيخ (محمود شلتوت) عليه رحمة الله .. كلامًا هامًا.. قال فيه (١٢٣٣):

يسأل كثير من الناس عن حكم الشريعة فى حالات تتصل بالرضاع، فمنهم من يسأل عن زواج فتى بفتاة رضع على أختها التى تكبر عنها ولم يرضع عليها نفسها، ويظنون أن الرضاع المحرم هو رضاع الفتى على الفتاة التى يريد التزوج بها خاصة. ومنهم من يسأل عن حكم ما إذا رضع الفتى على فتاة وأمها تحت زوج ثم طُلِّقت الأم وتزوجت برجل آخر، وأتت منه بفتاة أخرى وهى تحت الزوج الثانى . فهل يجوز لهذا الفتى الذى رضع من تلك السيدة، وهى تحت زوجها الأول، أن يتزوج بالفتاة التى هى من الزوج الثانى؟

وهنا يقول السائل: قد سألت بعض العلماء فقال: إن لبن المرأة يعتبر ملغًا لزوجها، وبما أن السيدة أرضعت الفتى وهى تحت الزوج الأول، ولم ترضعه وهى تحت زوجها الثانى، فإنه يجوز لهذا الفتى أن يتزوج بالبنت الثانية التى هى من الزوج الثانى، فهذا لبن وذاك لبن آخر !!

ثم بعد ذلك يبدأ فى الإجابة على هذين السؤالين، فيقول، تحت عنوان:

المحرمات بالرضاع

ويجدر بنا قبل الإجابة على هذين السؤالين أن نُبيِّنَ أن القرآن الكريم ذكر التحريم بالرضاع بعد أن ذكر التحريم بالنسب، فقال أولاً: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ ثم قال:

﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ (١٢٣٤). فَصَلَّ - سبحانه - مُحَرَّمَاتِ النَّسَبِ وَحَصَرَهَا فِي سَبْعَةِ أَصْنَافٍ، ثُمَّ أَجْمَلَ فِي الْمَحْرَمَاتِ بِالرِّضَاعِ، وَذَكَرَ مِنْهَا صِنْفَيْنِ هُمَا: «الْأُمَّهَاتُ وَالْأَخَوَاتُ»، وَجَاءَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَا يَحْرِمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرِمُ مِنَ النَّسَبِ»، مُبَيِّنًا أَنَّ الصِّنْفَيْنِ اللَّذَيْنِ ذُكِرَا فِي التَّحْرِيمِ بِالرِّضَاعِ يَتَنَاوَلَانِ الْأَصْنَافَ السَّبْعَةَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي التَّحْرِيمِ بِالنَّسَبِ، فَالْأُمَّهَاتُ يَلْحَقُ بِهِنَّ الْعِمَاتُ وَالْخَالَاتُ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ. وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ كُلَّ مَنْ تَحَقَّقَ بَيْنَهُمَا بِالرِّضَاعِ عِنْوَانُ صِنْفٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ كَانَ الرِّضَاعُ مُحَرَّمًا بَيْنَهُمَا، وَعَلَيْهِ يَحْرَمُ بِالرِّضَاعِ الْأُمَّهَاتُ وَالْبَنَاتُ وَالْأَخَوَاتُ وَالْعِمَاتُ وَالْخَالَاتُ، وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ.

ثم يقول تحت عنوان:

القدر المحرم من الرضاع

وكذلك يجدر بنا أن نُجْمَلَ مذاهب العلماء في قدر الرضاع الذي يُحْرَمُ الزَّوْجُ بَيْنَ الرِّضَاعِيِّينَ. وَقَدْ كَثُرَتْ الْمَذَاهِبُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَبَعًا لِاخْتِلَافِ النَّظَرِ فِي الْآيَةِ مَعَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي قَدْرِ الرِّضَاعِ، فَمِنَ الْأَيْمَةِ مَنْ رَأَى: أَنَّ قَلِيلَ الرِّضَاعِ - وَلَوْ قَطْرَةً وَاحِدَةً تَصَلُّ إِلَى الْجَوْفِ - وَكَثِيرُهُ سِوَاهُ فِي التَّحْرِيمِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ رَأَى أَنَّ الْمَحْرَمَ ثَلَاثَ رَضَعَاتٍ فَأَكْثَرَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ رَأَى أَنَّ الْمَحْرَمَ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَأَكْثَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنَّ الْمَحْرَمَ سَبْعَ رَضَعَاتٍ، وَهَكَذَا: إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ رَضَعَةً، وَكَانَ مَنشَأُ هَذَا الْخِلَافِ كَثْرَةُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَعَارِضَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَحُكْمُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ فِي الرِّضَاعِ مَا صَحَّ عِنْدَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

إلى أن يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

اتجاه زمن الرضاعة

وَإِذَا تَجَاوَزْنَا الْمِقْدَارَ الْمَحْرَمَ فِي الرِّضَاعِ، أَوْ اخْتَرْنَا مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ فِيهِ، وَقَلْنَا: إِنَّ الْمَحْرَمَ هُوَ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَأَكْثَرَ، فَإِنَّ التَّحْرِيمَ يَثْبُتُ بَيْنَ الرِّضَاعِيِّينَ

(١٢٣٤) النساء: من الآية ٢٣.

من المرضعة الواحدة، سواء اتحد زَمَنُ رضاعتهما منها أو اختلف، وسواء أكان زوج المرضعة واحداً بأن أرضعتها وهي تحت زوج واحد أم تعدد، بأن أرضعت الولد وهي تحت زوج، ثم مات عنها أو طلقها، وأرضعت البنت وهي تحت الزوج الثاني، فهي في الحالتين أهمها معاً، وهما أخوانٍ لأمٍّ من الرضاعة، والأخوات بجميع نواحيها رضاعاً كالأخوات نسباً في تحريم الزواج. وإن فلان قيمة لاختلاف الزوج في التحريم وعدمه. ومن المعروف أن كل اثنين اجتمعا على ثدي واحد لم يَجُزْ لهما أن يتزاوجا.

ثم يقول تحت عنوان:

الإخبار بالرضاع

وكثيراً ما يتفق أن يحصل الزواج والدخول بين اثنين، وهما لا يعلمان رضاعاً بينهما، ثم تخبر به امرأة، وتقول لهما: قد أرضعتكما، والحكم في هذه الحالة على تصديقهما إياه أو عدمه، فإن صدقاهما ولم يُنكَرَا عليها: فسد الزواج ووجب عليهما أن يفترقا، أو التفريق بينهما إن لم يفترقا بأنفسهما، أما إن كدّباها وأنكرا قولها، أو تشككاً في صحته: فإن الرضاع لا يثبت إلا إذا قامت عليه حجة شرعية، وهي: «شهادة رجلين أو رجل وامرأتين» وبدون هذه الشهادة لا يثبت الرضاع شرعاً، ولا يفسد الزواج ولا يجب التفريق .

ثم في الختام يقول: تحت عنوان:

المبادئ العامة:

- ١ - لا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات فأكثر .
- ٢ - إذا اجتمع اثنان على ثدي واحد بخمس رضعات فأكثر في مُدَّة الرضاع، وهي: حولان كاملان: حرم التزاوج بينهما .
- ٣ - لا تتوقف حرمة الزواج بالرضاع على اختلاف زوج المرضعة.
- ٤ - الإخبار بالرضاع إن صدق : وجب التفريق ، وفسد الزواج ، وإن كذب : لا يحرم إلا بالشهادة الكاملة، وهي: « شهادة رجلين أو رجل وامرأتين» .

وبعد: فهذه هي المبادئ التي أُحِبُّ وأرجو أن يعرفها السائلون عن الرضاع، وأن يُعلِّمواها الناس، حتى تخف البليلة التي تحدث في الأسر من جراء هذه المشكلة، والله يتولَّى هدايتنا أجمعين . ا هـ - (١٢٣٥).

٤ - (ومنهم): (الذين يصومون، ويُفطرون قبل تحلَّة صومهم) (١٢٣٦): وهم، كما هو واضح من النص - إذا تعمقنا فيه - الذين يصومون صياماً صُورِيّاً فقط: عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس .. (ولكنهم) لم يصوموا بالإضافة إلى هذا الأساس - الذي لا بد منه - عن الغيبة والنميمة .. أو عن كل ما يُغضب الله تبارك وتعالى .. لا ليلاً ولا نهاراً .. (وهؤلاء) لا صيام ولا قيام لهم - بالمعنى الصحيح - كما أخبر النبي ﷺ في كثير من الأحاديث التي منها، ما ورد:

(عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ (١٢٣٧) قَوْلَ الزُّورِ (١٢٣٨)، وَالْعَمَلَ بِهِ: فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وعنده: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْجَهْلَ (١٢٣٩)، وَالْعَمَلَ بِهِ (١٢٤٠)) وهو رواية النسائي.

ورواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس بن مالك، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدَعْ الْخَنَا (١٢٤١) وَالْكَذِبَ: فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ).

(ومعنى): (فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)، أي: في صيامه ..

(١٢٣٥) الفتاوى (للشيخ محمود شلتوت) عليه رحمة الله ص ٢٨٢ - ٢٨٦ باختصار .

(١٢٣٦) أي: قبل أن يتم صومهم بغروب الشمس .. (وإن) كنت أرى أن المعنى لا بد أن يكون أكبر من هذا .. وهو الذي سأشرحه إن شاء الله .

(١٢٣٧) أي: يترك .

(١٢٣٨) الزور: كل قول مائل عن الحق من الكذب والباطل والشرك والمدح بغير حق والتمويه والخداع وغير ذلك .

(١٢٣٩) المراد به السفاهة والحمق والجفاء والغلظة، ويقابله الحلم .

(١٢٤٠) أي: بالجهل والمعاصي كلها عمل بالجهل فتدخل الغيبة ونحوها .

(١٢٤١) أي: الفحش في الكلام والبذاءة والتصريح بما يستهجن ذكره .

وهو مجاز - كما قال بعضهم - عن عدم الالتفات والقبول .. فنفى السبب، وأراد المسبب لأن الله لا يحتاج إلى شيء .. (وقيل) الحاجة بمعنى الإرادة، أى: ليس لله إرادة فى صيامه (وعدم) الإرادة كناية عن الرد وعدم القبول، فيرجع لما قبله. (قالوا): وليس المراد بذلك أنه يترك صيامه إذا لم يترك قول الزور وإنما معناه التحذير من ذلك القول .. حتى لا يفسد الصيام .. كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله:

أَغْضُضُ الطَّرْفَ (١٢٤٢) وَاللِّسَانَ أَكْفُفُهُ

وكذا السمع صُنْهُ حِينَ تَصُومُ

ليس مَنْ ضَيَّعَ الثَّلَاثَةَ عِنْدِي

بِحُقُوقِ الصِّيَامِ حَقًّا يَأْتِيهِمْ

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس الصيام من الأكل والشرب) (١٢٤٣)، إنما الصيام من اللغو والرفث (١٢٤٤)، فإن سابك أحد (١٢٤٥)، أو جهل عليك، فقل: إني صائم، إني صائم (١٢٤٦).

[رواه ابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(وفى) رواية لابن خزيمة عنه، عن النبى ﷺ قال: (لا تُسَابَّ) (١٢٤٧) وأنت

صائم (١٢٤٨)، فإن سابك أحد، فقل: إني صائم، وإن كنت قائماً فاجلس (١٢٤٩).

(١٢٤٢) أى: النظر .. فلا تنظر به وأنت صائم - بصفة خاصة - إلا إلى ما أحل الله لك .. (وكذلك)

لا تنطق إلا بالكلمة الطيبة، ولا تستمع إلا إلى الخير .. الخ .

(١٢٤٣) يعنى: أن الإمساك عن الشراب والطعام ليس هو حقيقة الصيام، وإنما هو صورته.

(١٢٤٤) اللغو: هو كل كلام باطل لا خير فيه، والرفث هو كل ما يتعلق بالنساء .

(١٢٤٥) أى: شاتمك وهاجك .

(١٢٤٦) وكررها لزيادة التنبية والتأكيد لكف نفسك عن الرد وزجرًا لمن جهل عليك .

(١٢٤٧) أى: لا تُسَاتِمَ أحدًا .

(١٢٤٨) أى: فى حال صيامك .

(١٢٤٩) فإن ذلك يُغْفَى، ثورة الغضب.

(وعنه) رُبُّ قال: قال رسول الله ﷺ: (رُبُّ) ^(١٢٥٠) صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبُّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر ^(١٢٥١)) [رواه ابن ماجه واللفظ له، والنسائي وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخارى، ولفظهما: (رُبُّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورُبُّ قائم حظه من قيامه السهر)]

ورواه البيهقى، ولفظه: (رُبُّ قائم حظه من القيام السهر، ورب صائم حظه من الصيام الجوع والعطش).

(وعن) عبيد مولى رسول الله ﷺ: أن امرأتين صامتاً ^(١٢٥٢)، وأن رجلاً قال: يا رسول الله، إن ها هنا امرأتين قد صامتتا، وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه، أو سكت، ثم عاد، وأراه قال: بالهجرة ^(١٢٥٣). قال: يا نبي الله إنهما، والله قد ماتتا، أو كادتا أن تموتا ^(١٢٥٤)؟ قال: (ادعهما) ^(١٢٥٥) قال: فجاءتا، فجىء بقَدح أو عَس ^(١٢٥٦)، فقال لإحداهما: قيني ^(١٢٥٧). فقأت قِيحاً ودمًا وصدِيدًا ولحمًا حتى ملأتُ نصف القدح، ثم قال للأخرى: فقيني من قيح ودم وصدِيد ولحم عبيط ^(١٢٥٨) وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: (إن هاتين صامتتا عما أحلَّ الله لهُمَا ^(١٢٥٩))، وأفطرتا على ما حَرَّمَ الله عليهما ^(١٢٦٠): جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تاكلان من لحوم

(١٢٥٠) حرف جر يستعمل للتقليل والتكثير بحسب السياق .

(١٢٥١) أى: ليس للصومه أو قيامه قبول عند الله .

(١٢٥٢) أى: فى حياة الرسول ﷺ وفى حياته وكان صوم تطوع .

(١٢٥٣) وهى اشتداد الحر .

(١٢٥٤) يعنى: أن الرجل أشفق عليهما من الهلاك فراجع النبي ﷺ مراراً فى شأنهما كى ياذن لهما بالفطر .

(١٢٥٥) يعنى: اذهب فأت بهما إلى .

(١٢٥٦) العَس: هو القدح أو الإناء الكبير .

(١٢٥٧) أى: أخرجى ما فى جوفك .

(١٢٥٨) أى: خالص طرى .

(١٢٥٩) أى: من الطعام والشراب .

(١٢٦٠) أى: من الغيبة والنميمة والوقوع فى أعراض الناس .

[رواه أحمد واللفظ له، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، كلهم عن رجل لم يُسم عن عبيد ..
ورواه أبو داود الطيالسي، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والبيهقي من حديث أنس]
(فعلى) الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يتفقا معى على هذا المعنى الكبير
- الذى استطعت بتوفيق من الله تبارك وتعالى أن أفهمه من خلال هذا النص
الذى ندور حوله - حتى لا يُفسداً صيامهما .. (وحتى) يفوزا إن شاء الله بثواب
الصيام.

٥ - (ومنهم): (الزانون والزناة): من الذكور والإناث .. الذين أخبر النبي ﷺ
بأنهم عندما يرتكبونها .. فإنهم يخلعون ربقة الإسلام من أعناقهم .. إلا أن
يتوبوا .

(فعن) أبى هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزنى الزانى (١٢٦٢)
حين يزنى (١٢٦٣) وهو مؤمن (١٢٦٤)، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو
مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى]

(وزاد) النسائى فى رواية: (فإنذا فعل ذلك خلع ربقة (١٢٦٥) الإسلام من
عنقه، فإن تاب تاب الله عليه) .

(ورواه) البزار مختصراً: (لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزنى الزانى
وهو مؤمن، الإيمان أكرم على الله من ذلك) .

(١٢٦١) سَمَى الغيبة أكلاً للحوم الناس .. للتفجير منها وتصويرها بأشع صورة كما قال تعالى: ﴿وَلَا
يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢) .

(١٢٦٢) أى: ولا تزنى الزانية، فلا اختصاص للذكر بذلك ولكنه اقتصر عليه تليفاً .

(١٢٦٣) أى: وقت زناه ووطنه الفرج الحرام .

(١٢٦٤) يعنى: أنه لا يزاول ذلك فى حال إيمانه بل يفارق الإيمان قلبه .. قالوا: إنه يصير على رأسه مثل
الظلة فإن تاب عاد إليه، والمراد أن ظلمة الزنا لا تجامع نور الإيمان فى القلب، فمن وقع فى الزنا
فارق الإيمان قلبه .

(١٢٦٥) الربقة بكسر الراء وسكون الموحدة: عروة الجبل .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا زنى الرجلُ خرجَ منه الإيمانُ)^(١٢٦٦)، فكان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا أقلعَ رجع إليه الإيمانُ).

[رواه أبو داود والترمذى والبيهقى والحاكم، وفى شرح الجامع حديث صحيح]

ولفظ الحاكم: (مَنْ زنى أو شرب الخمرَ نزعَ اللهَ منه الإيمانَ كما يخلع الإنسانُ القميصَ من رأسه).

وفى رواية للبيهقى: قال رسول الله ﷺ: (إن الإيمانَ سربالٌ)^(١٢٦٧) يُسربلُهُ اللهُ مَنْ يشاءُ^(١٢٦٨)، فإذا زنى العبدُ نزعَ منه سربالَ الإيمانِ، فإن تاب رُدَّ عليه).

(ومعنى): (فإذا أقلع رجع إليه الإيمان)، أى: دخله واستقر فى قلبه .. قال الطيبي: (يمكن أن يقال المراد بالإيمان هنا، وفى حديث: (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن): الحياء، كما ورد أن الحياء شعبة من الإيمان، أى: لا يزنى الزانى حين يزنى وهو يستحي من الله تعالى، لأنه لو استحي من الله واعتقد أنه حاضر شاهد لحاله لم يرتكب هذا الفعل الشنيع) . وقال التوربشتى: (هذا من باب الزجر والتشديد فى الوعيد زَجْرًا للسامعين ولطفًا بهم ، وتنبهًا على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم .. فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتناقضين وفى قوله ﷺ: (كان عليه مثل الظُّلَّة) وهى السحابة التى تُظَلُّ .. إلا أنه وإن خالف حكم الإيمان فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكمه ولا يرتفع عنه اسمه).

(وعلى هذا)، فإننا ننصح الزُّناة^(١٢٦٩) بضرورة أن يُقلعوا عن هذا الجرم الكبير .. وأن يتوبوا إلى الله تبارك وتعالى توبة صادقة .. عسى أن يتوب الله تعالى عليهم .. (وإلا)، فإنهم قد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله^(١٢٧٠).

(١٢٦٦) يعنى: فارق قلبه الإيمان .

(١٢٦٧) هو القميص أو كل ما يلبس وجمعه سراويل .

(١٢٦٨) يعنى: يُلْبِسه إياه .

(١٢٦٩) من الذكور والإناث .

(١٢٧٠) أى: أوجبه على أنفسهم بما ارتكبوا من معاصى الله .

(فعن) ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إذا ظهر الزنا والربا في قرية^(١٢٧١) فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله).

[رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد . وكذلك رواه

الطبراني وقال شارح الجامع: وهو حديث صحيح]

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله^(١٢٧٢)؟ قال: (أن تجعل لله نداً ^(١٢٧٣) وهو خلقك) قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟ قال: (أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك^(١٢٧٤)) قلت: ثم أى؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك^(١٢٧٥)).

[رواه البخارى ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى]

وفى رواية لهما: وتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * ^(١٢٧٦) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ^(١٢٧٧) . ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ * ^(١٢٧٨) أَي: فهؤلاء يبديل الله أعمالهم السيئة^(١٢٧٨)، حسنات فى الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبالزنى عفة وإحصاناً ^(١٢٧٩) ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أى: يعفو عن الذنوب، ويرحم العباد بعد توبتهم .

٦ - (ومنهم): (موتى الكفار)، أى: الذين قُتلوا فى المعارك مع المسلمين .. فهم

(١٢٧١) أى: كثيراً وانتشرا فيها من غير حياء ولا نكير .

(١٢٧٢) أى: أشد إثماً وعقوبة .

(١٢٧٣) أى: مساوياً فى استحقاق العبادة .

(١٢٧٤) أى: خوفاً من أن يشاركك فى طعامك .

(١٢٧٥) أى: زوجة الجار .

(١٢٧٦) أى: يلقى عقوبة ونكالا .

(١٢٧٧) وإلى هنا تنتهى رواية الترمذى والنسائى . والآية مع التى بعدها رقم ٦٩ ، ٧٠ من سورة الفرقان .

(١٢٧٨) هذا التبديل: إنما يكون فى الدنيا، يبديل الله أعمالهم السيئة إلى أعمال حسنة . . (وهذا) ما

رجحه الطبرى، وهو قول ابن عباس، والحسن ومجاهد، وقيل: التبديل فى الآخرة يحو الله

ذنوبهم فيجعلها حسنات (هامش مختصر تفسير الطبرى) ص١١٦، من سورة الفرقان .

فى نار جهنم خالدین فیها أبداً .. ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ..

(وكان) هذا المشهد السادس هو آخر ما رآه النبى ﷺ من المعدبين فى نار

جهنم والعياذ بالله تعالى منها ومن عذابها .. وأهوالها ..

(ثم) بعد ذلك انطلق (١٢٧٩) الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ..

(فإذا) هو برجال نيام تحت ظلال الشجر، فسأل: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل

الذى كان معه:

١- (هؤلاء موتى المسلمين)، أى الذين من الله عليهم بالإسلام .. وثبتهم عليه

إلى أن ماتوا .. (إنهم) هناك فى الجنة يستظلون بظلال رحمة الله تبارك وتعالى:

لأنهم مسلمون .. و ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١٢٨٠): الذين نسأل الله تعالى أن

يجعلنا منهم، وأن يحشرنا معهم .

ثم انطلق بعد ذلك - مع الرجل - فمرّاً على غلمان وجوار (١٢٨١) يلعبون بين

نهرين، فسأل صلوات الله وسلامه عليه: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٢- هؤلاء: (ذرية المؤمنين)، فهم فى الجنة إن شاء الله مع آبائهم الصالحين -

من الآباء والأمهات - كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ

بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْمِثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصُلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ

يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ

* سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١٢٨٢)

وكما يشير إلى هذا أيضاً قول الله تبارك وتعالى:

(١٢٧٩) كما جاء فى نص الحديث الذى تدور حوئه .. بتصرف يسير فى شرح المفردات .. حتى نفهم

المراد .. من اللفظ .

(١٢٨٠) سورة البينة من الآية ٧ .

(١٢٨١) الغلمان أى الذكور، والجوارى أى الإناث .

(١٢٨٢) سورة الرعد: ٢٠ - ٢٤ .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِحْسَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ . آى: أَلْحَقْنَا بِاللَّذِينَ آمَنُوا سُرِّيَّتَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ مَعَهُمْ فِى دَرَجَاتِهِمْ، وَإِن قَصَرْتَ أَعْمَالَهُمْ عَن أَعْمَالِهِمْ، تَكْرَمَةً مِّنَّا لِأَبَائِهِمْ (١٢٨٣) . ﴿وَمَا أَتَانَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ . آى: وَمَا نَقَصْنَا الْآبَاءَ مِّنْ أَجُورِ أَعْمَالِهِمْ شَيْئًا ، وَلَكِنَّا وَقَفْنَا لَهُمْ أَجُورَ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَلْحَقْنَا أَبْنَاءَهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ، تَفْضُلًا مِّنَّا عَلَيْهِمْ ﴿كُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنًا﴾ (١٢٨٤) . آى: كُلُّ نَفْسٍ مَّرْتَهِنَةٌ بِمَا عَمِلَتْ مِّنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ مِّنْهُمْ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا يُعَاقَبُ بِذَنْبِ نَفْسِهِ .

(ولهذا)، فَإِنَّمَا نَسَأَلُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُجْعَلَنَا مَعَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَزْوَاجِنَا .. وَذُرِّيَّاتِنَا أَهْلًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ .. مَعَ الصَّالِحِينَ .. اللَّهُمَّ آمِينَ.

ثم انطلق فمرَّ صلوات الله وسلامه عليه - مع الرجل الذى معه - على رجال أحسنَ شَيْءٍ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ لُبُوسًا، وَأَطْيَبَهُ رِيْحًا.. فسأل: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٢- (هؤلاء الصَّدِيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ)، وهم الذين أنعم الله عليهم بنص الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها:

﴿وَمَنْ يُعِبِ اللهُ وَالرُّسُولَ﴾ آى: بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِمَا، وَالرِّضَى بِحُكْمِهِمَا، وَالانْتِزَاجَ عَنِ مَعْصِيَةِ اللهِ ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ آى: فَهُوَ مَعَ الَّذِينَ وَقَّفَهُمُ اللهُ لَطَاعَتِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُصَدِّقِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْهَاجِهِمْ، وَالشُّهَدَاءَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ، وَالصَّالِحِينَ مِّنْ عِبَادِ اللهِ . ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ آى: نَعَمْ هَؤُلَاءِ رُفَقَاءٌ فِى الْجَنَّةِ .. ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (١٢٨٥)

(وقد) رَوَى أَنْ رُجِلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ

(١٢٨٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِى دَرَجَتِهِ فِى الْجَنَّةِ، وَإِن كَانَ لَمْ يَلْفِغْهُ بِعَمَلِهِ، لِنَقَرٍ بِهِمْ عَيْنِهِ .. وَتَلَا آيَةَ .

(١٢٨٤) الطور: ٢١، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

(١٢٨٥) النساء: ٧٠، ٦٩، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

من نفسى، وأحب إلى من أهلى وولدى، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتى وموتك، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك .. فنزلت: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية .

(ولهذا) فإننا نسأل الله- تبارك وتعالى - أن يجعلنا من المطيعين لله ورسوله.. حتى نكون أهلاً لأن نكون من المشار إليهم فى هذه الآية الكريمة.. اللهم آمين .
ثم انطلق فمرَّ مع الرجل الذى معه على ثلاثة نَفَرٍ يشربون خمرًا (١٢٨٦)
وَيُغْنُونَ، فسأل: من هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٤- (ذاك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة)، وهم شهداء غزوة مؤتة رضي الله عنهم
.. (نسأل) الله تعالى أن يجمعنا بهم فى مستقر رحمته .. اللهم آمين .

ثم انطلق صلوات الله وسلامه عليه مع الرجل الذى كان معه .. فإذا ثلاثة نَفَرٍ تحت العرش .. فسأل: من هؤلاء ؟ فقال الرجل:

٥- (هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى، وهم ينتظرونك)، أى: لكى يُرْحَبُوا به صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وعلى جميع المرسلين إلى يوم الدين .. فهو حبيبيهم .. وخاتمهم، ومُتَمِّمُ رسالاتهم .. الذى أرسله الله رحمةً للعالمين، والذى أرسله ليتمم مكارم الأخلاق التى هى الأساس فى هذا الدين الحنيف الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً للانتساب إليه: قولاً وعملاً .. وأن ينفعنا بكل تلك الإشارات التى جاءت فى نص هذه الرؤيا - التى هى كذلك وحى من الله تبارك وتعالى - اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين،،

(١٢٨٦) أى غير مُسَكَّر .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم .. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طعمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ من الآية ١٥ . فخمر الجنة ليس مسكراً وإنما هو بنص الآية لذة للشاربين .. بعكس خمر الدنيا والعياذ بالله منه ... ومن شاربيه .. وصانعيه .. الخ .

(٨٤) ما هو أول ما يُحاسبُ العبدُ به يوم القيامة من عمله . . يا رسول الله؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(إن أول ما يُحاسبُ الناسُ به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربُّنا لملائكته، وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمَّها أم نقصها؟ فإن كانت تامةً كُتبت له تامةً، وإن كان انتقص منها شيئاً، قال: انظروا هل لعبدي من تطوُّع؟ فإن كان له تطوُّعٌ، قال: أتمُّوا لعبدي فريضته من تطوُّعِهِ، ثم تُؤخذ الأعمال على ذلك).

[رواه أبو داود]

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه - أيضاً - أن النبي ﷺ قال: (إن أول ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامة من عمله صلاته، فإن صلَّحت فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فسدتْ فقد خابَ وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوُّع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك).

[أخرجه النسائي وابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب]

ففى هذين الحديثين الشريفين بروايتيهما .. يُشير النبي ﷺ إلى موضوع هام، لابد أن نذكره ونذكرُ به غيرنا على الدوام.. وهو أن الصلاة هى أهمُّ أركان الإسلام بعد الشهادتين . (وأنها) عماد الدين وركنه الركين.. كما جاء فى حديث شريف أخرجه الترمذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: (رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعموده الصلاةُ، وذروة سنامه الجهادُ..).

(والصلاة) فى نظر الإسلام: الحد الفاصل بين المسلم والكافر، والبارِّ والفاجر، وإنها منه بمنزلة الرأس من الجسد، فمن أداها كما ينبغى فهو مسلم بارٌّ، ومن تركها فهو كافرٌ فاجرٍ (فقد) روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: (لا إيمانَ لمن لا أمانةَ

له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين، كموضع الرأس من الجسد).

والصلاة هي أفضل العبادات، وأعظم القربات .. بعد الشهادتين .. (وهي) خير الأعمال .. كما جاء في نص حديث صحيح يقول فيه النبي ﷺ: (واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة)، (وهي) كذلك خير موضوع كما جاء في نص حديث أخرجه ابن حبان والحاكم يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: (الصلاة خير موضوع^(١٢٨٧) فمن شاء استكثر، ومن شاء استقل).

والصلاة نور .. (ففي) الحديث الذي رواه مسلم، يقول صلوات الله وسلامه عليه: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله تملأن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها).

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾^(١٢٨٨) .. (وذلك): إذا أداها المصلّي بخشوع وخضوع، وإخلاص وحافظ عليها في أوقاتها، وأتم ركوعها، وسجودها، ولم ينقرها كنقر الغراب، ووجد فيها روحها وريحانها، ولم يدخلها وهو كاره لها، أو متناقل في أداها .

وهي المكفرة للذنوب.. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ﴾^(١٢٨٩). وفي حديث صحيح رواه البخاري ومسلم، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درته

(١٢٨٧) أى: خير شيء، وضعه الشارع .

(١٢٨٨) العنكبوت: من الآية ٤٥ .

(١٢٨٩) هود: ١١٤ .

شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء (١٢٩٠) !! قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا).

(وقد) روى مسلم فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله).

(ولهذا) كان لا بد أن تؤدى الصلاة أداء خاشعاً، وعلى أكمل وجه حتى تكون الصلاة إن شاء الله سباً فى قبول جميع الأعمال .. وإلا رُفِضَتْ .. (هذا) بالإضافة إلى ما جاء فى نص الحديثين اللذين ندور حولهما، وهو أن أول ما يُحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة .. إلى آخر المشار إليه فيهما، وهو أنه إذا كانت الصلاة تامة .. فإن ثوابها سيُسَجَّلُ لحساب هذا المصلّى تاماً .. وإذا كان العكس هو الصحيح .. فإن الملائكة سيستكملون له من تطوعه ما نقص من فريضته .. وهذا المشار إليه بالنسبة لفريضة الصلاة سيسرى على جميع العبادات (١٢٩١) التى ينبغى علينا أن نُكثِرَ من تطوعها .. ولاسيما بالنسبة للصلوات الخمس:

(فقد ورد) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (حَفِظْتُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ رَكَعَاتٍ: رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرَبِ فى بَيْتِهِ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ فى بَيْتِهِ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ). [رواه البخارى]

(وعن) المغيرة بن سليمان قال: سمعت ابن عمر يقول: (كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يدع ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصُّبْحِ). [رواه أحمد بسند جيد]

وهذا، بالنسبة للسنن المؤكدة (١٢٩٢)، أما بالنسبة للسنن غير

(١٢٩٠) والدرن: أى الوسخ المتراكم على الجسم بسبب العرق .. الخ .
(١٢٩١) من صلاة وزكاة وصيام وحج .. فلكل تلك العبادات .. أعمال تطوعية .. أى غير مفروضة ..
يستطيع الأخ المسلم أن يقف عليها . حتى يؤديها إن شاء الله تعالى .. ويتوفىق منه سبحانه .
(١٢٩٢) وهى ما فعلها النبى صلى الله عليه وسلم، وواظب على فعلها .. ورغب فيها .. (وحكمها) أنه يثاب الإنسان على فعلها ويُعاب على تركها .

ركعتان أو أربع قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وركعتان قبل العشاء .
(والوتر) سنة مؤكدة حثَّ عليه الرسول ﷺ ورغَّب فيه .. (وأما) عن عدد ركعاته .. فقد قال الترمذى: رُوِيَ عن النبي ﷺ: الوتر بثلاث عشرة ركعة، وإحدى عشرة ركعة، وتسع، وسبع، وخمس، وثلاث، وواحدة ..

(ويجوز) أداء الوتر ركعتين ركعتين^(١٢٩٤) ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام، كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة، فيتشهد فيها، ثم يقوم إلى الركعة الأخيرة فيُصلِّيها ويتشهد فيها ويسلم، (ويجوز) أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة .. كل ذلك جائز ووارد عن النبي ﷺ .

(مع ملاحظة)، أنه قد أجمع العلماء على أنه وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء، وأنه يمتد إلى الفجر .

(وأنه) يُستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره.

(وأنه) يُستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة.

(وبالنسبة) لقضاء سنتى الظهر (فقد ورد) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان إذا لم يُصلَّ أربعاً قبل الظهر صلَّاهنَّ بعدها^(١٢٩٥). (وورد) كذلك عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلَّاهنَّ بعد الركعتين بعد الظهر^(١٢٩٦).

(١٢٩٣) وهى ما فعلها النبي ﷺ ولم يواظب على فعلها .. وتُسمى المندوبة .. أو المستحبة .. (وحكمها) أنه يثاب الإنسان على فعلها .. ولا يعاتب على تركها .. (وينبغي) على المسلم - ذكرًا كان أو أنثى - أن يحرص على جميع السنن حتى ولو كانت غير مؤكدة (وذلك) حتى لا يُحرَم من الثواب .

(١٢٩٤) أى: يسلم على رأس كل ركعتين .

(١٢٩٥) رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب .

(١٢٩٦) رواه ابن ماجه . مع ملاحظة: أن السنن القبلية يمتد وقتها إلى آخر وقت الفريضة .

(أما) بالنسبة لقضاء الراتبة البعدية، فقد جاء فيه ما رواه أحمد عن أم سلمة قالت: صلى رسول الله ﷺ الظهر، وقد أتى بمال، ففقد يُقَسِّمُه حتى أتاه المؤذن بالعصر، فصلى العصر ثم انصرف إلى، وكان يومى، فركع ركعتين خفيفتين، فقلنا: ما هاتان الركعتان يا رسول الله، أمرت بهما؟ قال: (لا ... ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر، فشفغلتنى قَسْمُ هذا المال حتى جاء المؤذن بالعصر، فكرهت أن أدعهما). [رواه البخارى ومسلم وأبو داود بلفظ آخر]

(وسنة الفجر) تُقضى قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها، سواء كان فواتها لعذر أو لغير عذر، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح (١٢٩٧).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. لصالح كل منهما فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق،

(٨٥) مَنْ هُمُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ وَكَلَّتْ النَّارُ بِهِمْ ؟ وَمَنْ هُوَ أَهْلُ النَّارِ عَذَابًا .. يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (تَخْرُجُ عِنُقُ (١٢٩٨) مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جِبَارٍ عَنِيدٍ (١٢٩٩)، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ).

وعن النعمان بن بشير أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَه نَعْلَانِ وَشِرَاكَا نِ مِنَ النَّارِ، يَغْلَى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلَى الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنْ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا). [أخرجه الشيخان والترمذى]

(١٢٩٧) أرجع إلى فقه السنة ج ٢ ص ١٦ حتى تقرأ الموضوع بالتفصيل . مع ملاحظة: أن (الصبح) هو الذى يصلى جماعة . . بعكس ركعتى الفجر اللتين تصليان قبلها . . فهما سنة الفجر . . والله أعلم .

(١٢٩٨) (عُنُق) بضمين: أى قطعة .

(١٢٩٩) و(الجبار): أى القهار المتكبر (والعنيد) أى الحائد عن الحق كالعائد له .

ففى الحديث الأول يُصور النبى ﷺ - بوحى من الله - جزءاً من النار مخلوق له عُنق يخرج من النار الكبرى يوم القيامة .. له عينان تَبْصِرَانِ، وأذنانِ تسمعان، ولسان ينطق يقول:

(إِنِّى وَكَّلْتُ) . أى: من الله تبارك وتعالى .. (بتلاثة) أى: من الناس:

(بكل جَبَّارٍ عنيد)، والمراد به المتكبر الذى لا يلين ولا يرحم الضعفاء الذين يحرص دائماً وأبداً بما له من قوة وسلطان أن يبطش بهم دون أن يعمل حساباً لأى أحد من الناس .. أو دون أن يرحم توسلات هؤلاء الضعفاء الذين لا يملكون القوة التى بها يستطيعون بها مواجهته .. فهذا المتكبر الجبار العنيد .. سيتولى هذا العنق من النار تصفية الحساب معه .. وذلك بتعذيبه بِشَتَّى أصناف العذاب .

(ويكَلُّ من دَعَا مع الله إلهاً آخر) .. والمراد به المشرك الذى يعبد مع الله غيره .. (وهذا) ذنب كبير لا يُغفر .. كما أشار إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١٣٠٠) . وفى الحديث القدسى يقول سبحانه وتعالى: (..يا بن آدم، لو أتيتنى بقراب^(١٣٠١) الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً..)(١٣٠٢) .

فهذا المشرك بالله سيتولى العنق كذلك تصفية الحساب معه فى نار جهنم التى فيها ما فيها من الأهوال والشدائد التى لا تخطر على بال إنسان . والعياذ بالله منها .

(وبالمصورين): أى الذين يصنعون الصور .. يعنى يُشكِّلُونَهَا من الجبس - أو غيره - على هيئة شىء من الحيوانات أو الطيور .. فقد ورد بالإضافة إلى أن العُنق سيقوم بتصفية الحساب معهم.

(١٣٠٠) النساء: ٤٨ .

(١٣٠١) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا.

(١٣٠٢) والحديث رواه أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى .. وهو حديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح . (وهو الحديث الثانى والأربعون) فى الأربعين النووية .

(عن) عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ). [رواه البخاري ومسلم]

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنْ أَشَدَّ النَّفْسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ). [رواه البخاري ومسلم]

(قال) النووي: (قال العلماء: تصوير الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، وسواء صنعه لما يُمتَهَنُ أم لغيره، سواء كُتِبَ قِي ثَوْبٍ أَوْ بِسَاطٍ أَوْ دَرَاهِمٍ أَوْ فِلَسٍ^(١٣٠٣) أَوْ إِنَاءٍ أَوْ حَائِظٍ أَوْ غَيْرِهَا .. وَأَمَّا تَصْوِيرُ مَا لَيْسَ فِيهِ صُورَةُ حَيَوَانَ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ) . وقال في الفتح: (وخصَّ بعضهم الوعيد الشديد بمن صورَ قاصداً أن يُضاهي فإنه يصير بذلك القصد كافراً) .

وفي الحديث الثاني يشير النبي ﷺ إلى خطورة تلك النار التي لا بد أن يعمل لها المؤمن ألف حساب حتى لا يكون من المعذبين فيها - أو بها - ولو بأهون عذاب .. (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ناركم هذه التي تُوقدون، جزء واحد من سبعين جزءاً من حرِّ جهنم) قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: (فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً كلهنَّ مثل حرِّها).

[أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وقال: حسن صحيح]

(وعن) ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لو أن قطرةً من الزقوم^(١٣٠٤) فطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟).

[أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح]
هذا، وإذا كان لي بعد هذا أن أبشِّرُ الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. فإنه حسبي أن أذكرهما بهذين الحديثين الشريفين (فعن) أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ). ثم يقول الله تعالى:

(١٣٠٣) وهو نوع من المال .

(١٣٠٤) (الزقوم) شجرة من أخيث الشجر المر في تهامة تبت في أصل الجحيم طلعها كزوس الحيات إذا أكل أهل النار منه يغلى في بطونهم كغلى الحميم .

أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيُخرجون منها قد اسودّوا، فيلقون فى نهر الحياة (١٣٠٥)، فينبئون كما تنبت الحبة فى جانب السيل. ألم تر أنها صفراء ملتوية). [أخرجه الشيخان والنسائى]

(وعن) أنس رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة (١٣٠٦) من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن بُرة (١٣٠٧) من خير، ويخرج (١٣٠٨) من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير).

[أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح]

اللهم إننا نسألك الجنة، اللهم إننا نعوذ بك من النار .. اللهم آمين،،

(٨٦) من هو الرجل .. الذى يقاتل

فى سبيل الله .. يا رسول الله؟

عن أبى موسى رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يُقاتل للمغنم (١٣٠٩)، والرجل يُقاتل ليذكر (١٣١٠)، والرجل يُقاتل ليرى مكانه (١٣١١). فمن فى سبيل الله (١٣١٢)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله).

[رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

(١٣٠٥) (نهر الحياة) نهر يحيا به من انغمس فيه.

(١٣٠٦) أى: وزن حبة الشعير .

(١٣٠٧) أى: وزن حبة القمح .

(١٣٠٨) (يخرج) بفتح أوله وضم الراء. ويروى بالمكس، ويؤيده قوله فى رواية: (أخرجوا) ص ٣٤٦ .

ج ٣ تحفة.

(١٣٠٩) أى: لأجل الحصول على الغنيمة والأسلاب .

(١٣١٠) أى: ليذكره الناس ويحمدوه ويشنوا عليه بالشجاعة ونحو ذلك .

(١٣١١) يعنى: ليراه الناس فى صفوف المقاتلين .

(١٣١٢) يعنى: فمن الذى يكون قتاله فى سبيل الله .

فهذا الجواب الذى جاء فى ختام هذا الحديث: من جوامع كلمه ﷺ، فقد حدّد به دائرة القتال فى سبيل الله، ليُعلم أن كل ما خرج عن هذه الدائرة فليس فى سبيل الله، وهذه الدائرة تنحصر فى أن يكون القصد من القتال هو أن يعز دين الله ويغلب، وتكون كلمته هى العليا.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد، وهو يُريدُ عرضاً من الدنيا (١٣١٣)؟ فقال رسول الله ﷺ: (لَا أُجْرَ لَهُ)؛ فأعظمَ ذلك الناس (١٣١٤)، وقالوا للرجل: عدُّ لرسول الله ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهَمْهُ (١٣١٥)، فقال الرجل: يا رسول الله رجل يُريدُ الجهاد فى سبيل الله، وهو يبتغى عرضَ الدنيا؟ قال: (لَا أُجْرَ لَهُ)، فأعظمَ ذلك الناس، وقالوا: عدُّ لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة: رجل يُريدُ الجهادَ وهو يبتغى عرضاً من الدنيا؟ فقال: (لَا أُجْرَ لَهُ). [رواه أبو داود، وابن حبان فى صحيحه والحاكم باختصار وصححه]

وهذا الحديث يشير إلى أن الرجل - هذا - لم يخلص فى نيته، بل أشرك فيها مع الجهاد رغبة فى الحصول على حُطام العاجلة، والله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى.. فهو القائل فى قرآنه: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١٣١٦).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنية .. وفى رواية: بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنْيا يُصِيبها، أو امرأة يَنكِحُها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

[رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى] (١٣١٧)

(١٣١٣) يعنى: أنه يريد الأمرين معاً أن يظفر بأجر الجهاد، وأن ينال من الغنيمة .

(١٣١٤) أى: عدوه أمراً عظيماً أن يضع أجر المجاهد إذا قصد معه الحصول على الغنيمة.

(١٣١٥) أى: لعلك لم تُحسن التغيير فلم يفهم مرادك من السؤال .

(١٣١٦) الكهف: من الآية ١١٠ .

(١٣١٧) انظر ص ٤٩٣، وما بعدها ٤٩٥ وما بعدها (من الترتيب والترهيب) ج ٢ مع الهامش بتصرف.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يحرصا على الصدق فى النية .. ولاسيما فى ميدان الجهاد فى سبيل الله .. وحسبهما ما وقفا عليه .. والله ولى التوفيق..

(٨٧) أَى النِّسَاءِ خَيْرٌ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: (سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَى النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ ^(١٣١٨)، وَتَطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تَخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قَالَ: (تُنَكِّحُ الْمَرَأَةَ لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا. فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ ^(١٣١٩)).

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا: الْمَرَأَةُ الصَّالِحَةُ).

وهذا معناه ^(١٣٢٠).. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَرِّضُ أُمَّتَهُ عَلَى نِكَاحِ الْإِبْرَارِ الْحَسَّانِ، وَذَوَاتِ الدِّينِ.. فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ جَابِرٌ رضي الله عنه ثَيِّبًا، قَالَ لَهُ: (هَلْأَبْكُرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ).

كَمَا كَانَ ﷺ يَحْتُ عَلَى نِكَاحِ الْوَالِدِ، وَيَكْرَهُ الْمَرَأَةَ الَّتِي لَا تَلِدُ - كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ - عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ -: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (إِنِّي أَصْبِتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَاتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا. ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَنَهَاها. ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَالِدِ الْوَالِدِ، فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمِ).

(١٣١٨) كذا بالزاد، والفتح الكبير ٩٦/٢ . وهو الملائم . وفى الأصل زيادة: (إليها) ولعلها من الناسخ أو الطابع (كذا قال فى الطب النبوى ص ١٩٦ هامش).

(١٣١٩) كلمة معناها: الحث والتحريض، وقيل: هى دعاء عليه بالفقر .. وقيل: لكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما، بل لكل منهما، والآخر هنا أظهر .

(١٣٢٠) كما جاء فى (الطب النبوى) لابن قيم الجوزية .. طبعة دار إحياء التراث العربى - بيروت لبنان - ص ١٩٦، وما بعدها .

وقد أشار (فى الطب النبوى)، إلى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بالجماع، فقال:

(ومما) ينبغى تقديمه على الجماع: ملاعبته المرأة وتقبيلها، ومصُّ لسانها. (وكان) رسول الله ﷺ، يلعب أهله ويُقبِّلها. وروى أبو داود فى سننه: (أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمصُّ لسانها). ويذكر عن جابر بن عبدالله، قال: (نهى) رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة).

وكان رسول الله ﷺ: ربما جامع نساءه كلَّهن بغُسل واحد، وربَّما اغتسل عند كل واحدة منهن . فروى مسلم فى صحيحه، عن أنس: (أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسل واحد) . روى أبو داود فى سننه - عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ : (أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة، فاغتسل عند كل امرأة منهن غُسلًا . فقلت: يا رسول الله لو اغتسلت غُسلًا واحدًا ؟ فقال: هذا أظهُرُّ وأطيبُ) .

ثم يقول فى (الطب النبوى): (وشرُّع) للمُجامع - إذا أراد العود قبل الغُسل - الوضوء بين الجماعين، كما روى مسلم فى صحيحه - من حديث أبى سعيد الخدرى - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود: فليتوضأ^(١٣٢١)) . وفى الغُسل والوضوء بعد الوطء من النشاط وطيب النفس، وإخلاف بعض ما تحلَّ بالجماع، وكمال الطُّهر والنظافة، واجتماع الحار الغريزىِّ إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع، وحصول النظافة التى يُحبها الله ويُبغضُ خلافها: ما هو من أحسن التدبير فى الجماع، وحفظ الصحة والقوى فيه .

ثم بعد ذلك يشير إلى (فصل) هامٍّ، فيقول فيه: (وأُنفَع) الجماع: ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن: فى حره وبرده، ويُبوسِّته ورطوبته، وخلاؤه وامتلأه، وضرره عند امتلاء البدن: أسهلُّ وأقلُّ من ضرره عند خُلُوِّه. وكذلك

(١٣٢١) وهذا ما ذهب إليه الجمهور. مع ملاحظة أن وضوء الجماع لا يتقضى إلا بجماع آخر . (وأن هذا الوضوء لا يُصلَّى به .. ولكنه لتجديد النشاط .

ضرره. عند كثرة الرطوبة: أقل منه عند اليبوسة. وعند حرارته: أقل منه عند بروتته. وإنما ينبغي أن يُجامع: إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف، ولا فكر فى صورة، ولا نظر متتابع . (ولا ينبغي) أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلمها، ويحمل نفسه عليها . (وليبادر) إليه: إذا هاجت به كثرة المنى، واشتد شبقه. (١٣٢٢). (وليحذر) جماع العجوز، والصغيرة - التى لا يُوطأ مثلها، والتى لا شهوة لها - والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة.. فوطء هؤلاء يُوهن القوى ويضعفُ الجماع بالخاصية .. إلى أن يقول:

وفى جماع البكر: من الخاصية، وكمال التعلق بينها وبين مُجامعها، وامتلاء قلبها من محبته، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره - ما ليس للثيب، وقد قال النبى ﷺ (هلاً تزوجت بكراً!).

وجماع المرأة المحبوبة فى النفس يقلُّ إضعافه للبدن مع كثرة استقراغه للمنى.

وجماع البغيضة يحلُ البدن، ويوهن القوى مع قلة استقراغه.

وجماع الحائض حرام طبعاً وشرعاً: فإنه مضرٌ جداً، والأطباء قاطبة تحذّر منه .

ثم بعد ذلك يقول: (وأحسن) أشكال الجماع: أن يعلو الرجل المرأة مُستفرشاً لها، بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سُميت المرأة فراشاً، كما قال ﷺ: (الولد للفراش). وهذا من تمام قوامة الرجل على المرأة، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (١٣٢٣).

وأردأ أشكال الجماع: أن تعلوه المرأة، ويجامعها على ظهره. وهو خلاف الشكل الطبيعى الذى طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى وفيه من المفاسد: أن المنى يتعسرُ خروجه كُله، فربما بقى فى العضو منه بقية: فيتعفنُ ويفسد، ويضر .. (وأيضاً): فربما سال إلى الذكّر رطوبات من الفرج.

(١٣٢٢) قد يكون المراد هو اشتياقه الزائد بالإضافة إلى استعداده التام.

(١٣٢٣) النساء: من الآية ٣٤ .

(وأيضاً): فَإِنَّ الرَّحْمَ لَا يَتِمَّكَنُ مِنَ الْاِشْتِمَالِ عَلَى الْمَاءِ (١٣٢٤)، واجتماعه فيه، وانضمامه عليه .. لتخليق الولد (وأيضاً): فَإِنَّ الْمَرْأَةَ مَفْعُولٌ بِهَا طَبَعًا وَشَرْعًا، وإذا كانت فاعلة: خالفت مقتضى الطبع والشرع.

وأما عن نكاح المرأة في دبرها: فهو حرام بالإجماع، ولم يُبَحَّ قَطُّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

وفى سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ملعون مَنْ أَتَى الْمَرْأَةَ فِي دُبُرِهَا)، وفى لفظ لأحمد وابن ماجه: (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا) وفى لفظ الترمذى وأحمد: (مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ). وفى لفظ للبيهقى: (مَنْ أَتَى شَيْئًا - مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ - فِي الْأَدْبَارِ: فَقَدْ كَفَرَ).

وفى المسند عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. فقال: وما الذى أهلكك؟ قال: حَوَّلْتُ رَحْلِي الْبَارِحَةَ (١٣٢٥) قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْتٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتِكُمْ أَنْتُمْ...﴾ (١٣٢٦) - ثم قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه - أقبِلْ وَأُدْبِرْ، وَاتَّقِ الْحَيْضَةَ وَالِدُبْرَ).

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. والله ولى التوفيق،

(٨٨) أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أى الناس خير؟ قال: (مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ) قال: فأى الناس شرٌّ؟ قال: (مَنْ طَالَ

(١٣٢٤) أى: المني.

(١٣٢٥) يعنى: أنه كان قد جامع زوجته فى القبل ولكن من ناحية الدبر.

(١٣٢٦) والحرت أى الفرج .. ومعنى (أنتى شتمت) أى: من حيث شتمت .. من أمام أو من خلف .. فى الفرج .. والآية فى سورة البقرة ٢٢٣.

عُمره وساء عمله).

[أخرجه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح، والطبرانى والحاكم والبيهقى بسند صحيح]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: ألا أنبئكم بخيركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: (خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً).

[أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى بسند رجاله رجال الصحيح]

وهذا معناه ^(١٣٢٧)، أن طول العمر مع حُسن العمل .. له أثر عظيم فى السعادة وضدها .. لأنه كلما طال عمر الإنسان كثر عمله، واطلع على أحوال الدنيا وتقلباتها (فإن) اتعظ بكثرة من مات وما يقع من الشدائد، فزهد فى الدنيا وأكثر من عمل الخير والبرِّ: كَثُرَتْ حَسَنَاتِهِ، وَكُفِّرَتْ سَيِّئَاتِهِ، وَرَفَعَتْ دَرَجَاتِهِ، وَقَبِلَهُ مَوْلَاهُ إِذْ لَمْ يَرِهِ حَيْثُ نَهَا، وَلَمْ يَفْقِدِهِ حَيْثُ أَمَرَهُ، فَكَانَ سَعِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(١٣٢٨)

(وإن لم يتعظ) ويعتبر بتقلبات الدهر وشغلته دنياه عن طاعة مولاه كان طول عُمره وبالاً عليه، وليس له عُذر عند الله عز وجل بعد أن مدَّ فى عمره ومكَّنه من الطاعة فأبى أن يُطيع مولاه، قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا بِتَذَكُّرٍ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ ^(١٣٢٩)

فمعنى: (أو لم نُعمركم): استفهام توبيخى، أى: أو ما عشتُم فى الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لعملتم به فى مدة عمركم، أو المعنى: أو لم نُعمركم تعميراً يتذكر فيه مَنْ تَذَكَّرَ . وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه، فقصر، إلا أن التوبيخ فى المتناول أعظم . واختُلف فى مقدار العمر هنا، والصحيح أنه ستون أو سبعون سنة (لحديث) أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(١٣٢٧) كما جاء فى (الدين الخالص) ج ٧ ص ١٦، وما بعدها بتصرف .

(١٣٢٨) النحل: ٩٧ .

(١٣٢٩) فاطر: ٣٧ .

(أعذر الله إلى امرئٍ آخرٍ أجله حتى بلغه ستين سنة).

[أخرجه البخارى] (١٣٣٠)

وفى رواية لأحمد والطبرانى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (لقد أعذر الله تعالى إلى عبدٍ أحيأه حتى ستين أو سبعين سنة، لقد أعذرَ اللهُ إليه، لقد أعذرَ اللهُ إليه).

(فالإنسان) لا يزال فى ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع فى النقص والهرم . ولما كان هذا هو العمر الذى يعذر الله إلى عباده به، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة (فعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك).

[أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال: حسن] (١٣٣١)

(ومعنى) قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ يعنى: الشيب . والصحيح أن النذير هو النبى ﷺ كما رواه أبو الحسن رزين بن معاوية عن ابن عباس . (ومعنى)، (فقد أعذر الله إليه) .. أى: لم يبق له اعتذاراً حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر . فالإعذار إزالة العذر، ومنه قولهم: (أعذر من أنذر) أى: أتى بالعذر وأظهره .. (وإنما) كانت الستون أو السبعون حداً لهذا .. لأنها قريبة من معترك المنيا، وهى سنُّ الإنابة والخشوع وترقب النية .. فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من الله بعباده حيث نقلهم من الجهل إلى العلم، ثم أعذر إليهم فلم يُعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فُطروا على حبِّ الدنيا، وطول الأمل، لكنهم أُمرُوا بالمجاهدة للنفس .. ليمتثلوا ما أُمرُوا به وينزجروا عما نُهوا عنه.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل المجاهدة إلى آخر لحظة فى حياتهما.. عسى أن يُختم لهما بالخير إن شاء الله . والله ولى التوفيق،،

(١٣٣٠) انظر: ص ١٨٨ ج ١١ فتح البارى .

(١٣٣١) انظر: ص ٢٦٤ ج ٣ تحفة الأحوذى.

(٨٩) أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. تَكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله أَرَأَيْتَ (١٣٣٢) إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ (١٣٣٣)؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ (١٣٣٤)) ثم قال رسول الله ﷺ: (كَيْفَ قُلْتَ (١٣٣٥)؟) قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم. إِنْ قُتِلْتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ إِلَّا الدِّينَ، فَإِنْ جَبْرَيْلُ قَالَ لِي ذَلِكَ (١٣٣٦)).

[رواه مسلم وغيره]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ). [رواه مسلم]

أى: أن الله تبارك وتعالى يغفر له جميع الذنوب التي تتعلق بحق الله عز وجل من الصغائر والكبائر .. وأما ما يتعلق بحقوق الآدميين من دين ونحوه فلا يسقط إلا بتجاوزهم عنها .

ولهذا، فقد قال الإمام النووي في كتابه (رياض الصالحين) تحت عنوان: (باب التوبة): قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين

(١٣٣٢) معناه: أعلمني أو أخبرني .

(١٣٣٣) أى: جميعها بحيث لا يبقى على منها شيء .

(١٣٣٤) يعنى: إِنْ قُتِلْتَ وَأَنْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مَرِّ الْجِهَادِ وَهَوْلِهِ وَمِنْ احْتِسَابِ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَادْخَارِ ثَوَابِهِ عِنْدَهُ، وَمِنْ الْإِقْبَالِ وَالْهَجُومِ عَلَى الْعَدُوِّ وَعَدَمِ الْفِرَارِ وَالْهَزِيمَةِ كُنْتَ بِذَلِكَ مُسْتَحَقًّا لِأَنْ يَغْفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ .

(١٣٣٥) طلب منه عليه السلام أن يُعيد عليه السؤال مرة أخرى .

(١٣٣٦) يعنى: أن جبريل أمرني أن أسئتي الدين من الذنوب التي تكفرها الشهادة .

العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يُقْلَع عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .. فإن فقد أحدَ الثلاثة لم تَصِحَّ توبته - ثم يقول -: وإن كانت المعصية تتعلَّق بآدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة - أى الماضية - وأن يبرأ من حَقِّ صاحبها، فإن كان مالاً أو نحوه رَدَّه إليه ، وإن كان حَدَّ قَذْفٍ ونحوه مَكَّنَّه منه (١٣٣٧) أو طلب عفوه، وإن كان غيبة - أو نائمة - استحلَّه منها (١٣٣٨) - ثم يقول: ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها: صحَّتْ توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي.

وعلى هذا .. فإنه ينبغي على الأخ المسلم وعلى الأخت المسلمة.. أن يلاحظا هذا بصفة خاصة .. حتى يسارعاً بسداد ديونهما .. (وقد قرأتُ لأحد الصالحين قوله: (العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السنة: إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب).

(وعليهما) أيضاً أن يحرصا على الشهادة فى سبيل الله (فعن) أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (ما أحدٌ يدخلُ الجنةَ يُحبُّ أن يرجعَ إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شيء ^(١٣٣٩) إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجعَ إلى الدنيا فيقتلَ عشرَ مراتٍ ^(١٣٤٠) لما يرى من الكرامة ^(١٣٤١)) وفى رواية (لما يرى من فضل الشهادة).

[رواه البخارى ومسلم والترمذى]

نسأل الله تعالى أن يكرمنا بها .. اللهم آمين،،

(١٣٣٧) أى: مكَّنه من نفسه كما فعل أبو ذر رضى الله عنه وكان قد قال لسيدنا بلال: يا بن السوداء .. فلما علم النبى ﷺ بهذا، حزن وتالم .. ثم قال لأبى ذر: أَعَيَّرْتُهُ بِأُمة إنك امرؤ فيك جاهلية - أى: لا زالت فيك رواسب الجاهلية - فما كان من أبى ذر إلا أن وضع حَدَّه على الأرض ثم طلب من بلال أن يطأ وجهه بقدمه عقاباً له .. وتأديباً له .. ولكن بلالاً أبى وعفاً عن صاحبه .

(١٣٣٨) أى: طلب منه المسامحة .. بدون سرد للتفاصيل حتى لا يُحىي الخلافات التى من الأفضل عدم التذكير بها حتى تُنسى .

(١٣٣٩) أى: وإن له الدنيا وما فيها.

(١٣٤٠) ولا مفهوم للعدد بل المراد الكثير فلعله يتمنى أكثر من ذلك .

(١٣٤١) أى: كرامة الشهيد على الله وعظيم منزلته عنده .

(٩٠) لماذا تلت: وجبتَ عندما مرّت جنازةُ الصالح

ولماذا تلت: وجبتَ عندما مرّت جنازةُ الطالح .. يا رسول الله؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرّوا على النبي صلى الله عليه وآله بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال: (وجبت)، ثم مرّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: (وجبت) ثم قال: (إن بعضكم على بعضٍ شهيدٌ). [رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه]

وعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ بجنازة فأثنى عليها خيراً، فقال نبي الله صلى الله عليه وآله: (وجبت وجبت وجبت)، ومرّ بجنازة فأثنى عليها شراً، فقال نبي الله صلى الله عليه وآله: (وجبت وجبت وجبت)، فقال عمر: فذاك أبي وأمي، مرّ بجنازة فأثنى عليها خيراً، فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرّ بجنازة فأثنى عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض).

[رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه]

(وقد قرأتُ تعليقاً على هذا الحديث (١٣٤٢) جاء فيه: أن هذا مخصوص بالصحابه رضى الله عنهم لأنهم جميعاً عدول لا ينطقون إلا بالحكمة، (وقيل): بل هم ومن كان على صفتهم فى الإيمان . (وقال) النووى: قيل هذا مخصوص بمن أثنى عليه أهل الفضل ، وكان ثنائهم مطابقاً لأفعاله ، فهو من أهل الجنة، والصحيح أنه على عمومه وإطلاقه، وأن أى مسلم مات فألهم الله الناس أو معظمهم الثناء عليه. كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضى ذلك أم لا، فالهام الله تعالى الثناء عليه دليل على أنه شاء المغفرة له، وبهذا تظهر فائدة الثناء، وإلا فإذا كانت أفعاله مقتضية للجنة لم يكن للثناء فائدة .

(١٣٤٢) فى الجزء الرابع من (الترغيب والترهيب) للمنذرى ص ٦٥٣ وما بعدها (هامش)، باب الترغيب فى الدعاء للميت وإحسان الثناء عليه .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يحرصاً على أن يكونا من أهل الخير .. وحتى يفوزا بثناء الصالحين فى حياتهم وبعد مماتهم .. فيكونا بسبب هذا إن شاء الله أهلاً لدخول الجنة .. - كما جاء فى نص الحديث الأخير - بالإضافة إلى ما ورد (عن) أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدينين ^(١٣٤٣) إنهم لا يعلمون إلا خيراً، إلا قال الله : قد قبلتُ علمكم فيه ^(١٣٤٤)، وغفرتُ له ما لا تعلمون ^(١٣٤٥)).

[رواه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه]

والله الموفق للخير الذى نسال الله تعالى أن يجعلنا أهلاً له، اللهم آمين،

(٩١) هل فى المال حقٌ سوى الزكاة .. يا رسول الله؟

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: سألتُ أو سئلتُ النبي صلى الله عليه وسلم عن الزكاة، فقال: **إن فى المال لحقاً سوى الزكاة، ثم تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية ^(١٣٤٦).** [رواه الترمذى]

(ففى) هذا الحديث الشريف - موضوع الفتوى - يُجيبُ النبي صلى الله عليه وسلم بأن المال فيه حق آخر غير هذا الحق المعلوم الذى يُعطى للفقراء والمساكين - وغيرهم من المذكورين فى الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة ^(١٣٤٧) - وذلك بعد بلوغ النصاب وتمام الحَوْل .. الخ.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد تلك الإجابة قد تلا آية البر التى جمعت على إيجازها جميع مكارم الأخلاق..(فقد) جمعت بين الإيمان والعمل، وبين حقوق الله وحقوق العباد، وبين جهاد النفوس وجهاد الأعداء، وبين صلاح الأفراد والجماعات.

(١٣٤٣) أى: الأقربين منه المجاورين له .

(١٣٤٤) يعنى: قبلت عمله الذى شهدتم به بناء على علمكم به .

(١٣٤٥) أى: وغفرت له ما خفى عليكم من ذنوبه وقبائح.

(١٣٤٦) رقم ١٧٧ من سورة البقرة .

(١٣٤٧) وهى التى أولها: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين ..).

(ولهذا) فقد رأيتُ حتى ننتفع بهذه الآية الكريمة أن أقف مع الأخ المسلم على أهم ما يتعلق بهذه الآية من تفسيرات (١٣٤٨) ، (فقد قرأتُ: أن البرَّ) بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان.. فمن نصب: جعله خبراً لليس مقدماً، (وأن تُؤلَّوا): فى تأويل مصدر اسمها مؤخر .. (ومن) رفع: جعله اسمها، وأن تُؤلَّوا خبرها. وأن البرَّ: اسم جامع لكل خير، كما أن الإثم جامع لكل شر.

وقد نزلت هذه الآية ردًا على اليهود والنصارى ، فقد زعم النصارى أن البرَّ فى استقبال جهة طلوع الشمس .. وزعم اليهود: أن البرَّ فى استقبال بيت المقدس .. فالمراد بالمغرب ما عدا المشرق، فيشمل جهة الشمال .. وقبل بكسر القاف وفتح الباء: ظرف مكان معناه جهة، وقيل: نزلت ردًا على المسلمين .. وكانوا فى صدر الإسلام قد أمرُوا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأى جهة كانت .. فالمعنى: ليس كما تعتقدون أنه مقصور على الإيمان والصلاة فقط، بل هو من جميع هذه الخصال، والأظهر الأول.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: أى ذَا البرِّ. وقرئ بفتح الباء، أى البار.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أى صدَّق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كل كمال ويستحيل كل نقص .

﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرِ﴾ (١٣٤٩): أى ما يتعلق به من الحشر والنشر والصراف والميزان والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب .

﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أى أنهم عباد مُكرمون، وأنهم أجسام نورانية لا يُوصفون بذكورة ولا أنوثة، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم]

﴿وَالْكِتَابِ﴾: أى الكتب المنزلة من عند الله على أنبيائه. (وهى) القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى .. (والمطلوب) من الأخ المؤمن والأخت المؤمنة: أن يؤمنا بجميع الكتب المنزلة، وأن يعملنا بالقرآن وحده

(١٣٤٨) كما جاء فى (التفسير الوسيط) بتصرف .

(١٣٤٩) البقرة: ١٧٧ . وقد سُمى يوم القيامة باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده .. فهو آخر يوم .

.. لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى تكفل الله تعالى بحفظه .. فهو القائل سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٣٥٠) أى: لحافظون له من التحريف الذى حدث بالنسبة للكتب المنزلة الأخرى.

﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾: أى إجمالاً فى الإجمالى، وتفصيلاً فى التفصيلى .. (فيجب) الإيمان بخمسة وعشرين منهم (١٣٥١) - مع حفظ أسمائهم - وهم المذكورون فى القرآن الكريم - وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

حَتْمًا عَلَى كُلِّ ذِي التَّكْلِيفِ مَعْرِفَةٌ

بِأَنْبِيَاءٍ عَلَى التَّفْصِيلِ قَدْ عُلِّمُوا

فِي تِلْكَ حُجَّتِنَا (١٣٥٢) مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ

مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُوا

إِدْرِيسُ، هُودٌ، شُعَيْبٌ، صَالِحٌ، وَكَذَا

ذُو الْكُفْلِ (١٣٥٣) آدَمُ بِالْمَخْتَارِ (١٣٥٤) قَدْ حُتِّمُوا

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾: أى: على حبه للمال، بأن يُعْطِيهِ مع كونه يحبه لنفسه، وَيُحْتَمَلُ أن المعنى مع حبه لله بأن يعطيه مع كونه يحب الله، وَكُلُّ صَحِيحٍ .

﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: أى القرابة، فأعطاء الأقارب مُقَدِّمٌ لأن فيه قُرْبَتَيْنِ: الصدقة وصله الرحم، روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ قوله: (إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ). وروى الطبراني عن النبي ﷺ قوله: (إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي قَرَابَةٍ يُضَعَّفُ أَجْرُهَا مَرَّتَيْنِ) .

﴿وَالْيَتَامَى﴾: أى الفقراء منهم - واليتيم هو من مات أبوه وهو دون البلوغ

(١٣٥٠) الحجر: ٩ .

(١٣٥١) بالإضافة إلى جميعهم .

(١٣٥٢) أى: فى الآية رقم ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦ من سورة الأنعام .

(١٣٥٣) وهو نبي من الأنبياء عليهم السلام كما جاء فى الآية ٨٥ من سورة الأنبياء .

(١٣٥٤) وهو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

تذكراً كان أم أنثى - فالبرُّ بهم عطف عليهم ورعاية لهم، وهم أولى بالعطف والرعاية عوضاً عما فقدوا من الآباء، وقد أعظم النبي ﷺ فضل كافل اليتيم، فقال: (أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وأشار بسبابته والوسطى).

[رواه البخارى وغيره]

(وقد) عنى الإسلام بالحض على رعاية الأيتام ليكونوا - فى مستقبلهم - نافعين لأنفسهم وأمتهم، بدل أن يهملوا، فينشأوا وفى أنفسهم عقد نفسية فيكون منهم اللصوص وقطاع الطريق والفاسدون والمفسدون، ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ لِإِخْوَانِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدِينَ مِنَ الْمَصْلِحِ ﴾ (٥٠).

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: وهم الذين لا يجدون ما يحفظ حياتهم إلا بشقِّ الأنفس، ومن كان عمله لا يفى بحاجته فهو مسكين، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (٥٠٠). (وفى) الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ليس المسكين بهذا الطوائف الذى تردُّه التمره والتمرتان، واللقمه واللقمتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه).

﴿وَأَيْنَ السَّبِيلِ﴾: أى المسافر الغريب ولو (غنياً) ببلده. (ويشترط) فى استحقاقه: أن يكون سفره مباحاً - أى: سفر طاعة لا سفر معصية -.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: وهم الذين يسألون الناس، والسائل ينبغي أن تُعطيه إلا إذا تحققت أنه غير محتاج. (وقد) ورد فى الحديث: (أَعْطُوا السَّائِلَ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ). [رواه أبو داود بسند حسن] (١٣٥٥).

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أى المكاتبين ليستعينوا على فكِّ رقابهم من الرقِّ (١٣٥٦). والأسرى ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة.

(٥٠) سورة البقرة: آية ٢٢٠.

(٥٠٠) سورة الكهف: آية ٧٩.

(١٣٥٥) بلفظ: (للسائل حق وإن جاء على فرس).

(١٣٥٦) أى: العبودية.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: بأركانها وشروطها .

﴿وَأْتِ الزَّكَاةَ﴾: أى المفروضة لمستحقيها .

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: أى إذا عاهدوا الله أو الناس - والموفون:

معطوف على مَنْ آمَنَ، والتقدير: ولكن البر المؤمنون والموفون .. قال تعالى
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١٣٥٧) . وروى البخارى أنه ﷺ قال: (آيَةٌ
للمنافق ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذِبًا، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُوْتِمِنَ خَانَ) . (وقد)
ضرب النبي ﷺ أروع مَثَلٍ على هذا - فى صلح الحديبية - فى الوفاء بالعهد،
على الرغم مما كان فيه من إجحاف المسلمين ، فعوَّضه الله بسبب هذا الوفاء
وأثابه فتحًا مبيِّنًا .

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: نصب على المدح، أى: بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين

وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة، وتركه يشينها.

﴿فِي الْبِئْسَاءِ﴾: أى: فى الفقر والشدة، فلا يشكون لأحد غير الله لأنه سبحانه

وتعالى يحب الملحين فى الدعاء .

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: أى: حين الجهاد فى سبيل الله، وأطلق عليه ذلك لما فيه من

البأس أى الشدة: فلا يفر من الأعداء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: أى: فى إيمانهم وادعاء البر .

والصدق هنا: هو الإخلاص، ويطلب فى العبادات والمعاملات .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: أى: الكاملون فى التقوى .

والتقوى: المراد بها الخوف من الله تعالى، فإذا امتلأ بها قلب العبد أخلص

لربه فى السر والعلن، والغضب والرضا، والحب والبغض، واليسر والعسر.

(هذا) وإذا كانت آية البر قد خُتِمَتْ بقوله تعالى فى وصف أهل البر ﴿وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ .

فقد رأيت حتى نحرص على أن نكون منهم إن شاء الله أن أقف مع الأخ

(١٣٥٧) الإسراء من الآية ٣٤ .

المسلم على وصف المتقين كما وصفهم الإمام على كرم الله وجهه .. يوم أن قال أحدهم: يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم.

فقال عليه رضوانُ الله تعالى: (إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم).

ثم يقول: (فالمثقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لا يرضون من أعمالهم بالقليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون).

(ومن) علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمُّ الشكر، ويصبح وهمُّ الذكر، يمزج الحلم والعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، مكظوماً غيظه، ميتة شهواته، الخير فيه مأمول، والشر فيه مأمون، يعفو عن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشهُ، بيئاً قوله، غائباً منكروه، حاضرأ معروفه، مقبلاً خيره، مُدبراً شره، فى الزلازل وقور، وفى المكاره صبور، وفى الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأنم فيمن يُحب، يعترف بالحق قبل أن يُشهدَ عليه، لا يدخل فى الباطل، ولا يخرج من الحق، نفسه منه فى عناء، والناس منه فى راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناسَ من نفسه، بُعدُه عن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخدعة

فلاحظ كل هذا أذا الإسلام، ونفذ المراد من هذه الفتوى من خلال تنفيذ ما جاء فى آية البر من أبواب الخير المفتوحة على الدوام .. واحرص كل الحرص على أن تكون من أهل الصدق ومن أهل التقوى .. حتى تكون من أهل المغفرة إن شاء الله تعالى . والله ولى التوفيق،،

(٩٢) أَخْبَرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أُمُورٍ؟

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ (١٣٥٨) وَعَرَضَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى (١٣٥٩) يَوْشِكُ (١٣٦٠) أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنْ لَكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنْ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ، إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).

[رواه البخارى ومسلم]

فهذا الحديث الشريف المتفق عليه .. من الأحاديث الهامة التي تُبنى عليه أحكام الإسلام كُلِّها.. (وذلك) (١٣٦١): لأن الرسول ﷺ فيه قَسَمَ الأحكام إلى حلال بَيْنَ .. أى: بَيْنَتِهِ الشريعة فى نصوصها، وإلى حرام بَيْنَ بَيْنَتِهِ الشريعة كذلك .. وإلى أُمُورٍ أُخْرَى اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَهِيَ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ الْوَرَعُ اتِقَاؤُهَا، صِيَانَةُ لِدِينِهِ وَعَرَضُهُ .. كَمَا بَيْنَ ﷺ كَذَلِكَ فِي خَتَامِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنْ مَدَارَ صِحَّةِ الْأَدْيَانِ وَالْأَبْدَانِ عَلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ، وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْآفَاتِ .. (وقد قرأت أنه كالمالك بالنسبة للرعية إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية .

ولهذا، فقد قال عنه الإمام النووى فى شرح مسلم: أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار

(١٣٥٨) أى: طلب البراءة من الخطأ والعار .

(١٣٥٩) الحمى: ما حماه الملك لنفسه من أرض، لا يسمح لأحد أن يدخلها إلا بإذنه .

(١٣٦٠) يوشك: أى يقرب أن يدخله ويرعى فيه إبله، أو ماشيته .. وهذا بالطبع سِعْرَضُهُ لما لا يُحمد عقباه إن حدث هذا .

(١٣٦١) كما قال صاحب كتاب (الفقه الواضح) فى الجزء الأول ص ٢١ وما بعدها.

(وقد قرأت كذلك حول شرح هذا الحديث (١٣٦٣) العظيم كلاماً هاماً فى الأربعين النووية)، جاء فيه:

قوله ﷺ: **إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات .. الخ**: اختلف العلماء فى حدِّ الحلال والحرام .. فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دلَّ الدليل على حِلِّه . وقال الشافعى رضى الله عنه: الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

(وقوله ﷺ: **وبينهما أمور مُشْتَبِهَات**): أى بين الحلال والحرام أمور مُشْتَبِهَة بالحلال والحرام .. فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة .. وكان السؤال عنه بدعة .. وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه .

(وقوله ﷺ: **فمن اتقى الشُّبُهَات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**): أى طلب براءة دينه وسَلَمٍ من الشُّبُهَة .. وأما براءة العرض، فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السَّفَهَاء بالغيبة، ونسبوه إلى أكل الحرام .. فيكون مَدْعَاة لوقوعهم فى الإثم .. وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفَنَّ مواقف النَّهَمِ).

وعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فَرُبَّ سَامِعٍ نُكْرًا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَهُ عَذْرًا) .. وفى صحيح الترمذى أنه عليه الصلاة والسلام قال: (إذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف)، وذلك لئلا يقال عنه أحدث (١٣٦٤) .

وقوله عليه الصلاة والسلام: (فمن وقع فى الشُّبُهَاتِ وقع فى الحرام): يحتمل أمرين، أحدهما: أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام . والثانى:

(١٣٦٢) ج ١١ ص ٤٧ .

(١٣٦٣) رقم ٦ فى شرح الأربعين النووية الطبعة السادسة شركة الشمرلى - القاهرة .

(١٣٦٤) أى: أخرج ربحاً - مثلاً .

أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام .. كما يُقال: المعاصى بريد الكفر .. لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرّجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها .. قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١٣٦٥)، يُريد أنهم تدرّجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء، وفى الحديث: (لعن الله السارقَ يسرق البيضةَ فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده) أى: يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة .. (والحمى): ما يحميه الغير من الحشيش (١٣٦٦) فى الأرض المباحة .. فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً من الحمى .

ثم بعد ذلك يقول الإمام النووى: (واعلم): أن كل مُحَرَّمٍ له حمى يُحيط به، فالفرج محرم، وحماه الفخذان لأنهما جُعلا حريمًا للمحرَّم .. وكذلك الخلوة بالأجنبية حمىً للمحرَّم .. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرَّم .. فالمحرَّم حرام لعينه، والحريم محرَّم لأنه يندرج به إلى المحرَّم .

وقوله ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً .. الخ) (١٣٦٧): أى فى الجسد مضغة إذا خشعت خشعت الجوارح، وإذا صلحت صلحت الجوارح، وإذا فسدت فسدت الجوارح .. ثم يقول:

قال العلماء: البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدم، والقوى الباطنة كضياح المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به، والشهوة كطالب أرزاق الخدام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكأر خبيث يتمثل بصورة الناصح، وتُصح سُمُّ قاتل، ودأبه أبداً منازعة الوزير الناصح .. والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالحازن .. والقوة المفكرة فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمسة جواسيس وقد وُكِّلَ كُلُّ واحدٍ منهم بصنيع من الصناعات .. فوكل العين: بعالم

(١٣٦٥) آل عمران: من الآية ١١٢ .

(١٣٦٦) أى: الذى ترعاه الأنعام .

(١٣٦٧) من حديث رواه البخارى ومسلم .

الألوان، والسمع: بعالم الأصوات .. وكذلك سائرهما.. فإنها أصحابُ الإخبار .

ثم قيل: هي كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه .. وقيل: إن السمع والبصر والشَّمَّ: كالتاقات تنظر منها النفس .. فالقلب هو الملك .. فإذا صلح الرضى صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية .. وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغُلِّ والحَقْدِ، والحسدِ، والشُّحِّ، والبُخْلِ، والكِبْرِ، والسُّخْرِيَّةِ، والرياءِ، والسمعةِ والمكرِ، والحرصِ، والطمعِ، وعدم الرضى بالمقدور .. ثم يقول: وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين .. عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم .. اللهم آمين .

هذا ، وأحبُّ بعد أن وقفنا على هذا الكلام الطيب الذي قاله الإمام النووي عليه رحمة الله .. أن أقف مع الأخ القارئ .. على أهم الحقائق المتعلقة بهذا الحديث العظيم .. كما جاء في (الفقه الواضح) الجزء الأول: حيث يقول:

(أ) الحلال - عند جمهور الفقهاء - هو المباح الذي لم يرد دليل من الشرع يُحرِّمه .

(ب) والحرام: هو المحظور، الذي ورد دليل من الشرع يُحرمه .. ثم يقول:

وتحت هذين التعريفين أربع حقائق:

الحقيقة الأولى: أن الأصل في الأشياء الإباحة (١٣٦٨) . فكل شيء لم ينص الشارع على تحريمه، فهو حلال، لا نسأل عنه:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا) (١٣٦٩)، وسكتَ عن أشياء رحمةً لكم غيرَ نسيانٍ ، فلا تبحثوا عنها).

[رواه الدارقطني وغيره بسند حسن، وصححه ابن الصلاح]

(١٣٦٨) هذا مذهب أكثر العلماء، ويرى بعضهم العكس .

(١٣٦٩) أى: فلا تدخلوا فيها: (الحديث الثلاثون) من الأربعين النووية. وهو من جوامع كلمه ﷺ . . . وليس في الأحاديث الشريفة حديث أجمع لأصول الدين وفروعه منه .. لأنه ﷺ قسم فيه أحكام الله تعالى إلى أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها .. كما قال النيرازي في شرح هذا الحديث .

الحقيقة الثانية: أن الحلال: ما أحلّه الله ورسوله، لا ما أحلّه الإنسان بعقله وهواه .. (وأن) الحرام: ما حرّمه الله ورسوله، لا ما حرّمه الإنسان بعقله وهواه .. (وعلى) هذا، فإنه لا يجوز لأحد كائناً من كان، أن يقول فى دين الله ما لم يَقُلْهُ الله ورسوله، وأن يُفتى فى دينه بغير علم، ولا هُدًى، ولا كتاب منير .. فإن القول على الله - بغير علم - افتراء عظيم، وجرم كبير.

ثم يقول (١٣٧٠): ولقد شدد الله النكير على كل من تُسَوَّل له نفسه الأمانة بالسوء أن يتجرأ على الفتيا بغير علم، طمعاً فى دنيا يُصيبها، أو جاه يحصل عليه، أو منصب يعتليه، أو ليقال: إنه عالم، أو خوفاً من أن يُقال: إنه جاهل.

فقال جلّ وعلا فى سورة الأعراف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة يونس: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [الآية: ٥٩ - ٦٠]

وقال تعالى فى سورة النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). [رواه البخارى ومسلم وغيرهما، وهذا الحديث قد روى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسائيد وغيرها حتى بلغ التواتر (١٣٧١)، والله أعلم]

(١٣٧٠) فى الفقه الواضح .

(١٣٧١) الحديث المتواتر هو ما رواه جماعة يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم حتى يبلغوا به النبى ﷺ (هامش الترغيب والترهيب) ج ١ ص ١٢٠ .

ثم يقول: فاربأ بنفسك أيها المسلم، أن تقول في دين الله بغير علم، مهما كان مشربك، ومهما كان شأنك ومنصبك، حتى ولو كنتَ مُتخرِجًا في جامعة الأزهر، إمامًا في مسجد، أو شيخًا في معهد، حتى لا تقع تحت هذا الوعيد، ويحق عليك غضب الله ورسوله، أعاذنا الله وإياك منه.

(ولقد كان) أصحاب رسول الله ﷺ يتخرجون من الإفتاء في دين الله أشد التحرج، إلى الحد الذي كان أحدهم إذا سأله سائل عن مسألة في دين الله اهتز واضطرب وأحاله إلى غيره، فقال: اذهب إلى فلان فإنه أعلم مني .. وهكذا كان يصنع التابعون .

فقد رُوي: أن كلُّ فقيه من الفقهاء المشهورين، كان يقول بعد تقرير حكم الله في المسألة: هذا ما وصل إليه علمي، فإن وجدتم في كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ ما يخالف قولي، فخذوا به، واضربوا بقولي عرض الحائط .

وقيل: إن الإمام مالكا ﷺ سئل عن مائة مسألة، فأجاب عن أربعة منها، وقال في الباقيات: الله أعلم . فعوتب في ذلك، فقال: من قال: الله أعلم، فقد أفتى .. (وهو) بهذا يريد أن ينجو بنفسه من غضب الله وعذابه.

وقال على كرم الله وجهه: احفظوا عني خمسًا، لو شددتم إليها المطايا، لم تظفروا بمثلها: ألا لا يرجون أحدكم إلا ربَّه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم. ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمان له .

الحقيقة الثالثة: أن الله تبارك وتعالى ما أحلَّ لعباده إلا الطيبات، وما حرم عليهم إلا الخبائث:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) ﴿

[البقرة]

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ..﴾ (٤) ﴿

[المائدة]

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ (١٣٧٢) الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَلْمُهُمْ بِالْمَغْرُوبِ وَيُتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ عَنْ الْمُكْفَرِ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَالَاتِ (١٥٧)﴾ .
[الأعراف]

الحقيقة الواجبة: أنه لا يجوز للعبد أن يُحرّم على نفسه شيئاً أباحه الله له
من غير ضرورة، فإن ذلك يُعدُّ اعتداءً على دينه، وتعدّياً لحدوده.

قال جلّ وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْصِينَ (٨٧)﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
﴿(٨٨)﴾ .
[المائدة]

ثم بعد ذلك يقول (١٣٧٣) تحت عنوان:

المتشابه ودرجاته

بقي علينا - أيها السالم الكريم - أن نتكلم عن المتشابه، فنذكر ما هو، وما
موقف الورعين منه، فنقول:

المتشابه: ما اختلف الناس في حله لسبب من الأسباب المنصوص عليها في
كتب الفقه المطولة، كتعارض الأدلة، وذلك كأن يكون في المسألة دليل يُفيد الحلّ،
ودليل يُفيد الحرمة، والدليلان متساويان في الصحة .. أعني ليس دليل أرجح
من دليل، فقطل المسألة وسطاً بين الحلّ والتحريم . فحينئذ يكون ترك هذا
المتشابه مطلوباً شرعاً، وقاية للدين، وحماية للعرض، كما قال الصادق
المصدوق صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتقدم - الذي ندور حوله :-
(فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرِضِهِ) .

غير أن المتشابه على درجات .. فقد يكون قريباً من الحلال، إذا دعت
الضرورة إليه، واطمأن القلب لعمله . ويكون قريباً من الحرام - إذا كان العكس

(١٣٧٢) الأمي: قيل نسبة إلى إبراهيم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [الحجر: ١٢٠] وقيل: لُقّب

بذلك لأنه لم يقرأ ولم يكتب - وهذا هو الإعجاز - وقيل غير ذلك .

(١٣٧٣) أي: في الفقه الواضح.

هو الصحيح - أى: إذا لم تكن هناك ضرورة إليه، وحدث فى الصدر شك فيه، وليست الضرورة هنا من قبيل الضرورات، التى تبيح المحظورات، والألم لما كان فى فعل المتشابه إثم، ولا كراهة. فقد قال الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية ١٧٣]

وإنما هى الضرورة غير الملجئة، فلا يغيب عن ذهنك ذلك، فإن لم يكن المتشابه قريباً من الحلال، أو قريباً من الحرام، كان وسطاً بينهما، وهو ما كثر فيه الخلاف، وعجز المرء عن الميل إلى أى من الآراء المتضاربة، ولم يجد فى قلبه اطمئناناً لقول قائل، أو فتوى مفت، ولم تقم ضرورة ترجيح فعله، أو تركه.

ثم يقول: وعلى كل حال، فإبتيان المتشابه مكروه شرعاً. (والمكروه): ما طلب تركه طلباً غير جازم، أى: غير مؤكد. (والناس فريقان): بر، وفاجر. فالفاجر: هو المتجربى على حرمان الله المتعدى لحدوده، المتهاون بوعد الله ووعيده (والبار): هو الحافظ على حدود الله، المعتصم بدينه، الطامع فى رحمته، الخائف من عذابه.

ثم بعد ذلك يختم بكلام طيب لا بد أن ننتفع به، فيقول تحت عنوان:

درجات الورعين

ذكر الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - فى الجزء الثانى من كتاب: (إحياء علوم الدين) أن درجات الورعين أربعة، سأذكرها لك بالمعنى، وبالأسلوب الذى يفهمه العامة، فأقول:

الدرجة الأولى: درجة العُدول، وهم الذين يتركون المحرمات كلها، ويقتصرون على المباحات.

الدرجة الثانية: درجة الصالحين، وهم الذين يتركون المتشابهات، خوفاً من الوقوع فى المحرمات.

الدرجة الثالثة: درجة المتقين، وهم الذين يتركون الجائزات خوفاً من أن تؤدى بهم إلى ارتكاب شئ من المحرمات.

قال رسول الله ﷺ: (لا يبلغ العبدُ درجةَ المتقين، حتى يدع ما لا بأسَ به،
مخافةً ما به بأسٌ) . [رواه ابن ماجه]

وروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: (كنا نترك سبعين باباً من الحلال،
مخافةً أن نقع في باب واحد من الحرام) . (والمعنى): كنا ولا زلنا، مثل قوله
تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٣٧٤) .

الدرجة الرابعة: درجة الصّديقين المقربين، وهم الذين يكتفون من دنياهم
بما يسد الرمق ويستتر العورة، ويجعلون الآخرة مبلغ همّهم، ومنتهى بُغيتهم.
ثم بعد ذلك يقول أيضاً تحت عنوان:

المكروه في عُرف الفقهاء

(أ) المكروه في اللغة: ضد المحبوب .

(ب) والمكروه في تعبير القرآن الكريم يُطلق على الشيء المحرم. قال تعالى:
﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (١٣٧٥) (وقد جرى على السنة الفقهاء
المتقدمين هذا الاستعمال، فكان يقول الفقيه منهم : هذا الشيء مكروه . أو أنا
أكرهه، أى: أقول بحرمة.

لكن الفقهاء اصطالحوا أخيراً على تسمية الشيء الذى لم يُطلب تركه طلباً
جازماً، مكروهاً . أى: الذى طُلب من المسلم تركه دون أن ينذر على فعله بعقاب،
والألو أنذر على فعله بعقاب، لكان مُحرمًا .

(فالمكروه): ما يستحب للمسلم تركه حمايةً للدين، وصيانةً للعرض، وطلباً
لمزيد الأجر والثواب، ولو فعله ما تعرض للعقاب .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يذكر كل تلك الحقائق والدرجات
.. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل الحلال .. لا من أهل الحرام، والعياذ

(١٣٧٤) النساء: من الآية ١٠٠ .

(١٣٧٥) الإسراء: ٣٨ .

بالله .. (بل) وعليهما أن يذكرنا دائماً وأبداً الحديث الصحيح (١٣٧٦) الآتى:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (١٣٧٧). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (١٣٧٨)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغدَى بالحرام، فأنى يستجاب له (١٣٧٩) .

وهما يسألان الله تبارك وتعالى أن يجعلهما من أهل الحلال المستجاب لهم .
والله ولى التوفيق،،

(٩٣) ما هو مثلك ومثل أمك . . يا رسول الله؟

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد ناراً (١٣٨٠) فجعلت الدواب (١٣٨١) والفرأش يقعن فيها (١٣٨٢) فأنأ أخذ بحجزكم، وأنتم تقحمون فيها (١٣٨٣) . [رواه البخارى ومسلم]
وفى رواية لمسلم: (إنما) مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولهُ (١٣٨٥) جعل الفرأش وهذه الدواب يقعن فيها (١٣٨٦) ، وجعل

(١٣٧٦) الذى رواه مسلم .

(١٣٧٨) البقرة من الآية ١٧٢ .

(١٣٧٩) أى : كيف يستجيب الله تعالى له؟

(١٣٨٠) أى : أشعلها ليستضى بها، أو ليضع عليها شيئاً .

(١٣٨١) كالبرغش والجنذب .

(١٣٨٢) لأن هذه الأشياء تنجذب نحو الضوء .

(١٣٨٣) أى : يرمى نفسه فيها من غير روية وتثبت . . (وهذا بالنسبة للإنسان) .

(١٣٨٤) معنى : إنما صفتى وشأنى العجيب فى إتيانى بالهدى ودعوتى إليه ومخالفة الناس لى ووقوعهم

فى النار بسبب ذلك .

(١٣٨٥) من الأماكن والأشياء .

(١٣٨٦) معنى : يتهاقن حولها ويسقطن فيها .

يَحْجُزُهُنَّ (١٣٨٧) وَيَغْلِبُهُ فَيَتَّقَمْنَ فِيهَا . قال: فذلکم مثلی ومثلکم (١٣٨٨)،
وأنا أخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار (١٣٨٩)، فيغلبوني
ويقتحمون فيها).

(وعن) جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلی ومثلکم کمثل رجل أوقد
ناراً، فجعل الجنادب والفرأش يقعن فيها وهو يدبهن (١٣٩٠) عنها، وأنا
أخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي (١٣٩١)). [رواه مسلم]

فمن خلال مضمون هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة التي تدور حول مراد
واحد .. (يُشير) النبي صلوات الله وسلامه عليه إلى ملاحظة هامة ينبغي علينا
نحن المؤمنین العقلاء .. أن نطيل النظر فيها .. وهى أن النبي ﷺ من يوم أن
بُعث - سواء كان هذا فى حياته الدنيوية، أم بعد مماته عن طريق هديه المتوارث
عنه بالإضافة إلى الأساس القرآنى - وهو يدعوننا إلى الله، الذى ما خلقنا أساساً
إلا من أجل طاعته .. بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه. (وذلك) بالترغيب فى الجنة
.. والترهيب من النار .. (ولكننا) للأسف الشديد - إلا من رحم الله - لا ننجذب
إلى الخير .. بل إلى النار التى يحرض صلوات الله وسلامه عليه على إبعادنا
عنها، وعن الأسباب الموصلة إليها .. كما تشير الأحاديث الآتية:

(فعن) عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(اتقوا النار) قال: وأشاح (١٣٩٢)، ثم قال: (اتقوا النار) ثم أعرض وأشاح
ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة (١٣٩٣)،
فمن لم يجد فبكلمة طيبة) [رواه البخارى ومسلم]

(١٣٨٧) أى: يمنعون من السقوط .

(١٣٨٨) أى: فذلک شأنى وشانكم .

(١٣٨٩) أى: ابعادوا عنها ولا تقعوا فيها .

(١٣٩٠) أى: يدفعهن .

(١٣٩١) أى: تغلبوني وتجرون وراء الشهوات فتقعون فى النار .

(١٣٩٢) أشاح وجهه وبوجهه أعرض عنها .

(١٣٩٣) يعنى: ولو بنصف تمرة تصدقون به .

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٣٩٤) دعا رسول الله ﷺ قُرَيْشًا فاجتمعوا (١٣٩٥) فَعَمَّ وَخَصَّ (١٣٩٦) فقال: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبيد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذتي نفسك من النار، فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً) (١٣٩٧).

[رواه مسلم واللفظ له، والبخارى والترمذى والنسائى بنحوه]

(وعن) النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: (أنذرتكم النار، أنذرتكم النار) حتى لو أن رجلاً كان بالسوق (١٣٩٨) لَسَمِعَهُ من مقامى هذا حتى وقعت خميصة (١٣٩٩) كانت على عاتقه (١٤٠٠) عند رجله (١٤٠١) [رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(وكان) النبي ﷺ يرجو من وراء هذا التذكير إنقاذهم من نار جهنم .. ولكن بعضهم .. أو أكثرهم .. تفلت منه فكان مصيره بسبب عناده وإصراره على الكفر أن سقط فى النار - ومثله فى هذا كمثل الدواب والفراش التى كانت تتساقط فى النار - مع أن النبي ﷺ كان يحرص على إنقاذهم منها .. (ولكن) كما يقول الله تعالى فى قرآنه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١٤٠٢).

-
- (١٣٩٤) أى: الأدين لك إليك مبيئاً لهم أنه لا يخلص أحداً منهم إلا إيمانه بربه عز وجل، وهذه النذارة لا تنافى العامة بل هى فرد من أجزائها .. والآية فى سورة الشعراء رقم ٢١٤ .
- (١٣٩٥) ليس هذا اللفظ موجوداً فى البخارى .
- (١٣٩٦) أى: وجه دعوته إلى القبيلة العامة ثم أخذ يخص منها شيئاً بعد شئ .
- (١٣٩٧) وتام الحديث: (إلا إن لكم رَحِمًا سألها ببلالها) .
- (١٣٩٨) وهو المكان المعد للبيع والشراء .
- (١٣٩٩) ثوب خز أو صوف معلّم .
- (١٤٠٠) أى: على منكبه أو عنقه .
- (١٤٠١) والمراد أنه كان مجتهداً فى الإنذار ورافعاً صوته به .
- (١٤٠٢) القصص: من الآية ٥٦ .

(وكانت) مهمة الرسول ﷺ الأساسية هي التذكير المشار إليه في قول الله تعالى: ﴿لَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أى: فذكّر يا محمد عبادى، وبلفهم رسالتى، فإنما أرسلناك إليهم لتذكّرهم وتعظهم ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أى: لست عليهم بمسلّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، فكلّهم إلى، ودعهم وحكمى فيهم ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أى: إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر بها ﴿فِيُعَذِّبُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ أى: فيُعَذِّبُهُ اللهُ عَذَابَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، على كفره بربه فى الدنيا ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أى: إن إلينا رجوعهم ومعادهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١٤٠٣) أى: ثم إن على الله حسابهم، فيجازيهم بما سلف من معصية ربهم .

(ونحن) كذلك .. نحن الوعاظ الذين ورثوا الدعوة إلى الله عن رسول الله ﷺ لا نملك سوى هذا التذكير الذى لا بد أن نستمر فيه وبإخلاص - إن شاء الله - إلى آخر لحظة فى حياتنا على أمل أن يُحَقِّقَ اللهُ تعالى الهداية على أيدينا .. ويوم أن يتحقّق هذا .. فإنه حسبنا ..(فقد) ورد فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال لعلى رضي الله عنه: (قوا الله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعَمِ) (١٤٠٤) . وقال: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً) (١٤٠٥) .

(هذا) وإذا كان الله تعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٠٦)، فإننى أقول للإخوة الوعاظ بصفة خاصة: فما بالكم بالغافلين اللاهين الذين لا همّ لهم إلا متاع الدنيا الزائل .. الذى ربما شغلوا به عن طاعة الله .. وعن الصلاة بصفة خاصة . (إنهم) لا شك أوّلَى بالتذكير من غيرهم .

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا التذكير .. وأن يجعلنا من أهله - وعلى أساس من الإخلاص لله - لأنه ما كان لله دام واتصل .. وما كان لغير الله انقطع وانفصل .. اللهم آمين،،

(١٤٠٣) سورة الغاشية الآية ٢١ - ٢٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

(١٤٠٤) ، (١٤٠٥) ، فى مقدمة (رياض الصالحين) للإمام النووى .

(١٤٠٦) الذاريات: ٥٥ .

(٩٤) يا رسول الله .. عَلَّمْنَا صَلَاةَ الْاِسْتِخَارَةِ

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، يَقُولُ:

(إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ^(١٤٠٧) ، فَاقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ. وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ) قَالَ: وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ ، أَيْ: يُسَمَّى حَاجَتَهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ).

[رواه البخارى]

(هذا) ، وَإِذَا كَانَ لِي أَنْ أَدُورَ حَوْلَ هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي نَحْنُ جَمِيعًا فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُرَادِ مِنْهُ.. (وَالَّذِي) تَصَوَّرْتُ نَفْسِي أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نِيَابَةَ عَنِ جَمِيعِ الْقُرَّاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أَنْ يَجِيبُنَا عَلَيْهِ - مَعَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ - (فَإِنِّي) أَرَى أَنْ نَقْفَ أَوَّلًا عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، مِنْ كَلِمَةٍ: (اِسْتِخَارَةٌ) ، فَإِنَّ مَعْنَاهَا: طَلَبُ الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُقْصَدُ مِنَ الْأُمُورِ.. وَلِهَذَا فَإِنَّهُ يُقَالُ: خَارَ اللَّهُ لَكَ ، أَيْ: أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ .

(وهي) لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ.. الَّتِي لَا يُعْرَفُ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهَا كَالسَّفَرِ ، وَالتَّجَارَةِ ، وَالزَّوْاجِ ، وَالشَّرِكَةِ .. أَمَا الْوَاجِبُ وَالْمُنْدُوبُ .. فَإِنَّ فِعْلَهُمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى اِسْتِخَارَةٍ .. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُمَا .. (وَكذَلِكَ) الْمَحْرَمُ وَالْمَكْرُوهُ..

(١٤٠٧) أَيْ: إِنْ كَانَ فِي عِلْمِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي أُرِيدُهُ خَيْرٌ لِي .. الخ. فَالشُّكُّ فِي مَتَلَقِ الْعِلْمِ لَا فِي أَصْلِهِ . وَالشُّكُّ مِنَ الرَّوْى . وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي . بَلَا شُكٍّ: فَيُسْتَحْسَنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا .

فإن تركهما لا يحتاج إلى استخارة .. وإنما ينبغي عدم فعلهما، ولقد كان النبي ﷺ يقول: (اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات ..)
وإذا كان لنا الآن أن ندور حول المعنى المراد ، من:

صلاة الاستخارة المشروعة

فإن الكلام عنها ينحصر في عدة مباحث ، وهي:

أولها: حكمها ، والخلاصة كما قال العلماء: أنها مستحبة .. (قال العراقي: لم أجد من قال بوجوب الاستخارة. ومما يدل على عدم وجوبها الأحاديث الصحيحة الدالة على انحصار فرض الصلاة في الخمس من قوله: (.. هل عليّ غيرها؟ قال: لا ، إلا أن تطّوع) ، وغير ذلك (١٤٠٨). من الأحاديث الشريفة التي منها (حديث): (خمس صلوات افترضهنّ الله عز وجل ، مَنْ أحسن وضوءهنّ وصلأهنّ لوقتهنّ ، وأتمّ ركوعهنّ وحشوعهنّ، كان على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذّب).
[أخرجه أبو داود والبيهقي عن عبادة بن الصامت]

(وقال) النووي في الأذكار: تُستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة . (والظاهر) أنها تُحصّل بركعتين من السنن الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ا هـ . (يعنى) إذا نوى بها الاستخارة .

(وقال) العراقي: إن كان همه بالأمر قبل الشروع في الراتبة ونحوها، ثم صلى من غير نية الاستخارة وبدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة، فالظاهر حصول ذلك ا هـ .

ثانيها: القراءة في صلاة الاستخارة:(قال) النووي: يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الثانية بعد الفاتحة: ﴿قل هو الله أحد﴾ ا هـ . (وقيل): يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ

(١٤٠٨) انتهى إلى هنا كلام العراقي .

الْخَيْرَةَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۖ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٤٠٩﴾ ، وفي الثانية بعد الفاتحة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (١٤١٠).

(وظاهر) الأحاديث عدم التقييد بشيء مما ذُكِرَ ، فله أن يقرأ فيهما - بعد الفاتحة - ما شاء . (وإذا) كان النبي ﷺ قد قال في حديث أبي أيوب الأنصاري (•) (.. وصل ما كتب الله لك ..): فإن ظاهره، جواز صلاة الاستخارة بأكثر من ركعتين ، فله أن يُصَلِّيَ أربعاً أو أكثر بتسليمة . (ومفهوم) العدد في قوله ﷺ في حديث جابر: (فليركع ركعتين): ليس بحجة عند الجمهور غير أنهم اتفقوا على أنه لا تجزي الركعة الواحدة .

(وقد) أشار (في الدين الخالص) إلى ملاحظة هامة، وهي: أن حكمة تقديم الصلاة على الدعاء: أن المراد من الاستخارة الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك سبحانه وتعالى ، ولا شيء لهذا أنجع من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه، وإظهار الافتقار إليه حالاً ومآلاً.

ثالثها: وقت صلاة الاستخارة: فإنه لم يردَّ تعيين وقت لها في الأحاديث الواردة في شأنها:

ولذا ، قالت الشافعية: يجوز تأديتها في كل وقت، حتى وقت النهي عن الصلاة ، لأنها صلاة لها سبب .

(وقال الجمهور): تُؤدَّى في غير أوقات النهي، تقديمًا للحاضر على المبيح.

رابعها: الاستخارة بالدعاء: إذا تعذرت صلاة الاستخارة، استخار بالدعاء - أي: بدعاء الاستخارة فقط - ويستحب افتتاحه بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ ، وإذا استخار فعل ما ينشرح له صدره ، ولا يعتمد على انشراح كان له

(١٤٠٩) القصص: ٦٨ ، ٦٩ .

(١٤١٠) الأحزاب: ٣٦ .

(•) وهو حديث أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان .. (انظر الدين الخالص ج ٥ ص ٣٥١ وما بعدها).

قبل الاستخارة، بل ينبغي له ترك اختياره رأساً ، وإلا فلا يكون مستخيراً لله ، بل يكون مستخيراً لهواه، فإن لم ينشرح صدره لشيء: (فقيل) يكرر الاستخارة ثلاثاً ، لأنه ﷺ كان إذا دعا كرر الدعاء ثلاثاً (وقيل) يكررها سبعاً (لحديث) أنس أن النبي ﷺ قال: (إذا هممتَ بأمرٍ فاستخِرْ ربك فيه سبعَ مراتٍ، ثم انظر إلى الذى يسبقُ إلى قلبك، فإن الخيرَ فيه).

[أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس، وابن السنى وهو حديث ضعيف جداً ولا يحتج به] (والآن) وبعد أن وقفنا على كل تلك الأساسيات المتعلقة بصلاة الاستخارة، أرى أن نعود إلى دعاء الاستخارة لكى نقف على شرحه .. وذلك بعد أن نقرأ تلك السطور الآتية التى قال فيها صاحب (الدين الخالص) عليه رحمة الله وجزاه الله عنا وعن القرآن والسنة خير الجزاء:

(يُستحب) لمن عزم على أمر لا يدرى وجه الصواب فيه كسفر ، وتجارة، وزواج، وشركة .. أن يشاور فيه من يعلم منه حُسن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة ، ويثق بدينه ومعرفته (لقوله) تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (١٤١١) وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (١٤١٢) ، وقال قتادة: ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُودوا إلى أرشد أمرهم .

(وإذا) شاور وظهر أنه مصلحة، استخار الله فيه ، فصلّى ركعتين تطوعاً ، ودعا بالدعاء الصحيح الذى ندور حوله ، وهو:

(اللهم) أى: أسألك بجميع ما سئلت به ، ويؤيده ما نقل أنه اسم الله الأعظم ، الذى ترجع إليه جميع الأسماء (إني أستخيرك) ، أى : بعلمك القديم الكامل لا بعلمى أنا المخلوق القاصر، فمن فوّض الأمر إلى ربه اختار له ما يصلح . (وأستقدرك بقدرتك) ، أى: بقدرتك القديمة الأزلية ، لا بقدرتى أنا المخلوق المحدث القاصر. فمن تعرى عن قدرة نفسه وكانت قدرته منوّطة بقدرة ربه عز

(١٤١١) آل عمران: من الآية ١٥٩ .

(١٤١٢) الشورى: من الآية ٣٨ .

وجل مع السكون والضراعة إليه ، فلا شك فى وجود الراحة له ، إما عاجلاً أو آجلاً أو هُما معاً ، وأىُّ راحة أعظم من الانسلاخ من عناء التدبير والاختيار ، والخوض بفكرة عقله فيما لا يعلم عاقبته .

(وأسألك من فضلك العظيم): فمن توجه بالسؤال إلى مولاه دون مخلوق واستحضر سعة فضل ربه عز وجل وتوكل عليه ، ونزل بساحة كرمه ، فلا شك فى نُجْح سَعْي من هذا حاله ، إذ فضل المولى سبحانه وتعالى أجَلُّ وأعظم من أن يرجع إلى قانون معلوم وتقدير .

(فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علّام الغيوب): فمن تبرأ وانخلع من تدبير نفسه، وحوله وقوته ، ورجع بالافتقار إلى مولاه الكريم الذى لا يُعجزه شىء، فلا شك فى قضاء حاجته وبلوغ ما يؤمله ، ووقوع الراحة (أو قال فى عاجل أمرى وآجله): الشك هنا من الراوى فى أيهما قال عليه الصلاة والسلام. وإذا كان كذلك فينبغى للمكَلَّف أن يحتاط لنفسه فى تحصيل بركة لفظه - عليه الصلاة والسلام - على القطع، فيأتى بهما معاً (فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه): فمن رضى بما اختاره له سيده العالم بعواقب الأمور كلها، وبمصالح الأشياء جميعها بعلمه القديم الذى لا يتبدل ولا يتحول، فقد سعد السعادة العُظمى (فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به): فمن سكن إلى ربه عز وجل ، وتضرع إليه ، ولجأ فى دفع جميع الشر عنه، فلا شك فى سلامته من كل ما يُتوقَّع من المخاوف .

ثم بعد ذلك يقول ، (فى الدين الخالص): (فأىُّ دعاء) يجمع هذه الفوائد، ويحصلها مما اختاره المرء لنفسه ، مما يخطر بباله من غير هذه الالفاظ الجليلة التى احتوت على ما وقعت الإشارة إليه وأكثر منه؟

ولو لم يكن فيها من الخير والبركة إلا أن مَنْ فعلها كان ممتثلاً للسنة المطهرة مُحَصِّلاً لبركتها لكفى، ثم تحصل له بركة النطق بتلك الالفاظ التى تربو على كل خير يطلبه الإنسان لنفسه ويختاره لها ، فيا سعادة مَنْ رُزِق هذا الحال، أسأل الله أن لا يحرمانا ذلك بِمَنِّه .

(وينبغي) أن لا يفعلها المكلف إلا بعد أن يمتثل ما مضى من السنة في أمر الدعاء، وهو أن يبدأ أولاً بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ثم يصلى على النبي ﷺ، ثم يأخذ في دعاء الاستخارة المتقدم ذكره ، ثم يختمه بالصلاة على النبي ﷺ .

(والجمع) بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة، (فينبغي) للمكلف أن لا يقتصر على إحدهما، فإن كان ولا بد من الاقتصار، فعلى الاستخارة ، لما تقدم من قول الراوى: كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يُعلمنا السورة من القرآن اهـ .

(وقد) قال الشوكانى ، مشيراً إلى المعنى المراد من قول الراوى: (.. يُعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها): (هذا) دليل على العموم ، وأن المرء لا يحتقرُ أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به ، فيترك الاستخارة فيه، فربَّ أمر يُستخفُّ بأمره، فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه ، ولذلك قال النبى ﷺ: (ليسأل أحدكم ربه حتى فى شئ نعله) . اهـ

وإذا كنا قد وقفنا على الاستخارة المشروعة، وما يتعلق بها من مباحث .. فإنه ينبغى علينا كذلك أن نقف على ما جاء بعد ذلك فى (الدين الخالص) تحت عنوان:

الاستخارة غير الشرعية

حيث يقول ما خلاصته: (قد) جهل كثير من الناس الاستخارة الشرعية المرغَّب فيها بالأحاديث السابقة وهجروها ، أو قلَّ من يعمل بها ، وابتدعوا لها أنواعاً كثيرة لم يرد شئ منها فى الكتاب ولا فى السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف والخلف . (وجهلوا) قول النبى ﷺ: (ما أحدث قومٌ بدعةً إلا رُفِعَ مثلها من السنة).

[أخرجه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير قال فى الفتح: إسناده جيد، ولذا حسَّنه السيوطى] إلى أن يقول: (هذا) والاستخارات المبتدعة كثيرة (منها) ما يسميه العامة

وبعضُ الخاصة استخارة (ومنها) ما يُسمَّى بأسماء أُخرى هي أقرب إلى الطَّيرة منها إلى الاستخارة، بل هي نوع من التعريف المنهى عنه ... ثم يقول: وهك مجمل القول في الاستخارة غير الشرعية (باختصار):

١ - استخارة النوم: ويعملها صاحب الحاجة أو يعملها له غيره، بأن يقرأ الشخص شيئاً من القرآن، ويدعو الله أن يُريه فى منامه ما نواه، أو يُريه خُصراً أو بياضاً إن كان ما يقصده خيراً، ويُريه حُمرةً أو سواداً إن كان ما يقصده لا خير فيه (١٤١٣).

(وقد عكف على هذه الاستخارة خاصة الناس فضلاً عن عامَّتِهِمْ (ورؤيا) المؤمن الصادق وإن كانت لا تكاد تخطئ، فالاستخارة بواسطتها لا تُشرع، وفيها عسول عن تعليم الرسول الأعظم ﷺ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة. وهذا يتنافى مع كمال الإيمان وحُسن اليقين الذى يقتضى التخلّى عن البدع، والتحلّى بالسنن .

(وقد ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٥): صلاة الاستخارة ودعاءها، ثم قال: فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقل: (اللهم خِرْ لى وَأَخْتِرْ لى)، كما روى عن عائشة عن أبى بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. واعلم أن هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح . وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس واردًا عن النبى ﷺ : ولذا كرهه العلماء ، وقالوا: إنه نوع من الطَّيرة.

٢ - استخارة السُّبحة: ويعملها صاحب الحاجة أو تُعمل له . (وطريقتها) أن يأخذ الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته ثم يحصر بعض حباتها بين يديه ويعدّها، فإن كانت فردية عدل عما نواه ، وإن كانت زوجية اعتبر ما نواه خيراً وسار فيه. (ولعمري): ما الفرق بين هذه الطريقة وما كان يُتبع فى الجاهلية الأولى من إطلاق الطير فى الجو، وهو ما سماه الشرع الشريف

(١٤١٣) وقد ذكر صوراً أُخرى، فارجع إليها فى ص ٣٧١.

(٥) سورة القصص: آية ٦٨ .

بالطيرة ونهى عنها .

٣ - استخارة الفنجان: ويعملها عادة غير صاحب الحاجة، ويقوم بعملها رجل أو امرأة. (وطريقتها): أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة إليه ثم يُكفئ الفنجان، وبعد قليل يقدمه لقرائه^(١٤١٤) فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة به رسوماً وأشكالاً مختلفة، شأنها في ذلك شأن كل راسب في أى إناء إذا انكفأ، بل إن مجرد صبّ الماء على أرض متربة يحدث بها صوراً وأشكالاً هندسيةً وجغرافيةً يعجز عنها أصحاب الفن، فيتخيّل ما يريد، ثم يأخذ في سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة، فلا يقوم من عنده إلا وقد امتلأت رأسه بهذه الأسطورة.

(وبعضهم): يعتمد في معرفة سارق الشيء على آخر يُسمّى صاحب المنديل، (وطريقته): أن يوضع الفنجان مملوءاً ماءً على كفّ شخص مخصوص في كفّه تقاطيع مخصوصة، ويكون ذلك في يوم معلوم من أيام الأسبوع، ثم يأخذ العراف في التعزيم والهمهمة بكلام غير مفهوم، وينادى بعض الجن ليأتوا بالمتهم السارق، (وبعد) برهة تظهر خيالات في الفنجان زاهية وآية، فيوهم العراف من حوله أن المتهم قد ظهر .

(وبعضهم): يضع القلّة على كفّ آخر ويتمّم بما شاء فيسير حامل القلّة إلى مكان الشيء الضائع ، فيتوهم الحاضرون أن عامل المنديل يعلم ما خفى وهو بهتان عظيم. (ولعمري) إن كان هذا حقاً ، فلم أتعبت الحكومات أنفسها في معرفة المسروق وتبيين الظالم من المظلوم؟ ولم لم تلجأ في تبين حقائق الأمور إلى هؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل؟ مع أن سيد الأنام ﷺ لم يدع هذا المقام لنفسه. بل يحكم بالظاهر ويكلّ السرائر إلى الله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ (١٤١٥).

(وعن) أم سلمة أن النبي ﷺ قال: (إنما أنا بشرٌ مثلكم ، وإنكم تختصمون

(١٤١٤) الدجال .

(١٤١٥) الأعراف: من الآية ١٨٨ .

إلى، ولعلَّ بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بَحْجَتِهِ من بعض، فأقضى على ما أسمع، فَمَنْ قُضِيَتْ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا ، فَلَا يَأْخُذُهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً [أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ] (من النار).

٤- استخارة الورق (الكوتشينة): وهي لا تخرج عن سابقتها ، غير أن صاحب الحاجة يُعْطَى ورقتين مُصَوَّرًا فِيهِمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ فَيُسْرُ إِلَيْهِمَا مَا يَرِيدُ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُمَا الدِّجَالُ ، فَيُخَلِّطُهُمَا بِبَاقِي الْأَوْرَاقِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي رِصْفِهَا بِطَرِيقَةِ فَنِّيَّةٍ ، فَيُصَادَفُ وَجُودَ رَجُلٍ بِجِوَارِ امْرَأَةٍ ، أَوْ وَجُودَ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ فِي طَرِيقٍ ، أَوْ وَجُودَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِجِوَارِ أَوْرَاقٍ يَرْمِزُ إِلَيْهَا بِالْمَالِ أَوْ الْفَرَحِ أَوْ الْقَضَاءِ أَوْ مَا إِلَى ذَلِكَ ، فَيَأْخُذُ فِي سِرِّدٍ مَا يُعْلِمُهُ عَلَيْهِ خِيَالَهُ ، فَلَا يَقُومُ الشَّخْصُ - الْمَغْفَلُ - مِنْ مَقَامِهِ هَذَا إِلَّا مُقْتَنَعًا بِحَقِيقَةِ مَا يَقُولُ (وما هو) إِلَّا رَجْمًا بِالْغَيْبِ .

٥ - استخارة الرمل: (وطريقتها): أَنْ يُخَطِّطَ الشَّخْصُ فِي الرَّمْلِ خُطُوطًا مُتَقَطَّعَةً ، ثُمَّ يَعْدهَا بِطَرِيقَةِ حِسَابِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ لَدَيْهِمْ ، فَيَنْتَهِي مِنْهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ بُرْجِ الشَّخْصِ فَيُكْشَفُ عَنْهُ فِي كِتَابِ اسْتِحْضَرِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ ، فَيَسْرُدُ عَلَيْهِ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَةَ وَالْمُسْتَقْبَلِيَّةَ . (وهذا) الْكَلَامُ بَعِينَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ (هُوَ نَفْسُ) الْكَلَامِ الَّذِي يَقَالُ لِغَيْرِهِ ، مَا دَامَ بُرْجَاهُمَا قَدْ اتَّفَقَا .. (وهذا) لَا شَكَّ نَصَبٌ وَاحْتِيَالٌ .

٦- استخارة الودع: (ولا تقوم به) إِلَّا امْرَأَةٌ ، وَهِيَ تُسَمَّى فِي الْعُرْفِ (بِالْفَجْرِيَّةِ) ، (وطريقتها): أَنْ يُخْرَجَ الْإِنْسَانُ - الْمَغْفَلُ - مِنْ حَافِظَتِهِ شَيْئًا مِنْ النُّقُودِ وَيُسْرُ بِحَاجَتِهِ إِلَى ذِكْرِ الْوَدْعِ ، ثُمَّ يَطْرَحُهُ عَلَى الْوَدْعِ ، فَيَأْخُذُهُ بِبَيْدِيهَا وَتُلْقِيهِ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْطِهِ . (وهي) فِي الْغَالِبِ تَكُونُ امْرَأَةً ذَكِيَّةً نَابِغَةً ، لَهَا فِرَاسَةٌ خَاصَّةٌ فِي ذَوَى الْحَاجَاتِ ، فَتَسْلُكُ سَبِيلًا فِي الْكَلَامِ يَتَّفِقُ مَعَ مَزَاجِ الشَّخْصِ ، فَيُجِيبُهَا بِالْمُوَافَقَةِ ، فَتَسْتَمِرُّ فِي طَرِيقِهَا ، فَلَا يَقُومُ مِنْ عِنْدِهَا إِلَّا وَهُوَ مُقْتَنِعٌ بِصَدَقِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

٧- استخارة الكف: وهي لا تخرج عن سابقتها من جهة قوة فِرَاسَةِ قَارِيءِ الْكُفِّ ، يُسَاعِدُهُ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ خُطُوطِ بَاطِنِ الْكُفِّ ، وَمَا يَسْتَخْلِصُهُ مِنْ مَيُولِ الشَّخْصِ وَمُوَافَقَتِهِ لَهُ عَلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ .

(ثم) بعد ذلك يقول صاحب (الدين الخالص):

(ولا شك) عندي وعند العقلاء أن جميع هذه الطرق من استخارة الفنجان حتى النهاية لا تخرج عن أنها نوع من العرافة المنهى عنها، والذي يقول الرسول ﷺ فيه: (مَنْ أَتَى عَرَافًا - أَى: ذهب إليه - فسأله عن شيء: لم تُقبل منه صلاة أربعين ليلة).

ويقول: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ).

(وقد) قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أنه يعلم ما في غد، فقد أعظم على الله الفرية (١٤١٦)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٤١٧).

(ثم) بعد ذلك يختم كلامه في (الدين الخالص) بقوله: (ولا أدري) بعد ذلك كيف يعكف الناس على أمثال تلك الترهات وهذه الأباطيل، معرضين عن هدى محمد ﷺ وما جاء به؟

فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه على هذا الأساس الصحيح الوارد على لسان معلمنا الأول صلوات الله وسلامه عليه، وحذار أن يقعا في شباك هؤلاء النصابين المحتالين عن طريق تلك الاستخارة الغير شرعية بجميع أنواعها... والله الموفق للصواب،،

(٩٥) ما حقُّ العُصفور .. فما فوتها ..

إذا أردتُ اصطيادها .. يا رسول الله؟

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (ما من إنسانٍ يقتلُ عُصفوراً فما

(١٤١٦) أَى: الكذب.

(١٤١٧) النمل: من الآية ٦٥.

فوقها (١٤١٨) بغير حَقِّها إلا يسأل الله عنها يوم القيامة (١٤١٩) قيل : يا رسول الله، وما حَقُّها؟ قال: (حَقُّها أن تَذْبَحَها فتأْكُلَها) (١٤٢٠)، ولا تقطع رأسَها فترمِيَ (١٤٢١) به). [رواه النسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد]

وعن الشَّريِّدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا، عَجَّ (١٤٢٢) إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبُّ، إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، ولم يقتلني مُنْفَعَةً). [رواه النسائي وابن حبان فى صحيحه]

ففى هذين الحديثين الشريفين بروايتيهما .. يرشدنا النبى ﷺ إلى ضرورة أن نؤدى هذا الحق المشار إليه فى الحديث الأول لهذا العصفور .. أو لتلك الحمامة .. وغيرهما .. حتى لا يكون هناك هذا العبث الذى سيكون معناه أن هذا القاتل .. لا رحمة فى قلبه .. وهذا هو أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه .. بالنسبة للتعامل مع جميع الحيوانات بصفة عامة:

فعن معاوية بن قُرَّة عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى لأرحمُ الشاةَ أن أذبحها (١٤٢٤)، فقال: (إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ) (١٤٢٥) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ، والأصبهاني، ولفظه: قال: يا رسول الله إنى آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها ، قال: (وَالشاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ) . (يعنى أن الله يُثيبُ على رحمة الحيوان كما يُثيب على رحمة الإنسان.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ أن رجلاً أضجع شاةً (١٤٢٦)، وهو يُحدُّ شفرته (١٤٢٧)،

(١٤١٨) أى: فما هو أكبر حجماً منها كالحمامة ونحوها .

(١٤١٩) أى: يسأله الله سبحانه عنها ، أى: عن سبب قتلها .

(١٤٢٠) لأنها ما خلقت إلا من أجل الانتفاع بلحمها .

(١٤٢١) أى: تلقيها ولا تتنفع بها .

(١٤٢٢) أى: بلا فائدة ولا غرض صحيح .

(١٤٢٣) أى: رفع صوته بالشكوى إلى الله يوم القيامة .

(١٤٢٤) أى: لا أجرؤ على ذبحها رحمة بها .

(١٤٢٥) وفى هذا دليل على وجوب الرحمة بالحيوان .

(١٤٢٦) أى: أنامها على جنبها استعداداً لذبحها .

(١٤٢٧) أى: يشحذها ويرققها .. والشفرة، أى السكين .

فقال النبي ﷺ: (أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَيْنِ^(١٤٢٨)، هَلَّا أَحَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضَجِعَهَا).

[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم ، واللفظ له ، وقال: صحيح على شرط البخارى]
ففى هذا الحديث إرشاد إلى وجوب الرحمة بالحيوان عند الذبح ، فلا يُجْرُ بعنف ، ولا تعرض عليه السكِّين فينظر إليها ، ولا تُشْحَدُ أمامه . الخ . وفى الحديث الصحيح: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) [رواه أحمد . ومسلم والنسائى وابن ماجه]

(وفى حديث ابن عمر) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ تُحَدَّ الشَّفَارُ وَأَنْ تُوَارَى عَنِ الْبَهَائِمِ، وَقَالَ: (إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ). [رواه أحمد وابن ماجه]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ مَرَّ بِفَتِيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا أَوْ دَجَاجَةً يَتْرَامُونَهَا^(١٤٢٩)، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلِّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ^(١٤٣٠)، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مِنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا^(١٤٣١) .

[رواه البخارى ومسلم]

وعن أبى مسعود رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً^(١٤٣٢) مَعَهَا فَرخَانٌ، فَأَخَذْنَا فَرخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تُعْرِشُ^(١٤٣٣)، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدِيهَا^(١٤٣٤))؟ رُدُّوا وَلَدِيهَا إِلَيْهَا) وَرَأَى قَرْيَةً نَمَلٍ قَدْ حَرَقْنَاهَا، فَقَالَ: (مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟ قَلْنَا: نَحْنُ،

(١٤٢٨) لأنها تحس أن السكين إنما تُحَدُّ لذبحها، فتتمثل الموت فكانها ماتت قبل موتها .

(١٤٢٩) أى : يتخذونها غرضًا يرمونه بالنبال على هيئة الرهان .

(١٤٣٠) أى : جعلوا له أجرة على ذلك كل السهام التى تخطئ الرمى .

(١٤٣١) الغرض: أى هدف الرمى .

(١٤٣٢) وهى طائر أحمر اللون وجمعه حُمَرٌ بتشديد الميم .

(١٤٣٣) أى : تبنى عريشًا وهو العش .

(١٤٣٤) أى : من آلمها وأحزنها بسلب ولديها منها .

قال: إنه لا ينبغي أن يُعذَّب بالنار إلا ربُّ النار). [رواه أبو داود]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يؤديا لهذا الطير .. أو الحيوان .. حقه .. وبدون عبث كما جاء فى حديث (الشريد) ﷺ .. الذى حدّرنا فيه النبى ﷺ من هذا الفعل المشين الذى سنُسال عنه يوم القيامة .. (وعلى) الأخت المسلمة .. أن تلاحظ بصفة خاصة أن وضع ساقها على الطير الذى تقوم (بتزغيطه) ووضع الحبِّ فى فمه بتلك الصورة الغير طبيعية .. يُعتبر تعذيباً لهذا الطير .. وسوف تُسال عن هذا أيضاً يوم القيامة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل الرحمة .. حتى نُرحم إن شاء الله فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق ..

(٩٦) بماذا نُوصينا إذا أردنا أن نتناول طعاماً .. وما هذه الجلسةُ يا رسول الله؟

عن عبد الله بن بسرٍ رضي الله عنه قال: كان للنبى ﷺ قَصْعَةٌ (١٤٣٥) يقال لها الغراءُ (١٤٣٦) يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا (١٤٣٧)، وسجدوا الضحى (١٤٣٨)، أتى بتلك القَصْعَةِ، يعنى وقد أُثردَ فيها (١٤٣٩)، فالتقوا عليها، فلما كثروا جثاً رسولُ الله ﷺ (١٤٤٠)، فقال أعرابى: ما هذه الجلسةُ (١٤٤١)؟ قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله جعلنى عبداً كريماً (١٤٤٢)، ولم يجعلنى جباراً عنيداً) (١٤٤٣)

(١٤٣٥) هى الصفحة التى يوضع فيها الطعام، وجمعها فصاع وقصعات.

(١٤٣٦) أنثى الأغر وهو الحسن أو الأبيض من كل شىء.

(١٤٣٧) أى: دخلوا فى الضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس وانتشار ضوئها وحرارتها.

(١٤٣٨) يعنى صلواها .. وعبر عن الصلاة بالسجود لأنه أهم أركانها .

(١٤٣٩) أى: ملئت بالثرید وهو الخبز المندى بالمرق ونحوه .. وهو بركة كما ورد فى الأثر .

(١٤٤٠) أى: جلس على ركبتيه مستوفزاً تواضعاً لله ورغبة فى سرعة القيام.

(١٤٤١) تعجب الأعرابى من تلك الجلسة لأنهم كانوا يتربعون على الطعام طلباً للامتلاء.

(١٤٤٢) أى: سخياً معطاء.

(١٤٤٣) أى: لا متكبراً متمرداً.

ثم قال رسول الله ﷺ: (كُلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا، وَدَعُوا زُرُوتَهَا) ^(١٤٤٤) يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهَا.

[رواه أبو داود وابن ماجه]

ففى هذا الحديث الشريف .. نستطيع وبوضوح أن نقف على عدة ملاحظات إيجابية ينبغى علينا جميعاً كمؤمنين أن ننتفع بها .. (وهى) أن قصعة الرسول ﷺ - التى كان يُوضع الثريد فيها - كانت تسمى بالغرَاء .. - وهى أنثى الأغر وهو الحسن - وتلك إشارة ينبغى علينا أن ننتفع بها حتى تُسمى أبناءنا . (بل) وأدواتنا التى نستعملها فى طعامنا وشرابنا .. بتلك الأسماء الحسنة التى تبشر بالخير وتجعل الإنسان سعيداً برويتها - ولاسيما إذا كانت حسنة فعلاً - وكذلك إذا كان يتناول فيها طعاماً أو شراباً حلالاً.

(وإذا) كانت هذه القصعة: يحملها أربعة رجال - كما جاء فى نصّ الحديث - فإن هذا يشير إلى كرم النبى ﷺ المنقطع النظير .. والذى إن دل على شىء فإنما يدل على أنه صلوات الله وسلامه عليه كان أستاذاً للبشرية فى الحرص على أن تكثر الأيدي على قصعة طعامه الذى هو خير طعام .. (وأيضاً) إذا كانت القصعة قد أتى بها لكى توضع بين أيدي الرجال .. بعد أن صلوا صلاة الضحى .. فإن هذا معناه .. أنه ينبغى علينا - كمؤمنين ومؤمنات - أن نلاحظ هذا .. حتى تكون هناك بركة فى هذا الطعام وحتى لا تمتد يد الشيطان فيه .. (بل) وحتى نكون قد بدأنا بالخير الذى ينبغى علينا أن لا نُحرم منه .. ولاسيما بالنسبة لصلاة الضحى.

(فعن) أبى ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامَى ^(١٤٤٥) مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلْ تَسْبِيحَةَ صَدَقَةٍ ، وَكُلْ تَحْمِيدَةَ صَدَقَةٍ ، وَكُلْ تَهْلِيلَةَ صَدَقَةٍ ، وَكُلْ تَكْبِيرَةَ صَدَقَةٍ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَيَجْزَى ^(١٤٤٦) مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى).

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

(١٤٤٤) أى: أعلاها.

(١٤٤٥) أى: عظام البدن ومفاصله.

(١٤٤٦) يجزى - بفتح أوله - معنى يكفى ، أو بضمه ، ويكون من الإجزاء.

(وإذا) كان النبي ﷺ قد جثا أمام القصعة ، بمعنى أنه جلس على ركبتيه مستوفراً تواضعاً لله، ورغبةً في سرعة القيام .. (فإنه) بهذا كذلك يخالف العادة التي كان يجلسها أو يفعلها الأعراب إذا ما جلسوا أمام قصعة كهذه . لكي يتناولوا طعاماً .. فإنهم كانوا يتربعون طلباً للامتلاء .

(وقد) ورد الترغيب في عكس هذا .. (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المسلم يأكل في معي واحد، والكافر في سبعة أمعاء).

[رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه ، وغيرهم]

أى: أن من شأن المؤمن التقليل من الأطعمة وغيرها من حظوظ الدنيا، وأما التوسع فيها وتناولها بشراهة ونهم والإفراط في ذلك ، فهو من شأن الكفار الذين نظرهم مقصور على هذه الدار .. (وأما) من يعلم أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هي دار القرار ، فإنه يغلب عليه الزهد في الدنيا والتقلل من طيباتها والاستعداد للآخرة.

وفي رواية للبخارى: أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيراً فأسلم، فكان يأكل أكلاً قليلاً ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (إن المؤمن يأكل في معي واحد، وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء) .

قال العيني: (حكى القاضى عياض عن أهل الطب والتشريح أنهم زعموا أن أمعاء الإنسان سبعة: المعدة ، ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها: البواب، والصائم، والرقيق، وهى كلها رقاق، ثم ثلاثة غلاظ: الأعور، والقولون، والمستقيم وطرفة الدبر. فالمؤمن يكفيه ملء أحدها ، والكافر لا يكفيه إلا ملء كلها) وقال النووي: (الصفات السبعة فى الكافر، وهى الحرص، والشرة، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، وحب السمّن) وتأويل الأمعاء بهذه بعيد. وقال القرطبي: (شهوة الطعام سبع: شهوة الطبع ، وشهوة النفس ، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، وشهوة الجوع، وهى الضرورية التى يأكل بها المؤمن ، وأما الكافر: فيأكل بالجميع) .

(وإذا) كان النبي ﷺ قد قال فى ختام الحديث: (كُلُوا من جَوَانِبِهَا، وَدَعُوا ذُرُوتَهَا يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهَا)، فقد ورد فى توضيح هذا المعنى (عن) ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (الْبِرْكَةُ تَنْزَلُ وَسَطَ الطَّعَامِ (١٤٤٧)، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ (١٤٤٨)، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ).

[رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، كلهم عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عنه، وقال الترمذى واللفظ له: حديث حسن صحيح]

ولفظ أبى داود وغيره: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلُ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَإِنَّ الْبِرْكََةَ تَنْزَلُ مِنْ أَعْلَاهَا (١٤٤٩) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى ينتفعا به .. سواء كان هذا فى بيوتنا أو خارجها .. (بل) وعلينا أن نوجه أبناءنا إلى تلك الآداب المحمدية .. (فقد) ورد عن عمر بن أبى سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ) [متفق عليه] والله ولى التوفيق ،،

(٩٧) لِمَاذَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ . يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن وَحْشَى بْنِ حَرْبٍ بنِ وَحْشَى بنِ حَرْبٍ عن أبيه عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالوا يا رسول الله: إِنَّا نَأْكُلُ، وَلَا نَشْبَعُ؟ قَالَ: (تَجْتَمِعُونَ عَلَى طَعَامِكُمْ أَوْ تَتَفَرَّقُونَ؟) قالوا: نَتَفَرَّقُ. قَالَ: (اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ). [رواه أبو داود، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه] وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: (طَعَامُ الْإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ). [رواه البخارى ومسلم]

(١٤٤٧) أى: فى المكان المتوسط من القصة.

(١٤٤٨) تشية حافة، وهى الجانب أو الطرف.

(١٤٤٩) أى: من وسطها لأنه يكون عادة أعلى من الجوانب.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين ، وطعامُ الاثنينِ يكفي الأربعةَ ، وطعامُ الأربعةِ يكفي الثمانيةَ) [رواه مسلم والترمذي وابن ماجه ، ورواه البزار من حديث سمرة دون قوله: (وطعامُ الأربعةِ يكفي الثمانيةَ) وزاد في آخره: (ويدُ الله على الجماعة)]

ففي الحديث الأول يسأل النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين أخبروه بأنهم يأكلون ولا يشبعون: أتجتمعون على طعامكم أو تتفرقون ؟ فلما كان جوابهم هو أنهم يتفرقون .. قال لهم: (اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسمَ الله تعالى يُبارك لكم فيه)، وذلك لأنه بالاجتماع على الطعام، وبذكر اسم الله تعالى تنزل البركة ويمتنع الشيطان من الوصول إلى الطعام .

وفي الحديث الثاني يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مطلق طعام القليل يكفي الكثير .. قال المهلب: (المراد بهذه الأحاديث الحضر على المكارم والتقنع بالكفاية، وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية ، وإنما المراد الموساة، وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما، وإدخال رابع أيضاً بحسب ما يحضر) . وقال ابن المنذر: (يؤخذ من حديث أبي هريرة استحباب الاجتماع على الطعام وأن لا يأكل المرء وحده).

وقال في الفتح: (وفي الحديث أيضاً الإشارة إلى أن الموساة إذا حصلت حصلت معها البركة فتعمُّ الحاضرين ، وفيه أنه لا ينبغي للمرء أن يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه، فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى حصول سدِّ الرمق وقيام البنية لا حقيقة الشبع) .

وكذلك بالنسبة لحديث جابر، فإن المراد به أن الله تعالى يبارك في الطعام حتى يكفي ضعف عدد الذين أُعدَّ لهم الطعام.

وإذا كان حديث جابر رضي الله عنه يشير إلى هذا .. فإنه حسبنا أن نقف على حديثين شريفيين صحيحين يرويهما - أيضاً - سيدنا جابر رضي الله عنه ، فيقول في أولهما (١٤٥٠):

(١٤٥٠) كما جاء في الجزء الأول من (الدين الخالص) ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(عَطَشَ النَّاسَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ (١٤٥١) ، وَقَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ ، فَوَضَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيُونِ فَتَوَضَّأْنَا وَشَرَبْنَا . قِيلَ لَجَابِرٍ : كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكُنَّا ، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً) . [أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ]

وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي : كُنَّا فِي حَفْرِ الْخَنْدُقِ ، فَرَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا (١٤٥٢) شَدِيدًا ، فَاَنْكَفَأْتُ (١٤٥٣) إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا ، فَأَخْرَجْتُ إِلَى جَرَابٍ فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ (١٤٥٤) دَاجِنٌ (١٤٥٥) فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ ، فَفَرَعْتُ إِلَى فِرَاعِي (١٤٥٦) ، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا (١٤٥٧) . ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْضَحْنِي (١٤٥٨) بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحْنَا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَتْ عِنْدَنَا . فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرِ مَعَكَ ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : (يَا أَهْلَ الْخَنْدُقِ ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا (١٤٥٩) فَحِيَّهَا بِكُمْ) (١٤٦٠) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ) . فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي ، فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ (١٤٦١) . فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ ،

(١٤٥١) الرِّكْوَةُ بفتح فسكون : ما يُعَدُّ لِلْمَاءِ ، وَجَمْعُهَا رِكَاءٌ .

(١٤٥٢) الْخَمَصُ بضم فسكون ، أَوْ بفتحين ، أَوْ بفتح فسكون : الْجُوعُ .

(١٤٥٣) فَاَنْكَفَأْتُ : أَي رَجَعْتُ إِلَى امْرَأَتِي ، وَاسْمُهَا سُهَيْلَةٌ .

(١٤٥٤) الْبُهَيْمَةُ : تَصْغِيرُ بُهْمَةٍ ، وَهِيَ وَلَدُ الضَّانِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى .

(١٤٥٥) وَالدَّاجِنُ : الَّتِي تَأَلَّفَ الْبَيْتَ وَتَتْرَبِي فِيهِ .

(١٤٥٦) أَي : فَرَعْتُ امْرَأَتِي مِنْ طَحْنِ الشَّعِيرِ مَعَ فِرَاعِي مِنْ ذَبْحِ الْبُهَيْمَةِ .

(١٤٥٧) وَالبُرْمَةُ : بضم الباء : أَي الْقَدْرُ .

(١٤٥٨) وَلَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ، تَعْنَى تَحْذِيرَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمَنْ لَا يَكْنِيهِمُ الطَّعَامُ الْقَلِيلُ الَّذِي عِنْدَهَا .

(١٤٥٩) وَالسُّورُ ، بِالضَّمِّ غَيْرُ مَهْمُوزٍ - كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ - مَعْنَاهَا الْوَلِيمَةُ وَالطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ .

(١٤٦٠) وَحِيَّهَا : أَي تَعَالَوْا وَعَجَلُوا .

(١٤٦١) (بِكَ وَبِكَ) أَي : فَعَلَ اللَّهُ بِكَ كَذَا ، وَفَعَلَ بِكَ كَذَا . وَهَذَا كِتَابَةٌ عَنِ الْكَلَامِ الَّذِي عَابَتْ بِهِ

زَوْجَهَا حَيْثُ خَالَفَ قَوْلَهَا : لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ . وَ(بَارِكْ) أَي : دَعَا بِالْبَرَكَةِ .

فأخرجتُ له العجينَ فَبَصَقَ فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فيها وبارك .
ثم قال: (ادعى خابزةً فَلتَّخَبِرُ معك، واقْدَحِي من بُرْمَتِكُمْ ولا تُنزلوها)
فأقسم بالله لأكلوه حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتِنَا لتَغْطُ (١٤٦٢) كما هي،
وإن عجيننا ليُخَبِرُ كما هو .
[أخرجه الشيخان]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة أن ينتفعا بكل هذا.. وأن ينفذا المراد منه
.. حتى يكونا من أهل البركات المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٤٦٣) .. وعليهما
أيضاً أن يُكثرا من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه
عليه .. الذى حدثنا سيدنا جابر عن بركاته التى نسأل الله تبارك وتعالى أن
يجعلنا أهلاً لها .. وأن يكرمنا بها فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق ..

(٩٨) ما هى الخامة التى أخرجتها

إلى يوم القيامة من أجل أمتك .. يا رسول الله ؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قام من الليل
يُصَلِّي ، فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه (١٤٦٤) حتى إذا صَلَّى وانصرف
إليهم، قال لهم

(لقد أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا مَا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: أَمَا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى
النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً، وَكَانَ مَن قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ (١٤٦٥) ، وَنُصِرْتُ
عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لَمَلِئَ مِنْهُ (١٤٦٦) .

(١٤٦٢) وغطت القدر: أى غلت، وغطيتها: صوتها.

(١٤٦٣) الأعراف: من الآية ٩٦ .

(١٤٦٤) لأنهم كانوا يخشون عليه من المنافقين .

(١٤٦٥) وهذا معناه أن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عامة .. وهذا ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

(١٤٦٦) يعنى: أن الله يقذف الرعب فى قلوب أعدائه وبينهم وبينه مسيرة شهر .

وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ أَكْلَهَا^(١٤٦٧)، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظَّمُونَ أَكْلَهَا، وَكَانُوا يَحْرُقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسَاجِدَ^(١٤٦٨) وَطَهُورًا^(١٤٦٩)، أَيْنَمَا أَدْرَكْتَنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظَّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كِنَائِسِهِمْ وَبَيْعِهِمْ، وَالخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ^(١٤٧٠)؟ قِيلَ لِي: سَلْ، فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ^(١٤٧١)، فَأَحَرَّتْ مَسَأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١٤٧٢)، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(١٤٧٣). [رواه أحمد بإسناد صحيح]

وعن عبد الرحمن بن أبي عَقِيلٍ رضي الله عنه قال: انطلقتُ في وَفْدٍ^(١٤٧٤) إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأتخنا بالباب^(١٤٧٥) وما في الناس أبغضُ إلينا من رجلٍ نلجُ عليه^(١٤٧٦)، فما خرجنا حتى ما كان في الناس أحبَّ إلينا من رجلٍ دُخِلَ عليه ، فقال قائلٌ منّا: يا رسول الله، ألا سألتُ ربَّكَ مُلْكًا كَمَلُكَ سُلَيْمَانَ^(١٤٧٧)؟ قال: فضحك ثم قال: (فَلَعَلَّ لِمَا أَحْبَبْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ^(١٤٧٨))، إِنْ اللَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا أَعْطَاهُ دَعْوَةً ، فَمِنْهُمْ مَنْ اتَّخَذَهَا دُنْيَا فَأَعْطِيَهَا^(١٤٧٩)، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا بِهَا عَلَى قَوْمِهِ إِذْ عَصَوْهُ فَأَهْلِكُوا بِهَا^(١٤٨٠)، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي

(١٤٦٧) جمع غنيمة ، وهو ما يؤخذ من الكفار في الحرب.

(١٤٦٨) أى: أماكن للصلاة.

(١٤٦٩) أى: جعل لي ترابها طهوراً أتيهم منه إذا لم أجد الماء .

(١٤٧٠) هذا التعبير تفخيم لشأنها .

(١٤٧١) أى: دعا الله بدعوة وأجيبته دعوته في الدنيا.

(١٤٧٢) لتكون شفاعة يرحم الله بها هذه الأمة.

(١٤٧٣) يعنى: لكل من مات من هذه الأمة ولم يشرك بالله شيئاً .

(١٤٧٤) الوفد جمع الوافد، وهم القوم يقدون على أمير ونحوه ، وجمع الوفد وفود.

(١٤٧٥) يعنى: أبركنا وواحلنا بيابه .

(١٤٧٦) يعنى: وليس في الناس أحد هو أشدُّ بَعْضاً إلى قلوبنا منه ﷺ. (ونلج) يعنى: ندخل عليه .

(١٤٧٧) فإنه كان ملكاً عظيماً حيث سخر الله له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . . وسخر له

الشياطين من كل بناء وغواص يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتماثيل . . الخ .

(١٤٧٨) ولعل هنا ليست عن بابها من التَّرجِي بل هي للتحقيق، فإن ما أعطيه نبينا ﷺ في الآخرة من

شفاعات متعددة وخصائص جمّة تفوق على كل ما أعطيه إخوانه من الرسل عليهم السلام .

(١٤٧٩) وذلك كسليمان عليه السلام حيث قال: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ (٣٥) [ص].

(١٤٨٠) وذلك كنوح عليه السلام حيث قال: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٦٦) [نوح].

وكموسى عليه السلام حيث قال: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨].

دعوةً فاختبأها عند ربي شفاعةً لأمتي يومَ القيامة).

[رواه الطبراني والبخاري بإسناد جيد]

فهذه الخامسة المشار إليها في الحديثين - وفي أحاديث أخرى وردت في الصحاح وغيرها - هي: الشفاعة الكبرى التي أخرجها عند الله تعالى من أجلنا إلى يوم القيامة.

(وحتى) ننتفع بهذا الموضوع الهام الذي نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً له.. فإنني أرى أن أقف مع الأخ القارئ على ما جاء حوله.. في (الدين الخالص) (١٤٨١)، حيث يقول تحت عنوان:

الشفاعة

وهي لغةً: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير للغير، وهي تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين .

(فعن) عثمان بن عفان رضي أن النبي صلى قال: (يشفع يومَ القيامةِ ثلاثة: الأنبياءُ، ثم العلماءُ، ثم الشهداء) [أخرجه ابن ماجه]

ثم يقول: (والحق) أن الشفاعة من باب القضاء المُعلَّق فنفعها ظاهري. (هذا) واعلم أن النبي صلى هو أول فاتح لباب الشفاعة: يفتحها بالشفاعة في فصل القضاء، وهي الشفاعة العظمى المختصة به، أي: التي يغبطه بها الأولون والآخرون، وهي المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى: **عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمَجَّدًا** (١٤٨٢).

(فعن) أبي هريرة رضي قال: سئل النبي صلى عن المقام المحمود في الآية ، فقال: (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي).

[أخرجه أحمد والترمذي والبيهقي في الدلائل]

(وعن) ابن عمر رضي أن النبي صلى قال: (إن الشمس تَدنو يومَ القيامةِ حتى

(١٤٨١) ج ١ ص ١٠٠ وما بعدها .

(١٤٨٢) الإسراء: ٧٩ .

يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك، استغاثوا بآدم، فيقول: لست صاحب ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: فيشفع ليُقضى بين الخلق، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم)

[أخرجه البخارى وابن جرير]

(وعن) أبى بن كعب أن النبي ﷺ قال: (إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر).

[أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعاً لأمتى فى الآخرة) أخرجه مالك والبخارى واللفظ له، ومسلم وزاد: (فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً).

(وعن) جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (شفاعتى لأهل الكباثر من أمتى^(١٤٨٣)) [أخرجه أحمد والنسائى وابن حبان وأبو داود والترمذى وزاد: قال جابر: (من لم يكن من أهل الكباثر فما له وللشفاعة) قال الترمذى: هذا حديث غريب].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، هل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: عليكم بآدم، فيأتونه فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه^(١٤٨٤)، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك الجنة. اشفع لنا إلى ربك. ألا

(١٤٨٣) وأما حديث: (لا تنال شفاعتى أهل الكباثر من أمتى): فموضوع.

(١٤٨٤) (من روجه): الإضافة لتعظيم المضاف. . أى: أن الله تعالى نفخ فى آدم رُوحاً خلقها بلا أب ولا

ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته (١٤٨٥) نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمأك الله عبداً شكوراً (١٤٨٦)، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي (١٤٨٧) نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام.

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات (١٤٨٨) فذكرها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: أنت رسول الله، فضلك برسالته وبكلامه على الناس (١٤٨٩) . اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

(١٤٨٥) وكانت هذه العصية قد وقعت منه سهواً قبل النبوة ، كما قال الله تعالى: ﴿ نَفْسِي وَآلِمٌ نَجِدُ لَهٗ عَزْمًا ﴾ [طه]، غير أن الأمر عظم لديه نظراً لعلو مقامه فعد نفسه عاصياً من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. فالعصيان صوري لا حقيقي لأن العصيان ملازمة الكبيرة فصدًا، والقصد هنا منتف لقوله تعالى: ﴿ نَفْسِي ﴾.

(١٤٨٦) قال الله تعالى: ﴿ قُرْبَةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ والآية رقم ٣ من سورة الإسراء .
(١٤٨٧) وهى التى يقول الله تعالى مشيراً إليها فى سورة نوح: ﴿ رَبِّ لَا تَقْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَهْرًا ﴾ [نوح: ٢٦] أى: أهدأ .

(١٤٨٨) أى: فى الصورة لا فى الحقيقة لتتزهيمهم عن الكذب والمخالفات، وذلك قوله عليه السلام: ﴿ إِنِّي سَلِيمٌ ﴾ [الصافات]. وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله فى شأن سارة: (هى أختى) وهى من المعارض.

(١٤٨٩) أى: أهل زمانه .. (والكليم) وصف غالب عليه كالحبيب لنبينا ﷺ ، وإن شارك الكليم فى التكليم والخليل فى الخلة على وجه أكمل وأعلى .

فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلتُ نفساً (١٤٩٠) لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: أنت رسولُ الله وكلمته (١٤٩١) ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وكلمتُ الناس في المهدي، اشفعُ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله (ولم يذكر ذنباً) (١٤٩٢) نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيأتوننى فيقولون: أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، اشفعُ لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنتلقُ إلى تحت العرش فأقعُ ساجداً لربّي ، ثم يفتحُ الله عليّ من محامده وحسُن الثناء عليه - بما - لم يفتحهُ على أحد قبلى ثم يُقال: يا محمد، ارفعُ رأسك وسلِّ تُعطهُ، واشفعُ تُشفعُ، فأرفعُ رأسي فأقول: أُمّتى يا رب (١٤٩٣) ،

(١٤٩٠) وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ {القصص: ١٥} فقد استعظمه لكونه لم يؤمر به، ومثله لا يقدر في العصمة لأنه خطأ.

(١٤٩١) أى: وجدَ بقوله تعالى: (كُنْ) لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة، وسمى (روحاً) لأنه حدث عن نفخة جبريل فى درج مريم بأمر الله تعالى .

(١٤٩٢) فى رواية أحمد والنسائى: (إنى اتخذتُ لها من دون الله) . والمراد بالذنب ما فرط من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه ﷺ ، وليس بذنوب حقيقة لمنافاته العصمة. (مع ملاحظة): أن المراد بغضب الله تعالى لازمه وهو إيصال العقوبة إلى المستحق.

(١٤٩٣) إن قيل: إن الحديث فى الشفاعة العظمى وهى عامّة، فكيف يخصها بقوله: (أمتى)؟ (فالجواب) أن فيه حذفاً تقديره أنه أذن له فى الشفاعة العظمى فشفع. ثم خص أمته بشفاعة أخرى. يدل عليه ما فى حديث حذيفة وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال: يجمع الله الناس . . (الحديث) وفيه: فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له (يعنى فى الشفاعة) وترسل الأمانة والرحم (لعظم أمرهما تصوران مُشخصتين كما يريد الله) فتقومان جنيتى (بفتحات: أى جانبى) الصراط وشمالاً فيمر أولهم كالبرق، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشدّ الرجال - بالجيم. جمع رجل. وفى رواية بالخاء المهملّة: جمع رحل. وشدها: جريها البالغ - تجرى بهم أعمالهم ، ونيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم (الحديث) أخرجه مسلم (ص ٧٠ ج ٣) نوى. وبهذا يتصل الحديث لأن الشفاعة التى لجأ إليه الناس فيها هى الشفاعة العظمى ثم حلت الشفاعة فى أمته فقال ﷺ: (أمتى أمتى).

أُمَّتِي يَا رَب ، فيقال: يا محمد ادخل من أمتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة . وهم شركاءِ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال: والذي نفسى بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر (١٤٩٤) . أو كما بين مكة وبُصرى).

[أخرجه أحمد والشيخان والترمذى]

ثم بعد ذلك يقول (١٤٩٥) : فعلى المُكَلَّف أن يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم شافع مقبول الشفاعة ، وأنه أول شافع، وأول من يُقضى بين أُمَّته، وأنه أول من يجوز على الصراط بأُمَّته .

(روى) أبو سعيد أن النبي ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تُنشقُ الأرضُ عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مُشَفَّع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر) [أخرجه ابن ماجه]

(وعن) أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مُشَفَّع) [أخرجه مسلم وأبو داود]

ثم يقول: (وللنبي) ﷺ شفاعات أخرى (منها): إدخال قوم من أُمَّته الجنة بغير حساب (ومنهما): إخراج الموحدين من النار. ويشفع لقوم فى رفع درجاتهم، ولمن مات بالحرمين مؤمناً، ولمن سأل له الوسيلة بعد إجابة المؤذن.

(فعن) جابر أن النبي ﷺ قال: (مَنْ قال حين يسمعُ النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته. حلَّت له شفاعتى يوم القيامة) .

[أخرجه السبعة (١٤٩٦) إلا مسلماً]

(ويشفع) لعمه أبى طالب فى إخرابه من غمرات النار إلى ضحضاح يصل

(١٤٩٤) (مجر) بفتحين: بلد قرب المدينة المنورة (بُصرى) بضم فسكون: بلد بالشام. والمراد تقرير اتساع ما بين جانبي أبواب الجنة لا تقديره على التحقيق .

(١٤٩٥) (فى الدين الخالص) ج ١ .

(١٤٩٦) أى: أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

إلى كعبية (فعن) جابر - أيضاً - أنه قال: سئل النبي ﷺ هل نفعت أبا طالب بشيء؟ قال: (أخرجته من النار إلى ضحضاح^(١٤٩٧) منها) [أخرجه البزار] قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه. (وأبو طالب) أقل أهل النار عذاباً (لحديث) ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو مُنتعل بنعلين يغلى منهما دماغه). [أخرجه مسلم]

(ويشفع) النبي ﷺ لغير هؤلاء (روى) بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومتر). [أخرجه أحمد والبيهقي]

(وعن) عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: (يخرج قوم من النار بشفاعته محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون الجنة، يُسمون الجهنميّين) [أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه]

(وقد) سموا بذلك استذكّاراً لما كانوا فيه ليزدادوا فرحاً على فرح. اهـ بتصرف.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يذكّرا كل هذا حتى يحرصا دائماً وأبداً على أن يكونا أهلاً لشفاعة الرسول ﷺ (بل) وحتى لا يكونا إن شاء الله تعالى من أهل النار التي فيها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال إنسان. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١٤٩٨). ولهذا فقد قال الله تعالى: ﴿لَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١٥٠٠) وقال ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١٥٠١).

(١٤٩٧) ضحضاح بوزن خلخال، أى: قريب القعر.

(١٤٩٨) (المهل): ماء عكر كدردي الزيت الأسود يغلى فى البطون كغلى الحميم. وقيل: هو النحاس المذاب.

(١٤٩٩) الكهف: ٢٩.

(١٥٠٠) آل عمران: ١٨٥.

(١٥٠١) الحشر: ٢٠.

نَسَأَلُ اللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِنَ الْفَائِزِينَ بِشَفَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى نَنْجُو مِنَ النَّارِ وَنَدْخُلَ الْجَنَّةَ .. اللّٰهُمَّ آمِينَ ،،

(٩٩) مَنْ هُوَ الْمَحْرُومُ .. يَا رَسُولَ اللّٰهِ ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَاتَ فُلَانٌ . قَالَ : (أَلَيْسَ كَانَ مَعَنَا آتِفًا) ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : (سُبْحَانَ اللّٰهِ ، كَأَنهَا أَخَذَتْ عَلَى غَضَبٍ ، الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ ^(١٥٠٢)).

[رواه أبو يعلى بإسناد حسن]

(ورواه) ابن ماجة مختصرًا، قال: قال رسول الله ﷺ: (المحروم من حريم وصيئته) .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى موضوع من الأمور الهامة التى ربّما لا تفكر فيها .. ولا نعمل لها حسابًا .. ألا وهو موضوع الوصية التى ينبغى أن تكون جاهزة قبل أن يختطفنا الموت من غير نُذُرٍ سابقة، ولا أمارات دالّة عليه . كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى قوله للرجل الذى أخبره بأن فلانًا قد مات: (أليس كان معنا آتِفًا؟)، ثم عبّ قوله هذا بقوله: (سبحان الله كأنها أخذت على غضب) أى: كأن الموت أخذته بسبب غضبة هيّجت دمه وقتلته .

(ويُحتمل) أن يكون المعنى: كأنها أخذت من الله وعقوبة بسبب غضبه عليه .. ثم قال أيضًا بعد ذلك: (المحروم من حريم وصيئته) أى: أن فلانًا هذا قد حُرِمَ من كتابة وصيته التى كان ينبغى عليه أن يحرص على كتابتها حتى لا يُحرَمَ من الثواب والأجر فى الآخرة .. (ولكنه) قَصَرَ فى بيان ما له وما عليه وأهمَلَ المطلوب منه قبل موته .. (وذلك) لأن الوصية هى آخر عمل من أعمال الدنيا

(١٥٠٢) والوصية آخر عمل من أعمال الدنيا .. وقد شرعت ليتفع بها فى الآخرة .. فمن حُرِمَها فقد حُرِمَ خيرًا كثيرًا .. ولا سيما إذا كانت الوصية تتعلق بما له وما عليه من الحقوق .. والتبرّته من مخالفة شرع الله بعد وفاته .

شرعت لينتفع بها العبد فى الآخرة .. فمن حُرِمَها فقد حُرِمَ خيراً كثيراً ..
(ولهذا) فقد قال الرسول ﷺ فى حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما:

(ما حَقَّ امرئُ مسلمٍ له شىءٌ يُوصى فيه، يبيتُ فيه ليلتين) (وفى
رواية): (ثلاث ليالٍ، إلا ووصيته مكتوبة عنده) قال نافع: سمعت عبدالله بن عمر
يقول: (ما مرت على ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى
وصيتى مكتوبة).

[رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

فمعنى: (ما حَقَّ امرئُ مسلمٍ) أى: لا يحق ولا ينبغي عليه (له شىء يوصى
فيه) أى: يريد أن يوصى فيه .. (وشىء): يشمل الوصية بالمال وغيره (يبيت
فيه ليلتين): أصله أن يبيت ليلتين .. فحذفت أن فارتفع الفعل .. وحول معنى
(ثلاث ليالٍ) كما جاء فى الرواية الثانية .. قال النووى: (والحاصل أن ذكُر
الليلتين أو الثلاثة لرفع الحرج لتزاحم أشغال المرء التى يحتاج إلى ذكرها ففسح
له هذا المقدار ليتذكر ما يحتاج إليه ..).

والمعنى المراد من قوله: (ووصيته مكتوبة عنده) أن وصية الرجل ينبغي
أن تكون مكتوبة عنده ومُعَدَّة دائماً .. وإنما أورده بتلك الصورة قصداً للمبالغة
وحتاً على كتابة الوصية .. (قال) النووى: (ويستفاد من الحديث الحث على
الوصية وجواز الاعتماد على الكتابة والخط ولو لم يقترن ذلك بالشهادة والندب
إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت .. لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه
الموت).

وقال القرطبى: (ذكُر الكتابة مبالغة فى زيادة التوثق .. وإلا فالوصية المشهود
بها متفق عليها .. ولو لم تكن مكتوبة والله أعلم) . (واستدل) بقوله: (ووصيته
مكتوبة عنده على أن الوصية تُنْفَذُ وإن كانت عند صاحبها، ولم يجعلها عند
غيره، وكذلك لو جعلها عند غيره وارتجعها ..) كما استدل بقوله (له شىء) على
صحة الوصية بالمنافع وهو قول الجمهور .. ومنعه ابن أبى ليلى وابن شبرمة
وداود وأتباعه واختاره ابن عبد البر .

(وقال) فى الفتح: (وفى الحديث الحض على الوصية .. ومطلقها يتناول الصحيح .. لكن السلف خَصُّوْها بالمريض .. وإنما لم يُقيد به فى الخبر لأطراد العادة به. (وقوله): (مكتوبة) أعم من أن تكون بخطه أو بغير خطه .. ويُستفاد منه أن الأشياء المهمة ينبغى أن تُضبط بالكتابة لأنها أثبتت من الضبط بالحفظ لأنه يخون غالباً) اهـ .

هذا ، وإذا كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قد قال بعد ذلك فى نص الحديث الأخير: (ما مرت على ليلة منذ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندى وصيتى مكتوبة) .

وذلك لأنه عليه رضوان الله كان من أشد الصحابة اتباعاً للسنة ومبادرة إلى امتثال أمر الشارع والمواظبة عليه: فإننا نرجو كذلك وتشبهاً بالرجال أن نفعل مثله .. قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى نعيشها إلى تلك اللحظة أن نحياها. (فقد) روى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات على وصية مات على سبيل (١٥٠٣) وسنة (١٥٠٤)، ومات على تقى (١٥٠٥) وشهادة (١٥٠٦)، ومات مغفوراً له (١٥٠٧)). [رواد ابن ماجه] والله ولى التوفيق ،،

(١٠٠) ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سمع قوماً من أصحابه يتنازعون بينهم فى القدر؟

عن أنس رضي الله عنه قال: خرج النبى صلى الله عليه وسلم وهو يريد الحجرة فسمع قوماً يتنازعون بينهم فى القدر وهم يقولون: ألم يقل الله: إنه كذا وكذا؟ ألم يقل الله آية كذا

(١٥٠٣) أى: على طريق واضحة مستقيمة حيث بين ما له وما عليه ولم يترك مجالاً للنمازعات والقضايا بعده.

(١٥٠٤) أى: اتباعاً لوصية الشرع وتنفيذاً لها .

(١٥٠٥) أى: على حالة من التقى والخوف من الله عز وجل جعلته يجتهد فى إبراء ذمته بالوصية.

(١٥٠٦) أى: مات شهوداً له بالخير أو كما يموت الشهيد فى سبيل الله .

(١٥٠٧) يعنى: إذا عدل فى وصيته ولم يجز .. أى الظلم.

وكذا؟ قال: ففتح النبي ﷺ باب الحجره فكأنما فُقيء في وجهه حبُّ الرُّمَّانِ، فقال: (أبهذا أُمِرْتُمْ؟ أو بهذا بُعِثْتُمْ؟ إنما هلكَ الذينَ من قبلكم بأشباه هذا، ضربوا كتابَ الله ببعضه ببعض، أمركم الله بأمرٍ فاتبعوه، ونهاكم عن شيءٍ فانتهوا).

[أخرجه الدارقطنى فى الأفراد، والشيرازى فى الألقاب، وابن عساكر عن أنس] (١٥٠٨)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبهذا أُمِرْتُمْ؟ أم بهذا أُرْسِلْتُ إليكم؟ إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم حينَ تنازعوا فى هذا الأمر، عزمْتُ عليكم أَلَّا تنازعوا فيه).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبهذا بُعِثْتُمْ؟ أم بهذا أُمِرْتُمْ؟ أَلَّا تَرْجِعُوا بَعْدَى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ).

[أخرجه ابن الضريس والطبرانى فى الأوسط]

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبهذا أُمِرْتُمْ؟ أو لهذا خُلِقْتُمْ؟ أن تَضْرِبُوا كتابَ الله بعضاً ببعض، أَنْظَرُوا ما أُمِرْتُمْ به، فاتبعوه، وما نُهِيتُمْ عنه فانتهوا).

(ففى) هذه الأحاديث الشريفة يشير النبي ﷺ إلى خطورة هؤلاء القدرين وغيرهم وهم الذين تجرءوا على الله تبارك وتعالى ووصل الأمر بهم .. أن فرقة منهم وهم (المرجئة) قالوا^(١٥٠٩): ليس لله على عباده فريضة إلا الإيمان. ومن آمن فقد عرفه، ومن عرفه فليفعل ما يشاء .. والإيمان عندهم هو الإقرار بالشهادتين فقط، وسُموا المرجئة لأنهم أرجئوا العمل والطاعات أى أخروها عن الإقرار . والفرائض عندهم ليست عبادات بل طاعات .. صاروا إلى خمس فرق منها المريسية أتباع بشر المريسي الذى يقول: إن السجود للصنم ليس بكفر إنما

(١٥٠٨) فى مجمع الزوائد . . قال: فلم يسمع الناس بعد ذلك أحداً يتكلم فى القدر حتى معبد الجهنى . . فأخذه الحجاج فقتله . . رواه أبو يعلى .

(١٥٠٩) كما جاء فى كتاب (العلو للعلو الغفار) فى صحيح الأخبار وسقيمها: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

هو دليل على الكفر . وأن القرآن مخلوق. ومنهم السبيائية الذين يقولون بأن الله سَيَّبَ خلقه ليعملوا ما شاءوا .

(والجهمية) الذين قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون وأن كلام الله وعلمه حادث، وأنه لا فعل لأحد غير الله وأفعال العباد اضطرارية ، وهم أتباع جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم أول زنديق أظهر بدعة القول بخلق القرآن (والجهمية): صاروا إلى طوائف كثيرة منهم المعطلة والزنادقة الذين يقولون: لا رب ما دام يُدرك بالحواس، وكل ما يُدرك بالحواس فهو مخلوق فليس برب.

(والجبرية): هم الذين ينسبون الفعل كله لله، وينفون عن الخلق الكسب والاستطاعة .. وقد صاروا إلى طوائف منها النجارية: زعموا أن الله يعذب الناس على فعله لا فعلهم . ومنها السابقة، قالوا: السعيد لا تضره ذنوبه، والشقي لا تنفعه طاعته.

(والكرامية) وهم أتباع محمد بن كرام ، قالوا: إن معبودهم محلٌّ للحوادث وإنه جسم له حد واحد من الجانب الذى على العرش ولا نهاية له من الجانب الآخر. وهم يرون التلطف بالشهادتين كافيًا ولو مع بقاء النفاق والزندقة فى القلب، وأن الله له ثقل تنفطر منه السماء .. الخ تلك الأقوال الشنيعة التى يبرأ الله منها ورسوله .. كما نبرأ منها نحن المؤمنون كذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. وتعالى الله عن كل ما قالوه وزعموه علوًا كبيرًا .

وقد قرأت أن أحد هؤلاء المجادلين وهو صبيغ بن عسل من أهل مصر ذهب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه يسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١٥١٠) فقال له عمرو بن العاص: ليس عندي علم ذلك، وإنى مُرسلك إلى مَنْ عنده علم ذلك. ثم يبعث به بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه كتاب يقول فيه: يا أمير المؤمنين، إن هذا الرجل يسأل عن متشابه القرآن . فلما قدم الرجل وقرأ عمر الكتاب، غضب حتى استبان فى وجهه الغضب، وقال: مَنْ

(١٥١٠) سورة طه: الآية ٥ .

أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وقام إليه يضربه بعرجون النخل حتى أدمى رأسه . فيقول له صبيغ: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب والله الذى كنت أجدته فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة ، وأمر أن يُهجر سنة فلا يكلمه أحد.

وروى النيسابورى فى تفسيره بإسناده: أن على بن أبى طالب رضي الله عنه سأله سائل عن القدر؟ فقال: طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر؟ فقال: بحر عميق لا تَحْضُ فيه. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر؟ فقال: سرُّ حَفَىُّ لله لا تُفْشِه ، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر؟ فقال على رضي الله عنه: يا سائل، إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت؟ فقال: كما شاء . فقال: إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء؟ فقال: كما يشاء. فقال: يا سائل لك مشيئة مع الله؟ أو فوق مشيئته؟ أو دون مشيئته؟ فإن قلت مع مشيئته ادعت الشركة معه، وإن قلت دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبية على مشيئته . ثم قال: أَلستَ تسأل الله العافية؟ قال: نعم . قال: فمنَ ماذا تسأله العافية؟ أمن بلاء ابتلاك به؟ أو من بلاء غيره ابتلاك به؟ قال: من بلاء ابتلانى به. فقال: أَلستَ تقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) قال: بلى . قال: هل تعرف تفسيرها؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين علّمنى مما علّمك الله. فقال تفسيرها: أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته إلا بالله عز وجل . يا سائل إن الله يُسقم ويداوى، منه الداء ومنه الدواء، اعقل عن الله . فقال السائل: عقلت . فقال له: الآن صرّت مسلماً .. قوموا إلى أحيكم المسلم فخذوا بيده، ثم قال على كرم الله وجهه: لو وجدتُ رجلاً من أهل القدر لأخذتُ بعنقه، ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه فإنهم يهود هذه الأمة.

وهذا القول الأخير الذى قاله على رضي الله عنه بالإضافة إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا المشوِّش الذى أرسله إليه عمرو بن العاص من مصر .. معناه أن القدرىّ هذا - بالإضافة إلى غيره من الزنادقة الضالين المضلين - ليسوا بمسلمين بهذا المعنى الكبير من مفهوم.

وعلى هذا، فإننى أحذر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. من الانشغال بمثل هذه الخلافات العقائدية التى لا تؤدى غالباً إلا إلى الكفر والعياذ بالله .. وعليهما أن يلاحظا .. أن الصحابة عليهم جميعاً رضوان الله ماتوا .. وما عرفوا الجوهر والعرض، ولا الجبر والاختيار، ولا العمل والاستطاعة، ولم يسأل واحد منهم: هل الصفات عين الذات أم هى بائنة عن الذات؟ وهل القرآن قديم أم مخلوق؟ وهل القَدَم أو الحدوث فى الصوت والمعنى، أم فى اللفظ؟

وقد ماتوا رضى الله عنهم وما عرفوا الكلام فى الجهة، ولا أن الله فى كل زمان ومكان، ولا أن الله لا يُحدُّه زمان ولا مكان .. ماتوا ولم يجنحوا إلى كيف وهل - وإلى مسائل وأغلوطات لا مدخل للعقل فيها، ولا قوّة له عليها ، سكتوا عنها كما سكت الصادق المصدوق، وفوضوا فى المتشابه وقبلوه على مراد الله .

أى: كان شعارهم فى هذا هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾: أى آيات واضحة بيّنة ، قد أحكمن بالبيان والتفصيل .. ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أى: هُنَّ أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين من الفرائض والحدود، والأحكام ، وسائر الأمور الضرورية ﴿وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أى: وآيات أخرى متشابهات فى التلاوة ، مختلفات فى المعانى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ لِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أى: فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أى: ما تشابهت ألفاظه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أى: طلباً لتفسيره على أهوائهم الباطلة، دون الحق الذى أبانه الله فأوضحه بالحكمات من الآيات ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أى: وما يعلم تأويل المتشابه - أى معناه - إلا الله وحده ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أى: والعلماء المتمكنون فى العلم ، يقولون: صدّقنا بالمتشابه من الكتاب وإن لم نعلم تأويله. ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ أى: كل من المحكم والمتشابه مُنزَّل من عند الله . ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٥١١) أى: وما يتعظ إلا أصحاب العقول .. الذين نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً منهم، حتى لا نضل أو نُزَلَّ، كما ضل وزلَّ أصحاب العقول الخربة. اللهم آمين..

(١٥١١) آل عمران: ٧ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بصرف يسير .